الجـــــامعة الإسلامية_ غـــزة
عمـــــادة الدراســـــات العليا
كليـــــة أصـــــول الديـــن
قسم التفسير وعلـــوم القرآن

طغيان الحكام وخفة الشعوب

(دراسة قرآنية موضوعية)

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب
عاطف محمد أحمد اللحام

إشراف الدكتور
رياض محمود جابر قاسم

قُدِّمَت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في التفسير وعلوم القرآن

1431هـ – 2010م

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

قال تعالى

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

هود 112

﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾

الزخرف 54

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾

النحل 89

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

شكر وتقدير

يقول الله - ﷻ -: ﴿ **وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ** ﴾{لقمان 12}، ويقول الحبيب محمد – صلوات ربي وسلامه عليه -: **(لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ)**[1] ، وقديماً قالت العرب: الحر من يحفظ وداد لحظة، فإذا كان هذا حال الحر مع وداد لحظة، فكيف سيكون حاله مع من فتح له قلبه وبيته، ولم يبخل عليه بجهده ووقته .

لذلك لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان، وعظيم الثناء والامتنان إلى المربي الفاضل، أستاذي ومعلمي فضيلة الدكتور/ رياض محمود قاسم - حفظه الله – الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث منذ اللحظة الأولى، وبذل الكثير من وقته لنصحي وإرشادي من أجل إثراء هذه الرسالة وإبرازها في أحسن صورة، حتى خرجت إلى حيز الوجود واضحة المعالم، بَيِّنَةِ الأهداف، فأشكره على صبره وتحمله لي طيلة فترة الإشراف، وأسأل الله - ﷻ - أن يجزيه عنى خير الجزاء، وأن يحفظه من كل سوء .

كما وأتقدم بعظيم الشكر والامتنان إلى كلٍ من أستاذيَّ الفاضلين، الدكتور/ عصام زهد، والدكتور/ جمال الهوبي حفظهما الله، اللذين تفضلا مشكورين بقبول مناقشة هذا البحث والتنقيب عن نواقصه، والبحث عن أخطائه – فالكمال لله - ﷻ - وحده – وذلك لإرشادي إلى إكماله وهدايتي لتصويبه، لإخراجه في أفضل سورة ممكنة فجزاهما الله عني خير الجزاء، وأسأل الله - ﷻ - أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهما ﴿ **يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾{الشعراء88-89 } .

ولا أنسى أن أتقدم بجزيل الشكر ووافر العرفان إلى هذا الصرح العلمي الشامخ، الذي كان وما زال وسيبقى – بإذن الله - كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكُلَهَا كل حين بإذن ربها - الجامعة الإسلامية بغزة، والتي أعتز وأفتخر بالانتساب إليها .

كما أخص بالشكر والعرفان كلية أصول الدين بأقسامها وإدارتها عميداً، وأساتذة، ومحاضرين الذين كان لهم علي فضل التعليم في كلٍ من مرحلتي البكالوريوس والماجستير .

ولا يفوتني أن أتقدم بعظيم شكري وجزيل ثنائي، إلى كل من أسدى إلي معروفاً، أو قدم لي خدمة صغيرة أو كبيرة، أو دعا لي في ظهر الغيب، فجزا الله الجميع عني خير الجزاء، وجعلهم سنداً للإسلام وأهله .

---

[1] سنن الترمذي: كتاب البر والصلة عن رسول - ﷺ - باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ح 1954 ، قال أبو عيسى الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

و في الختام فقد بذلت جهدي في إعداد هذا البحث وإخراجه إلى النور فإن وُفِّقْت فبفضل الله وكرمه، وأن أخطأت في شيء منه فأسأل الله أن يغفر لي خطأي وأن لا يحرمني أجر المجتهدين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، نزل الفرقان، علم القران، خلق الإنسان، علمه البيان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل القرآن هداية للناس، ونبراساً يضيء لهم الطريق، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي الأكرم، علم القرآن فكان خير معلم، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد :

فلم يعد طغيان الحكام مجرد حادثة عابرة، أو قصة حدثت في التاريخ مرة وانتهت، بل أصبح يمثل ظاهرة عانت منها شعوب الأرض قديماً، وما زال يمثل المصدر الأول لعذابات الناس وشقائهم، وسيبقى جاثماً على صدور الخلق ما دام في الأرض حق وباطل .

فالطغيان هو الباطل في أبشع صوره وأشكاله، يسفر عن وجهه أحياناً ويمارس ذاته دون حياء أو وجل كما يحدث في الأنظمة الدكتاتورية، وأحياناً أخرى يتستر بستار براق ليخدع الجماهير الساذجة، فيمارس بشاعته فيهم باسمهم، كما يحدث في الأنظمة التي تدعي الديمقراطية، فتمرر فيها القوانين التي قد تكون سبباً في شقاء الكثيرين باسم الأغلبية، وقد تكون هذه الأغلبية لا تزيد على 1% مما يعني أن نصف المجتمع معترض عليها ولا يريدها ومع ذلك يتم إقرارها وتنفيذها .

والطغيان إذ يمارس ذاته فإنه ينشر الدمار والخراب في كل مكان يحل فيه، ويرسم على جبين الإنسانية صورة الألم والمعاناة بكل معانيها، ويترك في النفس البشرية جراحاً غائرة يصعب نسيانها حتى مع مرور الزمن، فالطغيان فساد للحياة وإفساد للأحياء .

لذلك كان الطغيان عدواً لله - ﷻ - ولرسله عليهم السلام، وللشعوب المؤمنة، وكان من مقاصد الإسلام الكبرى - قرآناً وسنة - تقبيح الطغيان، والتحذير منه، والحض على التحرر من كل نماذجه وصوره، وذلك لأنه في نظر الإسلام لا قيام لحق في هذه الحياة إلا إذا طُمِسَت كل صور الطغيان وسُوِّيَت به الأرض، فلا مجال في الإسلام لمهادنة الطغيان أو التعايش معه، ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث .

أهمية البحث:

فأهمية هذا البحث، تأتي من كونه يعالج داءً تعاني منه معظم شعوب الأرض لا يكاد يخلو منه زمان أو مكان ألا وهو طغيان الحكام وخفة الشعوب، ومما يزيد هذا البحث أهمية، تناول الباحث له من خلال القرآن الكريم الذي يعالج قضايا الأمة خاصة، وقضايا الإنسانية عامة، وهو دستور خالد وصالح لكل زمان ومكان .

فالبحث في هذا الموضوع والحديث عنه من صميم الإسلام، وهو تجلية وإيضاح لموضوع من أهم موضوعات القرآن، يبرز هذه الأهمية التكرارُ الملفت للانتباه لقصة الطاغية فرعون، وتسليط الأضواء عليها من كل زواياها، حتى لا تخفى منها خافية .

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

أسباب اختيار الموضوع:

لاختيار هذا الموضوع أسباب عديدة أذكر أهمها :

- بروز ظاهرة طغيان الحكام واستخفافهم بشعوبهم في معظم أرجاء الأرض، وسلبية الشعوب في التصدي لتلك الظاهرة، والاكتفاء بإلقاء المسئولية على عاتق الحكام الطغاة .
- حاجة الواقع المرير الذي تعيشه الأمة الإسلامية - خاصة - في هذا الزمان ، يقتضي كشف اللثام عن علة الأسقام والآثام " طغيان الحكام وخفة الشعوب "
- رغبتي في بحث قرآني أساهم به في رفع الظلم عن المظلومين، ينتفع به الناس عامة وطلبة العلم منهم خاصة، ويكون لي صدقة جارية بعد الممات .
- الرغبة في البحث في موضوع قرآني يزلزل عروش الطغاة المتكبرين ويساهم في إعادة عزة الأمة ومجدها التليد .
- إبراز دور القرآن الكريم في علاج قضايا الأمة المختلفة، وقدرته على التَّغْيِر والإصلاح، والسير بالأمة نحو الاستخلاف والتمكين
- المساهمة في خدمة كتاب الله، لنيل رضاه سبحانه وتعالى، وذلك بالبحث في موضوع من موضوعات القرآن الكريم .

أهداف البحث وغاياته:

لهذا البحث أهداف عديدة وغايات سامية، أذكر أهمها :

- بيان حقيقة الطغيان من خلال إبراز ملامحه وأسبابه وصفات الطغاة وأساليبهم ونهايتهم.....الخ .
- استثارة همم الشعوب الإسلامية، لتعي دورها، وتضطلع بمسؤولياتها، وتستعيد مجدها وكرامتها .
- دحض شُبه المغْرضين، وتفنيد آراء المستغربين، الذين يتهمون ديننا بالجمود والقصور وعدم الوفاء بمتطلبات العصر، وأنه ليس له القدرة على خوض معارك التغيير والوصول بالأمة نحو التمكين الشامل لدينها من خلال دولة تحكم بشرع الله - تعالى - .
- يعد هذا الموضوع من الموضوعات المتصلة بقضايا العصر الحاضر، وهو ممتد على مدى العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .
- إثراء المكتبة الإسلامية بموضوع تفسيري قرآني محكم يتناول هذا الموضوع من كافة جوانبه وزواياه .

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الدراسات السابقة:

إن موضوع الطغيان كان و ما زال مثار اهتمام الكثيرين من المفكرين والأدباء والمؤرخين والصحفيين منذ قديم الزمان، فقد تناوله فلاسفة اليونان بالبحث و التحليل، وكتبوا فيه كتباً منها كتاب الجمهورية لأفلاطون وكتاب السياسة لأرسطو، وقد اعتمدها الغربيون في هذا الزمان، بعدما طوروها وأضافوا إليها ما ارتأوه مناسباً،لإرساء نظام ديمقراطي .

وقد حاول بعض المفكرين العرب والمسلمين الكتابة في هذا الموضوع، فكتب فيه د. عبد الفتاح إمام، كتابه القيِّم " الطاغية دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي "، وقد نحا فيه منحاً فلسفياً صار فيه على خطا فلاسفة اليونان سقراط وأفلاطون وأرسطو، ثم تلاه كتاب " وشل الطغاة " للأديب والكاتب الإماراتي محمد خليفة، وهو عمل أدبي تاريخي، تناول فيه المؤلف استبداد الحكام وطغيانهم، ابتداء من الحضارة اليونانية، مروراً بالفترة الرومانية، ومحاكم التفتيش، وحتى كتابة الكتاب.

ولكني – و حسب مطالعاتي واتصالاتي وبحثي في الفهارس الجامعية – لم أعثر على دراسة تفسيرية متخصصة تناولت هذا الموضوع من جوانبه المتعددة .

منهجي في البحث:

وقد نهجت في هذا البحث منهجاً أرجو من الله - ﷻ - أن أكون قد وُفِّقْتُ فيه - مبنياً على الاستقراء والتحليل والاستنباط - وذلك من خلال النقاط التالية :

1- قمت بجمع الآيات القرآنية المتعلقة بهذا الموضوع، وعملت جهدي على استنباط الدروس والعبر المستفادة ذات الصلة .

وقد كان أسلوبي في البحث، والتحليل، والاستنباط، والترجيح وغير ذلك على النحو التالي:

- § ميزت آيات صلب الرسالة بأقواس مزخرفة وبخط أسود عريض، أما أجزاء الآيات المقتطفة من آيات الصلب للتعليقات والشروح فقد جعلتها بين قوسين عاديين فقط .
- § التزمت بتوثيق الآيات القرآنية، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية، وذلك بعد الآيات الرئيسة - آيات صلب الرسالة - .
- § استشهدت في كل ما ذهبت إليه بأدلة من القرآن، فلا يكاد يوجد في هذا البحث مسألة لا دليل عليها من القرآن .
- § تجنبت ذكر أسماء الطغاة، أو أسماء البلدان التي تحكم حالياً بالطواغيت على كثرتها - باستثناء الأسماء التي جعلها الله - ﷻ - رمزاً للطغيان- وذلك لأسباب منها:
  - ý أن الطغيان ليس مجرد حادثة ترتبط بشخص أو نظام معين، ولكنه ظاهرة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ وهي ممتدة عبر الأزمنة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

- ليست مهمتي كباحث تجريح الأشخاص والهيئات، ولكن مهمتي وضع الأسس والقواعد التي تعمل على حفز الوعي واستنهاض الهمم لمحاربة الطغيان .
- السعي لأن تعم فائدة هذا البحث – إن قُدِّر له أن يطبع ويوزع – كل الأقطار، وذكر أسماء الطغاة، أو البلدان يمنع ذلك .
- دَعَّمْتُ ما كنت أذهب إليه بأقوال العلماء – قدامى ومحدثين – ولكني أكثرت من النقول عن العلماء الذين عانوا طغيان الحكام من أمثال سيد قطب ومحمد الغزالي وعبد الرحمن الكواكبي - رحمهم الله جميعاً – فلا ينبئك عن حقيقة الطغيان مثل خبير .

2- ميزت الحديث بوضعه بين قوسين وكتابته بخط أسود عريض .

3- التزمت بذكر المصدر الذي أستقي منه الحديث، مع ذكر حكم العلماء على الحديث، ما أمكن .

4- في صلب البحث حاولت الرجوع إلى المصادر الأصلية ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

5- اقتصرت في التراجم على الترجمة للأعلام – غير المشهورين، وغير المُصَنِّفين – الواردة أسماؤهم في صلب البحث، لذلك جاءت التراجم قليلة .

6- ذكرت معاني الكلمات الصعبة في الحاشية كلما وجدت ضرورة لذلك .

7- إذا كان المقتطف منقولاً بنصه كنت أجعله بين علامتي تنصيص وأشير إليه في الحاشية بذكر المرجع والجزء والصفحة، وإذا كان منقولاً بالمعنى فكنت لا أحصره بين علامتي تنصيص، وأكتفي بالإشارة إليه في الحاشية بذكر كلمة: انظر ثم أذكر المرجع والجزء والصفحة .

8- إذا ورد اسم المرجع لأول مرة، أكتفي بذكر اسم المرجع واسم المؤلف والجزء والصفحة، وإذا ذُكِرَ المرجع بعد ذلك أكتفي بذكر اسمه مختصراً مع الجزء والصفحة .

9- قمت بإعداد مجموعة من الفهارس في نهاية الرسالة:

فهرس للآيات القرآنية .

فهرس للأحاديث النبوية .

فهرس تراجم الأعلام غير المشهورين .

فهرس للمصادر والمراجع .

فهرس للموضوعات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع جعل البحث في مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس

المقدمة:

وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، والمنهج الذي سيسلكه الباحث في معالجة مسائل البحث، والخطة التي سيسير عليها .

التمهيد:

أما التمهيد فجعلته مَعْبَراً أنفذ من خلاله إلى فصول البحث وسأتناول فيه خلق الإنسان وكرامته وحقوقه وواجباته .

الفصل الأول

طغيان الحكام في ضوء القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول :الطغيان في ضوء القرآن الكريم

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: طغيان الحكام لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: واجبات الحاكم المسلم

المطلب الثالث: استخدام القرآن للفظة " طغى " ومشتقاتها

المطلب الرابع: موقف القرآن من الطغيان بكافة صوره وأشكاله

المطلب الخامس: أسباب الطغيان

وفيه أربعة بنود:

البند الأول: الغنى

البند الثاني: إيثار الحياة الدنيا

البند الثالث: الخوف

البند الرابع: خفة الشعوب

المبحث الثاني: ملامح أنظمة الطغاة وصفاتهم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ملامح أنظمة الطغاة

وفيه ثمانية بنود

البند الأول: التأله

البند الثاني: عدم تفويض السلطة

البند الثالث: تعطيل الدستور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

البند الرابع: الاستيلاء على مقدرات الدولة الاقتصادية

البند الخامس: مصـــادرة الحريـــات

البند السادس: الإفساد

البند السابع: تفتيت المجتمع إلى قوى متصارعة

البند الثامن: الاعتماد على القوة الغاشمة في قمع المعارضين

المطلب الثاني:صفات الطغاة

وفيه عشرة بنودً:

البند الأول: العلو في الأرض والإسراف

البند الثاني: الكِبْـــــــــرُ

البند الثالث: الغفلة عن آيات الله والتكذيب بها

البند الرابع: الفسوق والكفر بآيات الله

البند الخامس:الخطأ والإضلال

البند السادس: الكذب ونكث العهود

البند السابع: الظلـــم والبغـــي والعـــدوان

البند الثامن: الإجـــرام والإرهـــاب

البند التاسع: المَن

البند العاشر: أَئِمَّـــةٌ يَدْعُـــونَ إِلَـــى النَّـــارِ

المبحث الثالث:نماذج من طغيان الحكام ونهايتهم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نماذج من طغيان الحكام

وفيه ثلاثة نماذج:

النموذج الأول: قتل الأطفال واستحياء النساء

النموذج الثاني: قطع أيدي المخالفين وأرجلهم من خلاف وصلبهم في جذوع النخل

النموذج الثالث: حرق الناس وهم أحياء

المطلب الثاني: نهاية الطغاة

المطلب الثالث: معالم على طريق النهاية

الفصل الثاني

خفة الشعوب في ضوء القرآن الكريم

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: الفسوق سبب طاعة المستخف بهم للطغاة

وفيه مطلبان :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المطلب الأول: الفسوق لغة واصطلاحاً
المطلب الثاني: أسباب الفسوق
المبحث الثاني: الاستخفاف في ضوء القرآن الكريم
وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: الخفة لغة واصطلاحاً
المطلب الثاني: مظاهر استخفاف فرعون لقومه
المطلب الثالث: الطاغية مُسْتَخِفٌ بغيره مُسْتَخَفٍ به
المبحث الثالث: وسائل استخفاف الطغاة للشعوب
وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: الوسائل الإغوائية
وفيه أربعة بنود:
البند الأول: الإغراء بالمال والمنصب والجاه
البند الثاني: الاستعانة بالنفعيين والانتهازيين
البند الثالث: الإلهاء
البند الرابع: التنفيس
المطلب الثاني: الوسائل الإعلامية
وفيه أحد عشر بنداً:
البند الأول: اتهام المعارضين بالتآمر
البند الثاني: إظهار المخالفين بمظهر الحريصين على السلطة والنفوذ
البند الثالث: التقليل والتهوين من شأن المعارضين
البند الرابع: الظهور بمظهر القوة والتعريض بضعف الآخرين
البند الخامس: الظهور بمظهر الحريص على مصلحة العباد
البند السادس: الظهور بمظهر كفالة الحريات والمحافظة على الشورى
البند السابع: الظهور بمظهر الحريص على تراث الآباء والأجداد
البند الثامن: استجاشة عاطفة حب الوطن
البند التاسع: إلباس الحق ثوب الباطل
البند العاشر: المغالطة والتمويه
البند الحادي عشر: التحريض والسخرية والاستهزاء
المطلب الثالث: الوسائل القهرية
وفيه أربعة بنود:
البند الأول: السجن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

البند الثاني: التعذيب

البند الثالث: القتل

البند الرابع: النفي

المبحث الرابع: نماذج تطبيقية على الخفة والاستعلاء

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سحرة فرعون

المطلب الثاني: المؤمنون في سورة البروج

الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث.

الفهارس:

وتشتمل على :

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس تراجم الأعلام غير المشهورين

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

التمهيـــد

وفيـــــه:

- مـــا قبـــل الخلـــق
- الإعلان عن ميلاد الإنسان
- الخلـــق الأول (خلق آدم - عليه السلام -)
- خلق النسل (نسل آدم - عليه السلام -)
- المهمـــة والغايـــة
- الإنســـان مخلـــوق مكـــرم
- حقـــوق الإنســـان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

التمهيد

يهدف الباحث من خلال التمهيد إلى تسليط الأضواء على الإنسان باعتباره المخلوق المكلف بتلقي الوحي من الله - ﷻ - بواسطة الرسل - عليهم السلام - ومن ثم إعمار الأرض والانتفاع بثرواتها وفق منهج الله - ﷻ - والإنسان قادر على فعل ذلك إذا استجاب لنداء الله وتفاعل مع الهدي القرآني، فإنه ولا شك يبني ويعمر وينتج خيراً كثيراً .

وفي المقابل إذا اجتنب الصراط المستقيم الذي ارتضاه له رب العالمين، وتنكب الطريق، وأعرض عن ذكر الله – الذي هو منهاجه – واتخذ إلهه هواه؛ فإنه يَضِل ويطغى ويصبح بلا أدنى شك أشد شراسة وفتكاً من الحيوان المفترس، وأكثر دماراً وخراباً من الزلازل والأعاصير .

ما قبل خلق الإنسان:

يقول الله - ﷻ -: ﴿ **هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا** ﴾{الإنسان:1}

هذه هي قصة الإنسان من بدايتها وهي تبدأ بلمسة رفيقة للقلب البشري لكنها ومع رفقها لها من القوة ما يُمَكِّنُها من خلع الكبر من القلوب لو وقف الإنسان أمامها وتأملها ثم سأل نفسه: أين كان قبل أن يكون؟ من الذي أوجده؟ ومن الذي جعله شيئاً مذكوراً في هذا الوجود؟ بعد أن لم يكن له ذكر ولا وجود: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا)[1].

" فهذا الاستفهام في مطلع السورة إنما هو للتقرير؛ ولكن وروده في هذه الصيغة كأنما أريد به أن يسأل الإنسان نفسه: ألا يعرف أنه أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً؟ ثم ألا يتأمل هذه الحقيقة ويتدبرها؟ ثم ألا يفعل تدبرها في نفسه شيئاً من الشعور باليد التي دفعته إلى مسرح الحياة، وسلطت عليه النور، وجعلته شيئاً مذكوراً بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً ؟ "[2]

يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله:

" أما أول الإنسان فهو أنه لم يكن شيئا مذكورا، وقد كان في حيز العدم دهورا، بل لم يكن لعدمه أول، وأي شيء أخس وأقل من المحو والعدم وقد كان كذلك في القدم "[3].

---

[1] انظر في ظلال القرآن لسيد قطب ج6 ص3777

[2] المرجع السابق ج6 ص3779 بتصرف يسير

[3] إحياء علوم الدين، لمحمد بن محمد الغزالي أبو حامد ج3 ص358

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الإعلان عن ميلاد الإنسان:

فلما اقتضت حكمة الله - ﷻ - أن يظهر هذا المخلوق إلى الوجود، أعلن المولى - ﷻ - ذلك في الملأ الأعلى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾{البقرة30}

" إذن فهي المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يده، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، والتحليل والتركيب، والتحوير والتبديل؛ وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز وخامات، وتسخير هذا كله - بإذن الله - في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه"[1] ألا وهي إعمار الأرض والانتفاع بثرواتها وفق منهج الله - ﷻ - وبذلك يحقق الإنسان الهدف والغاية من خلقه ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾{الذاريات56} .

الخلق الأول: (خلق آدم - عليه السلام -)

يقول الله - ﷻ - مبيناً مادة خلق آدم الأولى:

﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾{آل عمران59} .

وفي موضع آخر: ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ** ﴾{السجدة7} .

وفي موضع ثالث: ﴿ **فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ** ﴾{الصافات11} .

وفي موضع رابع ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ** ﴾{المؤمنون12} .

وفي موضع خامس﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ** ﴾{الحجر26} .

وفي موضع سادس ﴿ **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ** ﴾{الرحمن14} .

فهذا بدء خلق آدم، خلقه الله أول بدء من تراب، ثم بُلَّ ذلك التراب فصار طيناً، فذلك قوله: (مِنْ طِينٍ) فلما لصق الطين بعضه ببعض، صار طيناً لازبًا يعني طيناً لاصقًا، ثم قال: (مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ) يقول: مثل الطين إذا عصر انسل من بين الأصابع، ثم نتن فصار حمأً مسنونًا، فلما جف صار صلصالاً كالفخار، أي: صار له صلصلة كصلصلة الفخار،أي له دوي كدوي الفخار، فهذا بيان خلق آدم خلقه من طينة حمراء،

[1] في ظلال القرآن ج1ص56

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وسـوداء وبيضـاء، مـن طينـة طيبة وسبخة[1]، فكذلك ذريته طيب وخبيث، أسود وأحمر، وأبيض[2] .

ولكن هيهات أن يتحول الطين إلي بشر بدون نَفْخِ الله - ﷻ - الروح فيه، يقول الله - ﷻ - ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾{الحجر29}

وبهذه النفخة – نفخة الروح - خرج هذا المخلوق الجديد إلى الوجود، ومن ثم علم حقيقة ذاته وأنه مخلوق من جسد وروح، وأن حياته ينبغي أن تشمل جانب الجسد وجانب الروح، متصلين غير منفصلين، فلا يستغرقه جانب الجسد وحده ولا جانب الروح وحده .

خلق النسل: (نسل آدم - عليه السلام -)

يقول الله - جل وعلا - في تبيان المادة التي خلق منها نسل آدم - عليه السلام -: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا** ﴾{الحج5} .

" قولُهُ: (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) أَيْ: بَعْدَ أَنْ خَلَقَ آدَمَ مِنَ التُّرَابِ، وَخَلَقَ حَوَّاءَ مِنْ ضِلْعِهِ، وَجَعَلَهَا زَوْجًا لَهُ كَانَتْ طَرِيقُ إِيجَادِ الْإِنْسَانِ بِالتَّنَاسُلِ، فَبَعْدَ طَوْرِ التُّرَابِ طَوْرُ النُّطْفَةِ، ثُمَّ طَوْرُ الْعَلَقَةِ إِلَى آخِرِ أَطْوَارِهِ الْمَذْكُورَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ **وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا** ﴾{نوح14} . وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ** ﴾{الزمر6} وَقَدْ أَوْضَحَهَا تَعَالَى إِيضَاحًا تَامًّا فِي قَوْلِهِ: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾{المؤمنون12-14}"[3].

المهمة والغاية:

يحدد الله - ﷻ - الغاية من خلق الإنسان تحديداً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض فيقول - جل في علاه -: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾{الذاريات56} .

---

[1] أرضٌ سِبَخةٌ، وهي ذات المِلْح، تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي ج7 ص187

[2] انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ج2 ص275

[3] المرجع السابق ج3 ص275

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

والمهمة الموكلة للإنسان لتحقيق هذه الغاية ذُكِرَت واضحة في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾{البقرة30} .

وبمقتضى هذه المهمة – مهمة الاستخلاف في الأرض - مطلوب من الإنسان إعمار الأرض والانتفاع بثرواتها ﴿ **هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** ﴾{هود61}

وفي حركة الإنسان لإعمار الأرض مطلوب منه أن يضبط هذه الحركة وفق منهج الله ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾{الأنعام162}،﴿ .... **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾{البقرة38} وذلك أن وجود الإنسان على هذه الأرض وجود مؤقت ﴿ ... **وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** ﴾{البقرة36} وهذا الوجود للابتلاء والاختبار ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾{الملك1-2}

وعلى نتيجة هذا الاختبار يتحدد مصير الإنسان، فإن أحسن في مهمته وحقق الغاية التي من أجلها خُلِق، تحقق له الأمن والسرور﴿ ... **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾{البقرة38} وتحققت له الهداية والسعادة ﴿ ... **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى** ﴾{طه123}، هذا في الدنيا، فإذا انقلب إلى ربه في الآخرة جزاه الله الجزاء الأوفى ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا** ﴾{النساء57} .

أما إن أساء في مهمته، وانحرف عن الغاية التي من أجلها خلق، فإنه يخسر سعادة نفسه في الدنيا أولاً ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا** ﴾{طه124}، فإذا انقلب إلى ربه في الآخرة، انقلب إلى جهنم وبئس المصير﴿ **لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ** ﴾{الرعد18}

الإنسان مخلوق مكرم:

فكرامة الإنسان في الإسلام حقيقةٌ مُسَلَّمَةٌ أعلن عنها المولى - ﷻ - بنفسه وفي كتابه المعجز لتبقى هذه الحقيقة خالدة غير قابلة للتغيير أو التبديل،يقول الله - ﷻ -: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** ﴾{الإسراء70} .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وكرامة الإنسان هذه لا علاقة لها بجنس، أو لون، أو طبقة، أو ثروة، أو منصب، بل هي مستمدة من إنسانية الإنسان ذاتها (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) .

﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ...﴾{البقرة30} .

﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾{البقرة34} .

﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ** ... ﴾{الجاثية13} .

" فالإنسان - بجنسه – كريم على الله، وكرامته ذاتية أصيلة؛ لا تتبع جنسه، ولا لونه، ولا بلده، ولا قومه، ولا عشيرته، ولا بيته، ولا عرضاً من هذه الأعراض الزائلة، إنما تتبع كونه إنسانا من هذا الجنس الذي أفاض عليه ربه التكريم .

ولم تكن هذه مبادئ نظرية، إنما كانت واقعاً عملياً، تَمَثَّلَ في حياة الجماعة المسلمة، وانساحت به في أرجاء الأرض، فعلمته للناس، وأقرته في أوضاع حياتهم كذلك، وعلمت جمهور الناس – الذي كان يعد في نظر الكثيرين من الحكام أنه مجرد غثاء - أنه كريم، وأن له حقوقاً، هي حقوق الإنسان، وأن له أن يحاسب حكامه وأمراءه، وأن عليه ألا يقبل الذل والضيم والمهانة، وعلمت الحكام والأمراء ألا تكون لهم حقوق زائدة على حقوق الجماهير من الناس، وأنه ليس لهم أن يهينوا كرامة أحد ممن ليس بحاكم ولا أمير.

وكان هذا ميلاداً جديداً - للإنسان - ميلاداً أعظم من الميلاد الحسي فما الإنسان إذا لم تكن له حقوق الإنسان وكرامة الإنسان؟ وإذا لم تكن الحقوق متعلقة بوجوده ذاته وبحقيقته التي لا تتخلف عنه في حال من الأحوال؟ "[1]

حقوق الإنسان:

أوضح الباحث فيما سبق أن مهمة الإنسان في هذه الحياة هي إعمار الأرض والانتفاع بثرواتها وفق منهج الله - ﷻ - وحتى يتمكن الإنسان من ذلك سخر الله - ﷻ - له كل ما في الكون، وأعطاه من الحقوق والحريات ما يُمَكِّنُه من إطلاق القدرات والطاقات الكامنة فيه يقول الله - ﷻ -: ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** ... ﴾{لقمان20} .

---

[1] هذا الدين لسيد قطب ص80 بتصرف يسير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

ومن هنا كثرت الحقوق وتعددت الحريات الممنوحة للإنسان، والباحث لا يهدف في هذه العجالة إلى التوسع في الحديث عن حقوق الإنسان في الإسلام، فقد أُلِّفت في ذلك كتب كثيرة، وأُعدت فيها رسائل جامعية، وكُتِبَ فيها العديد من الأبحاث والمقالات .

ولكنه يود أن يشير إلى بعض القيم التي تبنتها بعض الفلسفات الأرضية والأفكار المنحرفة، وجعلت منها الأساس والقاعدة لكل الحقوق والحريات، وصاغتها في شعارات مختصرة تعبر عن عقائدها وانتماءاتها، واستطاعت بذلك أن تجمع الناس حول هذه الشعارات، فغدت كأنها حكر عليها ووقف من أوقافها، ويوضح باختصار موقف الإسلام منها .

من هذه القيم: الحرية، والعدل، والمساواة، التي اعتقد البعض أنها وليدة الثورة الفرنسية والتي عرفت بها منذ قامت حتى زعم الزاعمون أنها أم الثورات التحررية وزعيمة الحركات التي نادت بالحرية والعدل والمساواة .

أولاً الحرية: الحرية في الإسلام تعدل الحياة، قال رسول الله - ﷺ - **(لا يجزى ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه)**[1]

والشاهد في الحديث أنه لما كان الوالد سبباً في حياة الولد إذ بدونه ما كان ليوجد، فلا يمكن للولد أن يجزيه مقابل ذلك مهما فعل إلا في حالة واحدة، أن يجده عبداً مملوكاً – أي فاقداً لحريته، ملكاً لغيره – فيشتريه فيعتقه، فإن فعل ذلك فقد كافأه، وهكذا يتبين لنا من خلال الحديث أن الحرية تعادل الحياة، لذلك نجد أن القرآن يوجب على من قتل نفساً مؤمنة خطأً أن يعوض المجتمع عنها بإحياء نفس أخرى – أي بإعتاق رقبة مؤمنة – يقول الله - ﷻ -: ﴿ **وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا** ... ﴾{النساء92} .

والعقيدة التي تجعل للحرية هذه المكانة لا يمكن أن تسلبها من الإنسان، إذ أن ذلك يعني وِفْقَ هذه العقيدة سلب الحياة نفسها، وأي عقيدة ستبقى بعد انتزاع حياة معتقديها، إن منح الناس حرياتهم في الإسلام، يعني وبكل بساطة بقاء الإسلام نفسه، فدعوة الإسلام أصلاً هي دعوة التحرير للإنسان، قال ربعي بن عامر مخاطباً رستم قائد جيش الفرس: " إن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة "[2]

---

[1] صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، كتاب العتق، باب فضل عتق الوالد ح 1510

[2] انظر البداية والنهاية: لابن كثير ج 4 ص39

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

ثانياً العدل: العدل أساس الإسلام وقاعدته الكبرى، ولا أدل على ذلك من أن يتخذ منه ملك الملوك وأعظم العظماء - الله جل جلاله - اسماً له، وأن يأمر به رسوله - ﷺ - ﴿ **فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ...** ﴾{الشورى15}، وأن يأمر به عباده المؤمنين: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾{النحل90}، والعدل في الإسلام لا يقتصر على المسلمين فقط، بل يعم الناس كل الناس، بغض النظر عن الجنس أو اللون أو المكانة الاجتماعية أو أي اعتبار آخر، يقول الله - ﷻ -: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾{النساء58}، ولذلك يحذر الله - ﷻ - من الانحراف عن العدل لأي سبب من الأسباب ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾{النساء135}، وفي موضع آخر ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾{المائدة8}، ومن ثم أثنى على العادلين ﴿ **وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** ﴾{الأعراف181} .

ولا يمكن لأي باحث منصف أياً كان، إلا أن يشهد أن الإسلام هو دين العدل، وأن العدل لم يظهر في أبهى حلله وأجمل صوره إلا عندما طُبِّق الإسلام وتمثل في دولة ورجال .

ثالثاً المساواة: حرص الإسلام كل الحرص على تقرير المساواة بين الناس في القيمة البشرية، وعدها من الأمور الأساسية التي يجب أن يدين بها كل إنسان لربه، فقد قرر أن الناس سواسية كأسنان المشط، في أصل نشأتهم وتكوينهم، وأنه لا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى، ولا بين العربي والأعجمي، ولا بين الأبيض والأسود، ولا بين السيد والعبد،ولا بين الغني والفقير، لأن هؤلاء جميعا ينحدرون من أصل واحد هو آدم، وآدم من تراب، يقول الرسول - ﷺ -: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ: أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى**)[1] .

---

[1] مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ج38 ص474 ح23489 من حديث أبي نضرة، علق عليه شعيب الأرنؤوط بقوله: إسناده صحيح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وقد ساق الباحث الكثير من الآيات التي توضح هذه الحقيقة في بداية هذا المبحث مما يغني عن إعادته هنا، ولا تقتصر المساواة في الإسلام على المساواة في القيمة البشرية، بل تعدت ذلك إلى المساواة في الحقوق والواجبات، وأمام القانون والقضاء، وفي المسؤوليات العامة والحقوق السياسية، بين الأفراد، والجماعات، والأجناس، وبين الحاكمين والمحكومين، لا فضل لرجل على آخر إلا بالتقوى والعمل الصالح ، ودون تفرقة بسبب الجنس أو اللون أو الطبقة أو القوة والضعف، أو الحسب والنسب[1]، يقول الله - ﷻ -: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾{الحجرات13} .

وهكذا يتبين لنا أن هذه القيم ليست مجرد حقوق في الإسلام - فالحق يُمكن لصاحبه أن يتنازل عنه – ولكنها واجبات يَدِينُ المسلم بها لله - ﷻ - حاكماً كان أو محكوماً، وهي مجرد أمثلة ونماذج لبقية الحقوق والحريات .

ولكن يجب أن نتنبه لقضية غايةً في الخطورة وهي أن العبرة ليست في رفع الشعارات ولكن العبرة في تحديد المفاهيم لتلك الشعارات، فقد يصبح من معاني الحرية: الفوضى والانفلات إذا تحولت إلى حرية مطلقة واستُغِلَّت للإضرار بالآخرين، ويصبح من معاني المساواة: الظلم إذا قُصِدَ بها المساواة في ثمرة العمل بين المحسن والمسيء، أو بين العامل والخامل، أو بين المجتهد والكسول .

ولذلك ينبغي الإشارة إلى بعض الفروق الجوهرية التي تتميز بها الحقوق والحريات في الإسلام عن غيرها من الحقوق[2]:

- **حقوق الإنسان في الإسلام منح إلهية**: منحها الله - ﷻ - لخلقه، فهي ليست منحة من مخلوق لمخلوق مثله، يمن بها عليه ويسلبها منه متى شاء، بل هي حقوق قررها الله - ﷻ - للإنسان .

- **حقوق الإنسان في الإسلام شاملة لكل أنواع الحقوق**: ومن ميزات حقوق الإنسان في الإسلام أنها شاملة لكل أنواع الحقوق، سواء الحقوق السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية، كما أن هذه الحقوق عامة لكل الأفراد الخاضعين للنظام الإسلامي دون تمييز بينهم في تلك الحقوق بسبب اللون أو الجنس أو اللغة .

---

[1] انظر الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ لوهبة الزحيلي ج8ص6415

[2] انظر http://www.alminbar.net/malafilmy/7kookensan/2.htm نقلاً عن حقوق الإنسان لسليمان الحقيل، وحقوق الإنسان لمحمد الزحيلي، وحرمات لا حقوق لعلي جريشة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

- **حقوق الإنسان في الإسلام تنبثق من العقيدة الإسلامية**: إن حقوق الإنسان في الإسلام تنبع أصلاً من العقيدة، وخاصة من عقيدة التوحيد، ومبدأ التوحيد القائم على شهادة أن لا إله إلا الله هو منطلق كل الحقوق والحريات، لأن الله - تعالى - الواحد الأحد الفرد الصمد خلق الناس أحراراً، ويريدهم أن يكونوا أحراراً، ويأمرهم بالمحافظة على الحقوق التي شرعها والحرص على الالتزام بها، ثم كلفهم شرعاً بالجهاد في سبيلها والدفاع عنها، ومنع الاعتداء عليها وهذا ما تكرر في القرآن الكريم في آيات القتال والجهاد.

فحقوق الإنسان في الإسلام تنبع من التكريم الإلهي للإنسان بالنصوص الصريحة، وهو جزء من التصور الإسلامي والعبودية لله - تعالى - وفطرة الإنسان التي فطره الله عليها.

- **حقوق الإنسان في الإسلام ليست مطلقة بل مقيدة بعدم التعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية**: ومن خصائص حقوق الإنسان في الإسلام أنها ليست مطلقة، بل مقيدة بعدم التعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية، وبالتالي بعدم الإضرار بمصالح الجماعة التي يعتبر الإنسان فرداً من أفرادها .

- **حقوق الإنسان في الإسلام ثابتة ولا تقبل الإلغاء أو التبديل أو التعطيل**: من خصائص حقوق الإنسان في الإسلام أنها كاملة وغير قابلة للإلغاء؛ لأنها جزء من الشريعة الإسلامية.

إن وثائق البشر قابلة للتعديل غير متأبية على الإلغاء مهما جرى تحصينها بالنصوص، والجمود الذي فرضوه على الدساتير لم يحمها من التعديل بالأغلبية الخاصة.

وقضى الله أن يكون دينه خاتم الأديان وأن يكون رسول الله - ﷺ - خاتم النبيين، ومن ثم فما جاء في كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - فهو باق ما دامت السماوات والأرض .

وأخيراً يمكن للباحث أن يقرر أنه لا يتصور في دين جعل الإنسان سيداً في هذا الكون مهمته الإصلاح والتعمير والبناء، دين الهدف والغاية منه تحقيق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة، أن يُقَصِّر في منح الإنسان حقوقه وحرياته كاملة غير منقوصة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الفصل الأول

طغيان الحكام في ضوء القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الطغيان في ضوء القرآن الكريم

المبحث الثاني: ملامح أنظمة الطغاة وصفاتهم

المبحث الثالث: نماذج من طغيان الحكام ونهايتهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المبحث الأول

الطغيان في ضوء القرآن الكريم

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف طغيان الحكام لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: واجبات الحاكم المسلم

المطلب الثالث: استخدام القرآن للفظة " طغى " ومشتقاتها

المطلب الرابع: موقف القرآن من الطغيان بكافة صوره وأشكاله

المطلب الخامس: أسباب الطغيان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المطلب الأول

تعريف طغيان الحكام لغة واصطلاحاً:

طغيان الحكام مركب اصطلاحي للوقوف على المقصود منه بدقة لابد من تفكيكه ومعرفة مفرداته كلٍ على حدة .

أولاً الطغيان لغة:

الطغيان لغة: " طغو طَغي: الطُّغْيان: الواوُ لغةٌ فيه، وقد طَغَوْتُ وطَغَيْتُ، والاسمُ الطَّغْوَى وكلُّ شيءٍ يجاوز القَدْرَ فقد طَغَى مثلَ ما طَغَى الماءُ على قَوْمِ نُوْحٍ وكما طغَتِ الصَّيْحةُ على ثَمُودَ "[1] .

وقال الجوهري:" طَغَا يَطْغَى ويَطْغُو طُغْيَاناً، أي جاوز الحد، وكل مجاوز حده في العصيان فهو طاغٍ، وطَغِيَ يَطْغَى مثله، وأَطْغَاهُ المال، أي جعله طَاغِياً، وطَغَا البحر: هاجت أمواجه، وطَغَا الدم: تَبَيَّغَ[2]، وطَغَا السيل، إذا جاء بماء كثير، والطَّغْيَةُ: أعلى الجبل، وكل مكانٍ مرتفع طَغْوَةٌ "[3] .

وفي المفردات " طغى: طَغَوْتُ وَطَغَيْتُ طُغْواناً وطُغْيَاناً وأطغاه كذا حمله على الطغيان، وذلك تجاوز الحد في العصيان..... ومنه الطاغوت[4] عبارة عن كل متعد وكل معبود من دون الله، ولِمَا تقدم سُمِّيَ الساحر والكاهن والمارد من الجن والصارف عن طريق الخير: طاغوتا، ووزنه فيما قيل فعلوت، نحو جبروت وملكوت، وقيل أصله طغووت ولكن قلب لام الفعل نحو صاعقة وصاقعة ثم قلب الواو ألفا لتحركه وانفتاح ما قبله "[5].

---

[1] العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ج4 ص435، وانظر معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ج3ص412، وتهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي ج8ص167

[2] تَبَيَّغَ به الدمُ هاجَ به وذلك حين تَظْهَرُ حُمْرَتُه في البَدَن وهو في الشفة خاصّة: لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ج1 ص403

[3] الصحاح في اللغة: للجوهري ج6 ص2412، وانظر مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ج1ص403

[4] انظر تهذيب اللغة ج8ص168

[5] غريب القرآن للأصفهاني ج1 ص305، وانظر لسان العرب ج8 ص 444

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

" والطاغوت يذكر ويؤنث، قال الله - تعالى -: ﴿ **وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا** ﴾{الزمر17}، وقال - تعالى -: ﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ** ﴾{النساء:60} "[1]

" والطَّاغُوتُ الكاهن، والشيطان، وكل رأس في الضلال، يكون واحدا كقوله - تعالى -: ﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا** ﴾{النساء:60} ويكون جمعا كقوله - تعالى -:﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ**﴾{البقرة:257} والجمع الطَّوَاغِيتُ"[2].

" والطاغية: الجبار العنيد "[3].

" والطاغية: الذي لا يبالي ما أتى، يأكل الناس ويقهرهم، لا يثنيه تَحَرُّج[4] ولا فَرَق[5] "[6].

" والطاغية: الأحمق المستكبر الظالم "[7].

" والطاغية: العظيم الظلم الكثير الطغيان، والتاء للمبالغة، والصاعقة، وفي التنزيل العزيز ﴿ **فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ**﴾{الحاقَّة:5}[8] .

والخلاصة أن: كلَّ شَيْءٍ جاوزَ الحَدَ فقدْ طَغَى، ذكر ذلك أبو منصور الثعالبي ونسب ذلك إلى أئمة اللغة[9] .

ثانياً الحكام لغة:

" (حكم) الحاء والكاف والميم أصلٌ واحد، وهو المنْع، وأوّل ذلك الحُكْم، وهو المَنْع من الظُّلْم "[10].

---

[1] انظر تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ج38ص496، وانظر لسان العرب ج8ص 444، وأنظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ج2ص373

[2] مختار الصحاح: لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ج1 ص403 **ش**، وانظر تاج العروس من جواهر القاموس ج38ص496، وانظر لسان العرب ج8ص 444، انظر تهذيب اللغة ج8 ص167

[3] كتاب العين ج4 ص435

[4] الحرَجَ: الإثم انظر معجم مقاييس اللغة ج2 ص50

[5] الفَرَق:الخوف، انظر تهذيب اللغة ج9 ص108

[6] تهذيب اللغة ج8 ص167

[7] المصدر السابق ج8 ص167

[8] المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار ج2 ص559

[9] فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي ص42

[10] معجم مقاييس اللغة ج2 ص91

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

و" الحُكْمُ: مصدر قولك حكَمَ بينهم يَحْكُمُ، أي قضى، وحكَمَ له، وحكَمَ عليه، والحُكْمُ أيضاً: الحِكمَة من العلم، والحَكيمُ: العالم، وصاحب الحكمة، والحَكيم: المتقِن للأمور، وقد حَكُم بضم الكاف، أي صار حكيماً ..... وأَحْكَمْتُ الشيء فاسْتحْكَمَ، أي صار مُحْكَماً، والحَكَمُ، بالتحريك: الحَاكِمُ، وفي المَثَل: في بيته يُؤْتَى الحَكَمُ، ..... ويقال أيضاً: حَكَّمْتُهُ في مالي، إذا جعلتَ إليه الحُكْمَ فيه، فاحْتَكَمَ عَلَيَّ في ذلك، واحْتَكَموا إلى الحاكم وتَحَاكَموا بمعنىً. والمُحاكَمَةُ: المخاصَمة إلى الحاكم، والمُحَكَّم الشيخ المجرَّب، المنسوب إلى الحكمة. "[1].

" والحُكْمُ القضاء، وجمعه أحكام، لا يكسر على غير ذلك، وقد حكم عليه بالأمر، يحكم حكما وحكومة، وحكم بينهم كذلك، والحاكم منفذ الحكم، والجمع حكام وهو الحكم، وحاكمه إلى الحَكَم دعاه، ..... والاسم الأحكومة والحكومة "[2]

وفي المصباح المنير:

" الحُكْمُ: القضاء، وأصله المنع، يقال: حَكَمْتُ عليه بكذا، إذا منعته من خلافه فلم يقدر على الخروج من ذلك، وحَكَمْتُ بين القوم فصلت بينهم، فأنا حَاكِمٌ وحَكَمٌ بفتحتين، والجمع حُكَّامٌ "[3]

" والحاكم من نصب للحكم بين الناس، وجمعه حُكَّام"[4]

ملاحظة: لم تجتمع لفظة طَغَى أو مشتقاتها مع لفظة حَكَم أو مشتقاتها في القرآن كله إلا في موضع واحد، وذلك في قوله - تعالى -: ﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا** ﴾{النساء60}

لذلك يرى الباحث أن يذكر بعضاً من أقوال العلماء في المقصود بالطاغوت قبل وضع الاصطلاح الذي يرمي إليه في بحثه هذا .

أقوال العلماء في الطاغوت:

- **قال مالك - رحمه الله** -: " الطاغوت كل ما عبد من دون الله - تعالى - "[5]

- **وقال ابن جرير الطبري - رحمه الله** -: " والصواب من القول عندي في الطاغوت، أنه كل ذي طغيان على الله، فعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له،

---

[1] الصحاح في اللغة ج5 ص1901

[2] المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ج3 ص49

[3] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ج1ص145

[4] المعجم الوسيط ج1ص190

[5] انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ج2 ص66

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

إنسانا كان ذلك المعبود، أو شيطانا، أو وثنا، أو صنما، أو كائنا ما كان من شيء. و أرى أصل الطاغوت، الطغووت، من قول القائل: طغا فلان يطغو، إذا عدا قدره، فتجاوز حده "[1].

- **وقال ابن تيمية - رحمه الله -**: " الطاغوت فعلوت من الطغيان، والطغيان: مجاوزة الحد، وهو الظلم والبغي، فالمعبود من دون الله إذا لم يكن كارها لذلك طاغوت، ولهذا سمى النبي - ﷺ- الأصنام طواغيت في الحديث الصحيح لما قال: " وَيَتْبَعُ مَنْ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ "[2] والمطاع في معصية الله، والمطاع في إتباع غير الهدى ودين الحق سواء كان مقبولا خبره المخالف لكتاب الله، أو مطاعا أمره المخالف لأمر الله هو طاغوت، ولهذا سمى من تُحُوكِمَ إليه من حاكم بغير كتاب الله طاغوت، وسمى فرعون وعاداً طغاة "[3]

- **وقال ابن القيم - رحمه الله -**: "الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده، من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت العالم، إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله، وإلى الرسول، إلى التحاكم إلى طاغوت، وعن طاعته،ومتابعة رسوله، إلى طاعة الطاغوت ومتابعته "[4].

- **وقال القرطبي - رحمه الله -**: " الطاغوت الكاهن، والشيطان، وكل رأس في الضلال "[5].

- **وقال محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -**: " الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت"[6].

- **وقال محمد رشيد رضا - رحمه الله -**: " الطاغوت هو كل ما تكون عبادته والإيمان بِه سببًا للطغيانِ والخروجِ عنِ الْحق من مخلوق يعبد، ورئيسٍ يُقَلَّدُ، وهوًى يُتَّبَعُ "[7]

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري ج5 ص419

[2] أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة ج13 ص303 ح رقم7927، علَّق عليه شعيب الأرناؤوط بقوله إسناده صحيح ج13 ص307

[3] مجموع الفتاوى لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ج28 ص201

[4] إعلام الموقعين عن رب العالمين لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المشهور بابن قيم الجوزية ج1 ص50

[5] الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي ج3 ص282

[6] مجموعة التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب ص12

[7] تفسير المنار: لمحمد رشيد بن علي رضا ج5 ص127

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

- **وقال الشنقيطي - رحمه الله -**: " والتحقيق أن كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت "[1].

- **وقال المودودي - رحمه الله -**: " المراد من الطاغوت كل فرد أو طائفة أو إدارة تبغي وتتمرد على الله، وتجاوز حدود العبودية وتدعي لنفسها الألوهية والربوبية .

وقال: ومعنى الطاغوت في اصطلاح القرآن، كل دولة أو سلطة، وكل إمامة، أو قيادة، تبغي على الله وتتمرد، ثم تنفذ حكمها في أرضه، وتحمل عباده على طاعتها بالإكراه، أو بالإغراء، أو بالتعليم الفاسد.

فاستسلام المرء لمثل تلك السلطة، وتلك الإمامة والزعامة، وتعبُّده لها ثم طاعته إياها، كل ذلك منه عبادة - ولا شك – للطاغوت "[2]

- **وقال سيد قطب - رحمه الله -**: " والطاغوت صيغة من الطغيان، تفيد كل ما يطغى على الوعي، ويجور على الحق، ويتجاوز الحدود التي رسمها الله للعباد، ولا يكون له ضابط من العقيدة في الله، ومن الشريعة التي يسنها الله، ومنه كل منهج غير مستمد من الله، وكل تصور أو وضع أو أدب أو تقليد لا يستمد من الله "[3]، **ويقول في موضع آخر**: " إن الطاغوت هو كل سلطان لا يستمد من سلطان الله، وكل حكم لا يقوم على شريعة الله، وكل عدوان يتجاوز الحق، والعدوان على سلطان الله وإلوهيته، وحاكميته هو أشنع العدوان، وأشده طغيانا، وأدخله في معنى الطاغوت لفظاً ومعنى، وأهل الكتاب لم يعبدوا الأحبار والرهبان ولكن اتبعوا شرعهم فسماهم الله عبادا لهم، وسماهم مشركين ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ** ... ﴾{التوبة31} ، فهم عبدوا الطاغوت، أي السلطات الطاغية المتجاوزة لحقها، وهم لم يعبدوها بمعنى السجود والركوع، ولكنهم عبدوها بمعنى الإتباع والطاعة، وهي عبادة تخرج صاحبها من عبادة الله ومن دين الله"[4].

- وقال **محمد السيد الوكيل**: " الطواغيت جمع طاغوت، وهو مشتق من الطغيان، الذي هو تجاوز الحد، فالشيطان الذي يصرف الناس عن الخير طاغوت، والصديق الذي يلهي صديقه عن الحق طاغوت، والزوجة التي تحول بين زوجها والدعوة إلى الله طاغوت، والمال الذي يورث صاحبه غطرسةً وكبراً يصرفانه عن الرشد طاغوت، والحاكم الذي يشرِّع للناس

---

[1] اضواء البيان ج1 ص159

[2] انظر المصطلحات الأربعة: المودودي ص 83 وص107

[3] في ظلال القرآن ج1ص292

[4] المرجع السابق ج2 ص926-927

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

ليصرفهم عن شرع الله، أو يخوفهم فلا يتمكنون من عبادة الله، أو يحجر على أفكارهم وعقولهم حتى لا يروا إلا ما يرى، ولا يفعلوا إلا ما يهوى طاغوت"[1].

- **وقال محمد حامد الفقي - رحمه الله** -: "والذي يستخلص من كلام السلف - رضي الله عنهم -: أن الطاغوت كل ما صرف العبد وصده عن عبادة الله، وإخلاص الدين والطاعة لله ولرسوله، سواء في ذلك الشيطان من الجن، والشيطان من الإنس، والأشجار، والأحجار، وغيرها، ويدخل في ذلك بلا شك الحكم بالقوانين الأجنبية عن الإسلام وشرائعه، وغيرها من كل ما وضعه الإنسان ليحكم به في الدماء، والفروج والأموال، وليبطل بها شرائع الله من إقامة الحدود، وتحريم الربا، والزنا، والخمر، ونحو ذلك، مما أخذت هذه القوانين تحللها وتحميها بنفوذها ومنفذيها.

والقوانين نفسها طواغيت، وواضعوها ومروجوها طواغيت، وأمثالها من كل كتاب وضعه العقل البشري ليصرف عن الحق الذي جاء به رسول الله - ﷺ - إما قصدا أو عن غير قصد من واضعه، فهو طاغوت"[2].

ومما تقدم يتبين لنا:

- إن الطاغوت هو كل ما يصرف الناس عن الله - ﷻ - أو عن الحق الذي دعاهم إليه سبحانه على لسان رسوله - ﷺ - .

- إن أصناف الطواغيت كثيرة ومتعددة، فكل ما يصرف عن الله - ﷻ -، ولو في جزئية أو مجال من مجالات العبادة طاغوت، فمن يصرف عن الله من جهة الحب والموالاة والمعاداة فهو طاغوت، ومن يصرف عن الله من جهة الطاعة والاتباع والتحاكم فهو طاغوت، ومن يصرف عن الله من جهة الدعاء والخشية والنذر والنسك فهو طاغوت، ومن يصرف عن الله من جهة الإقرار له بخصائص الإلهية أو بعضها فهو طاغوت .

- ومما يندرج كذلك في مسمى الطاغوت، الشرائع والقوانين، والدساتير والمناهج المضاهية لشرع الله، وكذلك كل إمام في الكفر والفساد والإضلال فهو طاغوت .

وسيتناول الباحث في بحثه هذا صنفاً واحداً من هذه الأصناف هو صنف الحكام، لذا يرى الباحث أن يضع لهذا الصنف من الطواغيت تعريفاً يجمع أطرافه ويمنع غيره من الدخول فيه.

---

[1] القيادة والجندية في الإسلام، لمحمد السيد الوكيل ج1 ص130

[2] حاشية كتاب فتح المجيد: لأبي عبد الرحمن حسن آل الشيخ ص 278

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

تعريف الحاكم الطاغية:

مما سبق يمكن أن نستنتج أن الحاكم الطاغية هو: **الحاكم الذي يتجاوز حدود الشرع فيما أوجب الله - ﷻ - لرعيته عليه قاصداً ذلك سواءً كان هذا الحاكم فرداً أو جماعة أو حزباً أو دولة.**

شرح التعريف:

- **الحاكم**: هو من يتولى سياسة الدولة، وتنظيم شؤونها، والفصل في مشكلاتها وقضاياها، وفي علاقات أفراد الشعب وشئون معاشهم وعمرانهم، والدفاع عنهم، وفي العلاقات بينهم وبين الدول والشعوب الأخرى سواءً أطلق على هذا الحاكم لقب خليفة، أو أمير مؤمنين، أو إمام، أو ملك، أو أمير، أو سلطان، أو رئيس جمهورية، أو رئيس وزراء، ويخرج بهذا القيد، كل من لا يتمتع بهذه الصفة - صفة الحكم – كالكتبة، والسعاة والفراشين ..الخ .

- **يتجاوز حدود الشرع**: فسلطات الحاكم في الإسلام ليست مطلقة، وليس له أن يُشَرِّع ما يشاء كيفما شاء ووقتما شاء، بل عليه أن يضبط تصرفاته وفق حدود الشرع والذي هو من حق الله - ﷻ - وحده، ويخرج بهذا القيد الحكام المقسطون الذين يلتزمون حدود الشرع في حكمهم.

- **فيما أوجب الله - ﷻ - لرعيته عليه**: فقد أوجب الله - ﷻ - للرعية على الحاكم حقوقاً، على الحاكم حمايتها والقيام عليها حتى لا يُنْتَقَصَ منها شيء، ويخرج بهذا القيد كل ما لا يجب لرعيته عليه، كبعض الحقوق التي نصت عليها مواثيق حقوق الإنسان، التي تتعارض مع شرعنا .

- **قاصداً ذلك**: ويخرج بهذا القيد كل تجاوز نتيجة الخطأ في الاجتهاد، أو الخطأ في الفهم، أو السهو .

- **سواءً كان هذا الراعي فرداً أو جماعة أو حزباً أو دولة**: لأن ممارسة الطغيان قد تصدر عن فرد كما هو الحال في الأنظمة التسلطية[1]، وقد ضرب القرآن فرعون والنمرود مثلاً لهذا النوع من الطغيان، وقد تصدر عن حزب أو جماعة كما هو الحال في الأنظمة الديمقراطية، وقد استخدم القرآن لفظ الملأ في معظم الأحيان للتعبير عن ذلك[2]، وقد يصدر الطغيان عن دولة بحق دولة أخرى كما هو الحال في حالات الاحتلال مثل ما هو الحال مع عاد وثمود .

---

[1] كالدكتاتورية، والسلطة المطلقة، والأنظمة الشمولية، والأوتوقراطية انظر كتاب الطاغية لعبد الفتاح إمام ص38

[2] انظر أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص366

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وبناءً على ما سبق يرى الباحث أن يشير باقتضاب واختصار إلى واجبات الحاكم في الدولة المسلمة – ودافع الاقتضاب والاختصار: أن واجبات الحاكم تحتاج إلى بحث مستقل يجمع أطرافه بما يحقق مصالح الناس وحاجاتهم المتجددة عبر الزمان والمكان، فقد اجتهد الأوائل لزمانهم، واستنبطوا من القرآن والسنة وأعمال أعلام الأمة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم أجمعين ما كفاهم لزمانهم، وعلينا في هذا الزمان أن نتوجه إلى نفس المصدر لنستنبط منه ما يكفينا لزماننا .

ولكن وقبل الخوض في مهمات الحاكم وصلاحياته يرى الباحث أن ينبه إلى بعض الأمور الهامة:

- **أولاً السيادة في الإسلام للشرع**[1]: وبيان ذلك أن الإسلام يتسم بشمول معالجته لجميع نواحي الحياة الإنسانية، فالإسلام لا يقتصر على العبادات الفردية كالصلاة والصوم، بل ينظم حياة الناس في كل مجالاتها: السياسية والاجتماعية والاقتصادية...إلخ، وشرع من الأحكام في كل هذه المجالات ما يحقق الأمن والطمأنينة والخير والسعادة للفرد والأمة، لذلك يجب على المسلمين أفراداً وجماعة أن يلتزموا بشريعة الله ويجعلوها أساس حياتهم يقول الله - ﷻ - ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾{النساء65} .

وعلى ذلك فيجب أن تكون السيادة للشرع، مما يعني أن يكون الإسلام مصدر التشريعات والقوانين والأنظمة، ولا يجوز سنُّ أيِّ تشريع يخالف أحكام الشرع يقول الله - ﷻ - ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾{يوسف40}

يقول سيد قطب رحمه الله: " فسلطان القانون في الإسلام مستمد من أن هذا التشريع جاء به الرسول - ﷺ - قرآناً وسنة، والأمة كلها والإمام معها لا تملك أن تخالف عما جاء به الرسول - ﷺ -[2]، فإذا شرعت ما يخالفه لم يكن لتشريعها هذا سلطان، لأنه فقد السند الأول الذي يستمد منه السلطان، وهذه النظرية تخالف جميع النظريات البشرية الوضعية، بما فيها تلك التي تجعل الأمة مصدر السلطات، بمعنى أن للأمة أن تشرع لنفسها ما تشاء، وكل ما تشاء، وكل ما تشرعه فهو ذو سلطان، فمصدر السلطات في الإسلام هو شرع الله الذي جاء به الرسول - ﷺ - والأمة تقوم على هذه الشريعة وتحرسها وتنفذها، والإمام

---

[1] انظر نظام الإسلام لوهبة الزحيلي ص159 والتي تليها

[2] انظر أصول الدعوة ص217

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

نائب عن الأمة في هذا، وفي هذا تنحصر حقوق الأمة، فليس لهـا أن تخـالف عمـا آتاهـا الرسول في أي تشريع .

فأما حيـن لا توجـد نصـوص فيمـا جاء به الرسول بخصوص أمـر يعـرض للأمـة، فسـبيلها أن تُشَرِّعَ له بما لا يخالف أصلاً من أصول ما جـاء به الرسـول - ﷺ - وهـذا لا ينقض تلك النظرية، إنما هو فرع عنها، فالمرجع في أي تشريع هـو أن يتبـع ما جاء به الرسول - ﷺ - إن كان هناك نص، وألا يخالف أصلاً من أصـوله فيـما لا نـص فـيه، وتنحصـر سلطـة الأمة والإمام النائب عنها في هذه الحدود، وهو نظام فريد لا يماثله نظام آخر مما عرفته البشرية من نظم وضعيه "[1]

" فسلطة الإمام - أي الحاكم - في الشريعة ليست مطلقة، وليـس له أن يفعل ما يشاء ويـدع ما يشـاء، وإنمـا هو فرد من الأمة اختير لقيادتها، وعليه للأمة التزامات، ولـه على الأمة حقوق، وله من السلطة ما يستطيع أن يؤدي به التزاماته ويستوفي به حقوقه، وهـو في أداء واجباتـه واستيفـاء حقوقه مقيد بأن لا يخرج على نصوص الشريعة أو روحها، وذلك طبقاً لقوله تعالى: ﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ** ﴾{المائدة49}، وقوله: ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾{الجاثية18}، وقوله: ﴿ **وَمَنْ لَّمْ يَحْكُم بِمَـا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾{المائدة44}.

وإذا كان الإمام - أي الحاكم - مقيداً بأن يتبع الشريعة وأن يحـكم طبـقاً لنصوصها، فمعنى ذلك أن سلطته مقيدة بنصوص الشريعة، فما أباحته فقد امتد سلطانه إليه، وما حرمته عليه فلا سلطان له عليه، والشريعة لا تبيح للحاكم إلا ما تبيحه لكل فرد، ولا تحرم عليه إلا ما حرمته على كل فرد "[2].

- **ثانياً الحاكم في الإسلام مسئولٌ عن عدوانه وأخطائه**: " وبعد أن بينت الشريعة واجبـات الإمام - أي الحاكم – وحقوقـه وحددت سلطته على الوجه السابق جعـلته مسئـولاً عـن كـل عمـل يتجـاوز به سلطانه، سواء أتعمد هذا العمل أم وقع العمل نتيجة إهمـاله، ولـم تكـن الشريعـة فـي تقرير مسئولية الحكام عن تصرفاتهم إلا متمشية مع منطـق الأشياء، فقـد بينت للحاكم حقه وواجبه وألزمته بأن لا يخرج عن أحكام الشريعة، وجعلـته كأي فرد عادي فلـم تميزه على غيـره بأي ميـزة، فكـان مـن الطبيعي - تحقيقاً للعدالة والمساواة

---

[1] في ظلال القرآن ج6 ص3525

[2] التشريع الجنائي في الإسلام، لبعد القادر عودة ج1ص43

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

واستجابة للمنطق - أن يُسْأَل الحاكم عن كل عمل مخالف للشريعة سواء أتعمد هذا العمل أم وقع منه نتيجة إهماله، ما دام كل فرد يُسْأَلُ كذلك عن أعماله المخالفة للشريعة "[1].

- **ثالثاً حق الأمة في عزل الحكام**: الشعب في الإسلام هو الذي يختار الحاكم لينوب عنه في تطبيق شرع الله، والإشراف على شئون الأمة وقيادتها في الطريق التي رسمتها الشريعة، وينبني على هذا المنطق أن الحاكم الذي يقوم بمهمته في الحدود المقررة لها يجب له على الشعب السمع والطاعة، أما الحاكم الذي لا يقوم بالتزاماته أو يخرج على حدودها فليس له أن ينتظر من الشعب السمع والطاعة، وعليه هو أن يتنحى عن مركزه لمن هو أقدر منه على الحكم في حدود ما أنزل الله، فإن لم يتنح مختاراً نحّاه الشعب مكرهاً واختار غيره.

وهذا الذي يقتضيه المنطق هو نفس حكم الشريعة الصريح، جاء به القرآن وأمر به الرسول، وعمل به الخلفاء الراشدون من بعده، فالله - جل شأنه - يأمر بطاعة أولي الأمر في حدود ما جاء به الرسول فيقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾{النساء59}، والرسول - ﷺ - يقول: (**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**)[2]، ويقول: " **إنما الطاعة في المعروف** "[3].

وبعد موت الرسول - ﷺ - اختار المسلمون أبا بكر خليفة عليهم، فكان في أول خطبة خطبها حريصاً على تطبيق هذه النصوص تطبيقاً دقيقاً حيث قال: " أيها الناس، قد وليت عليكم ولست بخيركم، إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم "[4].[5]

بعد هذا التنبيه والإيضاح سيشرع الباحث في بيان واجبات الحاكم المسلم ومهماته.

المطلب الثاني:

واجبات الحاكم المسلم ومهماته:

إن مهمات رئيس الدولة، وواجباته، أو وظائفه، إنما هي تحقيق أهداف الدولة الإسلامية وتحقيق مقاصدها، وهي كما بينها عدد من العلماء والمفكرين من رجال السلف تدور حول

---

[1] التشريع الجنائي في الإسلام ج1 ص44 بتصرف

[2] الجامع الكبير: لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ح1707، قال الألباني حديث صحيح انظر صحيح الجامع الصغير ج2 ص1250

[3] أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، حديث رقم 7145

[4] سيرة ابن هشام ج 4ص311

[5] أنظر التشريع الجنائي في الإسلام ج1 ص44-45

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

محورين هما كما يقول الماوردي - رحمه الله -: " حراسة الدين وسياسة الدنيا "[1]، وكـذلك عرف ابن خلدون - رحمه الله - الخلافة فقال: " خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به "[2] وضَمَّنَ المعنى نفسه التفتازاني - رحمه الله - من المؤلفين في العقائد - في تعريفه لها بقوله: "إنها رياسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي - ﷺ -"[3] .

" ومما سبق يَتَبَيَّنُ أَنَّ وَاجِبَاتِ الحاكم المسلم إِجْمَالاً هِيَ كَمَا يَلِي:

- حِفْظُ الدِّينِ عَلَى أُصُولِهِ الثَّابِتَةِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ سَلَفِ الأُمَّةِ، وَإِقَـامَةُ شَعَائِرِ الدِّينِ .

- رِعَايَةُ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْوَاعِهَا "[4] .

ثُمَّ يشرع الإمام الْمَاوَرْدِيُّ - رحمه الله - في بيان وَاجِبَاتِ الإِمَامِ - الحاكم المسلم - بشيء من التفصيل فَيَقُول: " الذي يلزم الإمام من الأمور العامة عشرة أشياء:

أحدها: حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة، فإن نَجَمَ مبتـدع أو زاغ ذو شبهـة عنـه أوضح له الحجة، وبين له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود، ليكون الدين محروسا من خلل، والأمة ممنوعة من زلل .

الثاني: تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بين المتنازعين، حتى تعم النصفة، فـلا يتعدى ظالم، ولا يضعف مظلوم .

الثالث: حمايـة البيضـة، والـذب عـن الحريم، ليتصرف الناس في المعايش وينتشروا في الأسفار، آمنين من تغرير بنفس أو مال .

الرابع: إقامـة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك .

الخامس: تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة، حتى لا تظفر الأعداء بِغِرَّةٍ ينتهكـون فيها محرما، أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد دما .

السادس: جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم، أو يدخل في الذمة، ليقـام بحـق الله تعالى في إظهاره على الدين كله .

السابع: جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصا واجتهادا مـن غيـر خـوف ولا عَسْفٍ .

---

[1] الأحكام السلطانية لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ص15

[2] تاريخ ابن خلدون: لعبد الرحمن بن خلدون ج1 ص159

[3] شرح المقاصد في علم الكلام لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني ج2 ص272

[4] الموسوعة الفقهية الكويتية صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت ج6 ص230

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الثامن: تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير .

التاسع: استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال ويوكل إليهم من الأموال، لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة، والأموال بالأمناء محفوظة .

العاشر: أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال، لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلا بلذة أو عبادة، فقد يخون الأمين، ويغش الناصح"[1] .

وهذا الذي ذكره الماوردي - رحمه الله - يتفرع عنه عدة اختصاصات أخرى بحسب تغير الظروف والأوضاع والتطورات الحادثة[2]، فعلى سبيل المثال من التطبيقات المعاصرة على البند الأول:

- الاهتمام بعلوم الإسلام وجعلها مادة أساسية في جميع مراحل التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي والجامعي .

- الاهتمام بإيجاد المؤسسات التي تقوم على تعليم الناس أمور دينهم مثل: المساجد، ودور القرآن والسنة، والجامعات، والكليات المتخصصة .

- إيجاد المرجعيات الشرعية الفاعلة وذات المصداقية التي تقدم الحلول لمشاكل العصر ومستجداته، وتفتي الناس وتجيب على تساؤلاتهم، وتدحض افتراءات المبطلين، وترد شبهات المشككين .

- إجلال علماء الشرع، وتقديرهم، ورفع مكانتهم، والتردد عليهم، والأخذ بنصائحهم، وكفايتهم، وعدم التدخل في شئونهم .

- تنقية وسائل الإعلام من كل ما يقدح في الدين أو يخدش الحياء .

وما قيل في البند الأول يمكن أن يقال مثله في بقية البنود، فلكل بند منها تطبيقاته التي تلائم العصر ولا تخرج عن روح الشريعة المنزلة .

" هذا وقد ذكر د. محمد أبو فارس أن الأستاذ محمد يوسف موسى قد اقترح أن يضم إلى الواجبات التي ذكرها الماوردي واجبين آخرين هما:

1- **نشر العلم** .

2- **العمل على توفير الحياة الكريمة لكل فرد من أفراد الرعية** "[3].

---

[1] الأحكام السلطانية ص 40

[2] انظر نظام الإسلام لوهبة الزحيلي ص204

[3] النظام السياسي في الإسلام لعبد القادر أبو فارس ص201

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وأضاف الدكتور عبد الكريم زيدان واجبين آخرين وهما:

1- **تهيئة ما يحتاجه الناس من مختلف الصناعات والحرف والعلوم**: وذكر أن هذه الأمور من فروض الكفاية التي يجب وجودها في الأمة لسد حاجاتها.

2- **استثمار خيرات البلاد بما يحقق للرعية الرفاه الاقتصادي والعيش الكريم**[1] .

ويرى الباحث ضرورة زيادة أمور ثلاثة دعت الحاجة إلى التنبيه إليها وهي:

1- **أن يحكم بالشريعة الإلهية، لا بالقوانين الوضعية**: وهذا من أوجب الواجبات علي الحاكم نحو رعيته، وليس للراعي ولا للرعية خيار في ترك ذلك، يقول الله - ﷻ -: ﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ** ﴾{المائدة49}، ويقول: ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾{الجاثية18}، ويقول: ﴿ **وَمَنْ لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾{المائدة44}. وأن لا يخشى في سبيل تطبيق شرع الله لومة لائم، وليعلم أن من نصر الله نصره الله، ومن خذل دين الله خذله الله.

2- **أن يجعل من الشورى قاعدةً للحكم فيما لا نص فيه**: فلا ينفرد برأي ولا يستبد بأمر، فإن الله - ﷻ - لو أغنى أحداً عن ذلك لأغنى نبيه محمداً - ﷺ - عن ذلك، بالوحي الذي يأتيه .

يقول الله - ﷻ -: ﴿ ... **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**... ﴾{آل عمران159}، قال الإمام النووي - رحمه الله -: " والمختار الذي عليه جمهور الفقهاء ومحققو أهل الأصول أن الأمر للوجوب "[2] .

قال ابن عطية: " والشورى من قواعد الشريعة، وعزائم الأحكام؛ من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، هذا ما لا خلاف فيه "[3]، وقد مدح الله - ﷻ - المؤمنين بقوله: ﴿ ... **وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ** ... ﴾{الشورى38}

3- أن **يحمي الحقوق ويطلق الحريات**: أما الحقوق فلأن أعظم مقاصد الشريعة حفظ الضرورات الخمس - الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل -[4] وحفظ هذه الضرورات يكون بأمرين:

---

[1] انظر أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص226،227

[2] صحيح مسلم بشرح النووي لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ج4 ص76

[3] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ج1 ص534، وانظر الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري ج4 ص249

[4] انظر الموافقات ج2 ص20

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الأول: " ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود .

والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم"[1].

فكل ما يحفظ هذه الضرورات ويدرأ عنها الأخطار حق لكل مسلم على الحاكم حمايته والقيام عليه .

وأما الحريات فتلك التي تدخل في باب المباح[2]، ولا يلحق فاعلها مدح ولا ذم، فليس لأحدٍ منع الناس منها، كحرية التعبير والتنقل والسفر وحرية اختيار العمل ...الخ .

" فإن طرأ طارئ اتخذ الحاكم المسلم من التدابير ما يحقق سعادة الأمة بشرطين:

الأول: ألا يخالف نصاً صريحاً ورد في القرآن أو السنة أو الإجماع .

الثاني: أن تتفق التدابير مع روح الشريعة ومقاصدها العامة، طبقاً لما بينه علماء أصول الفقه"[3].

ويرى الباحث قبل أن يغادر هذا المطلب أن يختمه بمجموعة من أحاديث النبي - ﷺ - توضح عِظَم المسؤولية الملقاة على كاهل الحكام:

عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله - ﷺ -: " **ما من عبد يسترعيه الله رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة** "[4]

وفي رواية أخرى لمسلم: " **مَا مِنْ أمِير يَلِي أُمُورَ المُسلمينَ، ثم لا يَجْهدُ لهم، وَيَنْصَحُ لهم، إلا لم يَدْخُلْ مَعَهُمُ الجَنَّةَ** "[5].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله - ﷺ - يقول في بيتي هذا: " **اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به** "[6]

---

[1] الموافقات ج2 ص18

[2] المباح ما خير الشارع بين فعله وتركه، أصول الفقه الإسلامي لوهبة الزحيلي ج1 ص87

[3] نظام الإسلام ص207

[4] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، ح رقم 142 .

[5] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، ح رقم 142

[6] أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ح رقم 1828.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وعن عائذ بن عمرو قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: " **إن شر الرعاء الحطمة**[1] "[2]

وعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: " **كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** "[3] .

إنها مسؤولية عظيمة لا يتعرض لها فيفرط فيها إلا أحمق سيء الظن بالله، وفي ذلك يقول النبي - ﷺ -: (**إِنَّكم ستَحرِصُونَ على الإِمَارَةِ، وستَكُونُ نَدَامَة وَحَسْرَة يوم القِيَامَةِ، فَنِعْمَتِ المُرضِعَةُ، وبِئْسَتِ الفَاطِمَةُ**)[4]

وهذه مجموعة أقوال لمجموعة من الخلفاء سارت على نهج النبي - ﷺ - في سياسة الأمة، فبقيت أسماؤهم خالدة في ذاكرة الزمان:

" لما بويع أبو بكر - رضي الله عنه - صعد المنبر فنزل مرقاة من مقعد النبي - ﷺ - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اعلموا أيها الناس أن أكيس الكيس التقى، وإن أحمق الحمق الفجور، وإن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه، إنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوموني، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ولا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالفقر، ولا ظهرت الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، فأطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم "[5]

وخطب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال يعلم الناس حقوقهم تجاه الأمراء:

" يا أيها الناس: إني والله ما أرسل إليكم عمالاً ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا من أموالكم، ولكني أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فعل به شيء من ذلك فليرفعه إلي. فو الذي نفس عمر بيده لأقصنه منه، فوثب عمرو بن العاص فقال:

---

[1] الحطمة: الراعي العسوف العنيف، المعجم الوسيط ج1ص183

[2] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ح رقم 1830 .

[3] صحيح البخاري كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن ح893

[4] صحيح البخارى كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة، ح رقم 6729

[5] تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ج30 ص302

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

يا أميـــر المؤمنين أرأيتك إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعيته، فأدب بعض رعيته، إنك لتقص منه؟

" قال عمر: أي والذي نفس عمر بيده، إذا لأقصنه منه، وكيف لا أقــص منـــه، وقــد رأيت رسول الله - ﷺ - يقص من نفسه، ألا لا تضربوا الناس فتذلـــوهم، ولا تجمروهم[1] فتفتنوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم "[2].

وكتب عثمان إلى أهل الأمصار

" أما بعد: فإني آخـــذ العمـــال بموافاتي فـــي كـــل موسم، وقــد سلطت الأمة منـــذ وليـــت على الائتمار بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يرفع إلي شيء علي ولا علـــى أحـــد مـــن عمالي إلا أعطيته، وليس لي ولا لعمالي حق قبل الرعية إلا متروك لهم، وقــد رفع إلي أهل المدينة أن أقواما يُشْتَمُون، وآخرين يُضْرَبُون، فيا من ضُرِبَ سرا وشُتِمَ سرا مـــن ادعى شيئا من ذلك فليواف الموسم، وليأخذ بحقه كيف كان مني أو من عمـــالي، أو تـــصدقوا فـــإن الله يجزي المتصدقين "[3] .

المطلب الثالث:

استخدام القرآن للفظة " طغى " ومشتقاتها:

يهدف الباحث من هذا المطلب إلى تسليط الضوء على اســتخدامات القــرآن للفظــة طغـــى ومشتقاتها، ومن ثم استنتاج موقف القرآن من الطغيان على مستوى اللفــظ، لـــذلك ســيتتبع الباحث الآيات التي ورد فيها هذا اللفظ أو أحد مشتقاته ويُتْبِعُه بالتفسير مباشرة ودون تـــدخل من الباحث .

وردت كلمة طغى ومشتقاتها في تسع وثلاثين موضعا من كتاب الله[4] وهي على النحو التالي:

الكلمة	عدد مرات الورود	الكلمة	عدد مرات الورود
طغى بالألف اللينة	خمس مرات	طاغين	أربع مرات
طغا بالألف الممدودة	مرة واحدة	أطغى	مرة واحدة
طَغَوْ	مرة واحدة	الطاغية	مرة واحدة
تطغو	ثلاث مرات	بطغواها	مرة واحدة

[1] يقال جَمَّرَ فلانٌ جيشَه إذا حَبَسَهم في الغَزْوِ ولم يُعِدْهُم إلى بلادهم انظر معجم مقاييس اللغة ج1ص477

[2] إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري ج4 ص192

[3] تاريخ مدينة دمشق ج39ص306

[4] انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي ص541-542

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

يطغي	مرتين	طغياناً	أربع مرات
أطغيته	مرة واحدة	طغيانهم	خمس مرات
طاغون	مرتين	الطاغوت	ثماني مرات

وسيقوم الباحث بتتبعها وذكر خلاصة أقوال المفسرين فيها:

- ﴿**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى** ﴾{طه24}
- ﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى** ﴾{طه43}
- ﴿**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى** ﴾{النازعات17}

" أي: تمرد وزاد على الحد في الكفر والفساد والعلو في الأرض، والقهر للضعفاء، حتى إنه ادعى الربوبية والألوهية - قبحه الله - "[1].

- ﴿ **مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى** ﴾{النجم17}

" أي ما مال بصر محمد - ﷺ - يميناً ولا شمالاً، ولا ارتفع عن الحد الذي حدد له" [2] .

- ﴿ **وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى** ﴾{النجم52}

" أي من قبل عاد وثمود، وكانوا أول أمة كذبت من أهل الأرض، ونوح - عليه السلام - أول الرسل، والظاهر أن الضمير في (إنهم)عائد على قوم نوح، وجعلهم (أظلم وأطغى) لأنهم كانوا في غاية العتو والإيذاء لنوح - عليه السلام - ، يضربونه حتى لا يكاد يتحرك، ولا يتأثرون لشيء مما يدعوهم إليه، وقال قتادة: دعاهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، كلما هلك قرن نشأ قرن، حتى كان الرجل يأخذ بيد ابنه يتمشى به إليه، يحذره منه ويقول: يا بني إن أبي مشى بي إلى هذا وأنا مثلك يومئذ، فإياك أن تصدقه، فيموت الكبير على الكفر، وينشأ الصغير على وصية أبيه "[3] .

- ﴿ **إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ** ﴾{الحاقة11}

" أي: زاد على الحد بإذن الله، وارتفع على الوجود، وقال ابن عباس: (طَغَى الْمَاءُ) كثر - وذلك بسبب دعوة نوح - عليه السلام - ، على قومه حين كذبوه وخالفوه، فعبدوا غير الله، فاستجاب الله له، وعمّ أهل الأرض بالطوفان، إلا من كان مع نوح - عليه السلام - في السفينة "[4].

- ﴿ **فَأَمَّا مَن طَغَى** ﴾{النازعات37}

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ص504

[2] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: لأبي بكر الجزائري ج5 ص189

[3] تفسير البحر المحيط: لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان ج8 ص166

[4] تفسير القرآن العظيم:لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ج8 ص567

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

" طَغَى: تجاوز الحد في عصيانه "[1].

- ﴿ **الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ** ﴾{الفجر11}

" أي تجبروا فيها وظلموا العباد وأكثروا فيها الفساد "[2].

- ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾{هود112}

" يأمـــر تعالى رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة، وذلك من أكبر العون علـــى النصر على الأعداء ومخالفة الأضداد، ونهى عن الطغيان، وهو البغي، فإنه مَصرَعة حـــتى ولو كان على مشرك، وأعْلَمَ – تعالى - أنه بصير بأعمال العباد، لا يغفل عن شيء، ولا يخفى عليه شيء "[3] .

- ﴿ **كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى** ﴾{طه81 }

" أي المنعم به عليكم (وَلاَ تَطْغَوْاْ فِيهِ) بأن تكفروا النعمـــة بـــه (فيحـــل عليكم غـــضبي) بكـــسر الحاء: أي يجب، وبضمها أي ينزل (ومن يحلل عليه غضبي) بكسر اللام، وضمها (فقد هوى) سقط في النار "[4].

- ﴿ **أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ** ﴾{الرحمن8}

" لئلا تطغوا فيه، أي لا تعتدوا، ولا تجاوزوا الإنصاف، وقـــرئ (لا تطغـــوا) علـــى إرادة القول"[5] .

- ﴿ **قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى** ﴾{طه45}

" أي يعجل علينا بالعقوبة، ومنه الفارط، يقال فرط عليه أي عَجَّل (أَوْ أَن يطغـــى) يجـــاوز الحد في الإساءة إلينا "[6] .

- ﴿ **كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى** ﴾{العلق6}

" يخبـــر - تعالى – عـــن الإنســـان أنه ذو فرح، وأشر، وبطر، وطغيان، إذا رأى نفسه قـــد استغنى، وكثر ماله "[7].

---

[1] تفسير البحر المحيط ج5 ص415

[2] أيسر التفاسير ج5 ص564

[3] تفسير القرآن العظيم ج4 ص354

[4] تفسير الجلالين - للمحلي والسيوطي ج1 ص413

[5] أنوار التنزيل وأسرار التأويل: للبيضاوي ج2 ص452

[6] مدارك التنزيل وحقائق التأويل: عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي ج3 ص51

[7] تفسير القرآن العظيم ج8 ص597

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

- ﴿ **قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ** ﴾{ق27}

" (قَالَ قَرِينُهُ) الشيطان، متبرئًا منه، حاملا عليه إثمه: (رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ) لأني لم يكن لي عليه سلطان، ولا حجة ولا برهان، ولكن كان في الضلال البعيد، فهو الذي ضل وأبعد عن الحق باختياره "[1] .

- ﴿ **أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ** ﴾{الذاريات53}

" (أَتَوَاصَوْاْ بِهِ) الاستفهام للتقريع والتوبيخ، والتعجيب من حالهم، أي: هل أوصى أوّلهم آخرهم بالتكذيب، وتواطئوا عليه؟ (بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغون) إضراب عن التواصي إلى ما جمعهم من الطغيان، أي: لم يتواصوا بذلك، بل جمعهم الطغيان، وهو مجاوزة الحدّ في الكفر "[2] .

- ﴿ **أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ** ﴾{الطور32}

أي " أتأمر هؤلاء المشركين أحلامهم بأن يقولوا لمحمد - ﷺ - هو شاعر، وأن ما جاء به شعر(أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) يقول جلّ ثناؤه: ما تأمرهم بذلك أحلامهم، وعقولهم (بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) قد طغوا على ربهم، فتجاوزوا ما أذن لهم، وأمرهم به من الإيمان إلى الكفر به "[3].

- ﴿ **وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْماً طَاغِينَ** ﴾{الصافات30}

" (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مّن سلطان) يعني لا قدرة لنا عليكم، حتى نقهركم ونجبركم: (بَلْ كُنتُمْ قَوْماً طاغين) أي ضالين غالين في معصية الله "[4].

- ﴿ **هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ** ﴾{ص55}

" (وإن للطاغين) أي الذين لم يصبروا على تنزيلهم أنفسهم في منازلها بالصبر على ما أمروا به، فرفعوا أنفسهم فوق قدرها، وتجاوزوا الحد، وعلوا في الكفر به، وأسرفوا في المعاصي، والظلم، وتجبروا، وتكبروا فكانوا أحمق الناس (لشر مآب) أي مصير ومرجع "[5]

- ﴿ **قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ** ﴾{القلم31}

" أي: متجاوزين للحد في حق الله، وحق عباده "[6].

- ﴿ **إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۞ لِلطَّاغِينَ مَآبًا** ﴾{النبأ 21-22}

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص519

[2] فتح القدير: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ج5 ص111

[3] جامع البيان في تأويل القرآن ج ص525

[4] مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي ج1 ص376

[5] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي ج6 ص396

[6] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص565

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

" للطاغين المتجاوزين الحد الذي حدد لهم، وهو أن يؤمنوا بربهم، ويعبدوه وحده، ويتقربوا إليه بفعل محابه وترك مكارهه، فتجاوزوا ذلك إلى الكفر بربهم، والإشراك به، وتكذيب رسوله، وفعل مكارهه، وترك محابه، هؤلاء هم الطاغون الذين أرصدت لهم جهنم، فكانت لهم مرصادا ومرجعا ومآبا "[1].

- ﴿ **فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ** ﴾{الحاقة5}

" وهي الصيحة العظيمة الفظيعة، التي انصدعت منها قلوبهم، وزهقت لها أرواحهم، فأصبحوا موتى لا يرى إلا مساكنهم وجثثهم "[2].

- ﴿ **كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا** ﴾{الشمس11}

" والطغوى بالفتح الطغيان، والباء للسببية، أي فعلت التكذيب بسبب طغيانها، كما تقول ظلمني بجراءته على الله تعالى، أو صلة للتكذيب، أي كذبت بما أوعدت به من العذاب ذي الطغوى، كقوله تعالى (فأهلكوا بالطاغية)، وقرئ بطُغواها بضم الطاء وهو أيضا مصدر كالرجعى"[3].

- ﴿.. **وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً** ..﴾{المائدة64}

" أي كفرا إلى كفرهم، وطغيانا على طغيانهم، والمراد بالكثير منهم من لم يسلم، واستمر على المعاندة، وقيل المراد به العلماء منهم، وتصدير هذه الجملة بالقسم لتأكيد مضمونها"[4].

- ﴿.. **وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً** ..﴾ {المائدة68}

سبقت الإشارة إليه في الآية السابقة .

- ﴿.. **وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً** ﴾{الإسراء60}

" ونخوّف هؤلاء المشركين بما نتوعدهم من العقوبات والنكال، فما يزيدهم تخويفنا إلا طغيانا كبيراً، يقول: إلا تماديا وغياً كبيرا في كفرهم، وذلك أنهم لما خُوّفوا بالنار، التي طعامهم فيها الزقوم، دعوا بالتمر والزبد، وقالوا: تزقموا من هذا "[5].

- ﴿ **وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً** ﴾{الكهف80}

" (وَأَمَّا الْغُلَامُ) الذي قتلته، (فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا) وكان ذلك الغلام قد قدر عليه أنه لو بلغ لأرهق أبويه طغيانا وكفرا، أي: لحملهما على الطغيان

---

[1] أيسر التفاسير ج5 ص504

[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص882

[3] إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: محمد بن محمد العمادي أبو السعود ج5 ص538

[4] فتح القدير ج2 ص79

[5] جامع البيان في تأويل القرآن ج17 ص487

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

والكفـــر، إما لأجل محبتهما إياه، أو للحاجة إليه، أو يحثهما على ذلك، أي: فقتلته، لاطلاعـــي على ذلك، سلامة لدين أبويه المؤمنين، وأي فائدة أعظم من هذه الفائدة الجليلة؟" [1].

- ﴿ **اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾{البقرة15}

" الطغيان الزيادة على القدر، والخروج عن حيز الاعتدال في الكثرة، يقـــال طغى البحـــر إذا هاجت أمواجه، وطغى السيل إذا جاء بماء كثير، وفي المراد بطغيانهم قولان: أحدهمـــا أنـــه كفرهم، قاله الجمهور، والثاني أنه عتوهم وتكبرهم قاله ابن قتيبة، ويعمهون بمعنى يتحيـــرون يقال رجل عمه وعامه أي متحير "[2] .

- ﴿ **وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾{الأنعام110}

" الطُّغْيَان هُوَ الْمُجَاوَزَة فِي الشَّيْء، قَالَ الضَّحَّاك عَنْ اِبْن عَبَّاس فِي طُغْيَانهمْ يَعْمَهُـــونَ فِـــي كُفْرهمْ يَتَرَدَّدُونَ"[3] .

- ﴿ **مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾{الأعراف186}

سبقت الإشارة إليه في الآية السابقة .

- ﴿ .. **فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾{يونس11}

سبقت الإشارة إليه .

- ﴿ **وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾{المؤمنون75}

سبقت الإشارة إليه .

- ﴿.. **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ** ..﴾{البقرة 256}
- ﴿.. **وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ** ..﴾{البقرة257}
- ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ** ..﴾{النساء51}
- ﴿.. **يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ** ..﴾{النساء60}
- ﴿.. **وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ** ..﴾{النساء76}
- ﴿.. **وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ** ..﴾{المائدة60}
- ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ** ..﴾{النحل36}
- ﴿ **وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا** ..﴾{الزمر17}

أما كلمة الطاغوت فقد سبقت الإشارة إليه في أقوال العلماء في معنى الطاغوت .

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص302

[2] زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ج1 ص 36

[3] تفسير القرآن العظيم ج1 ص294

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

ومما سبق يمكننا أن نستنتج أن الطغيان - على مستوى الألفاظ - مذموم في القرآن .

المطلب الرابع:

موقف القرآن الكريم من الطغيان بكافة صوره وأشكاله:

إن الطغيان نماذج وصور متعددة، وليس نموذجاً واحداً، ولا صورة مفردة، ولا يوجد كتاب على وجه الأرض أحصى صور الطغيان وحذر منها مثل القرآن الكريم، وبيان ذلك أن الله - ﷻ - خلق كل شيء في هذا الكون، وفق نظام محكم دقيق، ووضع فيه من السنن والقوانين ما يضبط حركته، وينظم سيره، ويمنع بعضه من الطغيان على بعض، " فهذا الحشد الذي لا يحصى من الأفلاك، والمدارات، والنجوم، والكواكب، والسدم[1]، والمجرات، تلك التي لا تزيد أرضنا الصغيرة عن أن تكون ذرة تائهة بينها، تكاد أن تكون لا وزن لها ولا ظل!

ومع الضخامة الهائلة ذلك التناسق العجيب بين الأفلاك، والمدارات، والدورات، والحركات؛ وما بينهما من مسافات، وأبعاد تحفظها من التصادم، والخلل، والتخلف، والاضطراب؛ وتجعل كل شيء في أمرها بمقدار "[2]،﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾{القمر:4}، من أصغر ذرة فيه، إلى أعظم مجرة .

وهذا أمر مشاهد في الكون كله، فعلى سبيل المثال: " لو كانت قشرة الأرض أسمك مما هي عليه بمقدار بضعة أقدام؛ لامتص ثاني أكسيد الكربون، والأكسجين، ولما أمكن وجود حياة. ولو أن شمسنا أعطت نصف إشعاعها الحالي؛ لكنا تجمدنا، ولو أنها زادت بمقدار النصف؛ لكنا رماداً منذ زمن بعيد .

ولو كان الأوكسجين بنسبة 50% أو أكثر من الهواء بدلاً من 21%؛ فإن جميع المواد القابلة للاحتراق في العالم تصبح عرضة للاشتعال، لدرجة أن أول شرارة في البرق تصيب شجرة لابد أن تلهب الغابة كلها.

ولو كانت نسبة الأوكسجين 10%؛ لتعذر أن يكون التمدن على ما هو عليه اليوم"[3]، والأمثلة أكثر من أن تحصى .

---

[1] السدم: جمع سديم وهي بقع سحابية متوهجة أو مغيمة في الفضاء ناشئة عن تكاثف أو تصادم عدد لا يحصى من الأجرام السماوية ومنه المجرة، انظرالمعجم الوسيط ج1 ص424

[2] في ظلال القرآن ج5 ص2764

[3] انظر كتاب (الله جل جلاله) لسعيد حوى ص39، 40

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وهذه السنن، والقوانين، لا تتخلف إلى قيام الساعة، ﴿ **لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾{يس:40}، وهذا سر الإتقان في هذا الكون ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**﴾{النمل:88} .

يقول الشيخ الشعراوي - رحمه الله -: " فإن أردتم أن تصلح حياتكم، وأن تستقيم أموركم، كما استقامت هندسة السماء والأرض، فخذوا الميزان من السماء في أعمالكم، واتبعوا القول الحق: ﴿ **وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ** ﴾{الرحمن7-8}.

ومادمتم قد رأيتم أن الأمور الموجودة التي تسير بنظام لا تتحكمون فيه، تعمل باستقامة وترون أن الفساد قد جاء من ناحية الأمور التي دخلتم فيها، فلماذا لا نتبع منهج الله في الأمور التي لنا دخل فيها؟ إنك إن عملت في الحياة بمنهج الله الذي خلق الحياة، فإن أمورك تستقيم لك كما استقامت الأمور العليا في الكون، ﴿ **وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ** ﴾{الرحمن7-8} إن السماء لا تقع على الأرض، لأنها محكومة بنظام محكم تماماً، والأرض لا تدور بعيداً عن فلكها؛ لأن خالقها قد قدر لها النظام المحكم تماماً، إنه نظام دقيق محكم، لأنه لا دخل للإنسان فيه، لذلك اصنعوا ميزاناً في كل الأمور التي لكم فيها اختيار حتى لا تطغوا في الميزان"[1]

ويقول سيد قطب- رحمه الله- " ويرسم القرآن صوراً للإنسان في شتى نماذجه، وشتى حالاته، وشتى استجاباته، يبدو معها أن الإنسان يكون في أحسن حالاته، وأقومها، حين يكون في حالات الإيمان: ﴿.. **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى** ﴾ {طه:123}، فلا عجب ينشئ، وينتج خيراً كثيراً لذاته ولخلافته، ويكون في أسوأ حالاته، وأشدها اختلالاً، حين ينحرف عن محوره الفطري، ومداره الكوني – الإيمان –:﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** ﴾{طه:124}، حيث يفسد كيانه وتفسد حياته، وينتشر الفساد من حوله بفعله "[2] .

" وذلك أن الله قد خلق البشر آحاداً صحيحة، وجعل لكل أحد منهم مَدَى مُعَيَّنا يمتد فيه طولاً وعرضاً، فإذا عَنَّ[3] لأحدهم أن يتطاول وينتفخ ويَتَزَيَّد فعلى حساب الآخرين حتماً، ومن هنا تجد من يحيطون بالطاغية أنصاف بشر أو أرباع بشر، أصبحوا كسوراً لا رجالاً سواء، وما

---

[1] انظر تفسير الشعراوي ج2 ص1064-1065

[2] انظر مقومات التصور الإسلامي : لسيد قطب ص367

[3] عَنَّ **له الشيء: عنا وعنونا ظهر أمامه** انظر المعجم الوسيط ج2 ص632

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

نقص من تمام إنسانيتهم أضيف زوراً إلى الكبير المغرور، فأصبح به فرعوناً مالكاً بعد ما كان فرداً كغيره من عباد الله "[1]

لذلك كان من مقاصد الإسلام الكبرى - قرآناً وسنة - تقبيح الطغيان، والتحذير منه، والحض على التحرر من كل نماذجه وصوره، وذلك أن الطغيان تجاوز للحد، الحد الذي حده الله – بأمر للوجوب أو نهي للتحريم -، كي يبقى الإنسان في أحسن حالاته وأقومها: ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾{هود:112}.

ولما كان الإسلام حريصاً على بيان صور الطغيان والتحذير منها، كثرت الآيات والأحاديث التي تناولت هذا الموضوع، فكان على الباحث أن يتخير بعضا منها، ليبرهن على ما ذهب إليه: من كَوْن الإسلام يقبح الطغيان في كل صوره وأشكاله، ويحذر منه في كل حالاته وأوضاعه .

والدافع لذلك أن البعض وعن سوء نية يحاول أن يقرن بين الإسلام والطغيان حين يصرح أحياناً، أو يشير من طرف خفي أحياناً أخرى أن الإسلام دين الإرهاب ويقصد بذلك الإرهاب بمعناه المذموم[2] - الطغيان - وذلك لتنفير الناس من هذا الدين وصرفهم عنه أولاً، ولتبرير الحرب على أتباعه وأنصاره وملاحقتهم أينما كانوا ثانياً، ومن أجل السيطرة على أرضه الغنية بالثروات واحتلالها ثالثاً، وهذا الذي سيذكره الباحث مجرد نماذج لبيان موقف الإسلام – قرآناً وسنة – من هذه المسألة .

---

[1] الإسلام والاستبداد السياسي لمحمد الغزالي ص28-29

[2] الإرهاب يكون ممدوحا أو مذموماً حسب الهدف والغاية المرادة منه فإذا كان الهدف منه إخافة اللصوص والمجرمين والساعين في الأرض بالفساد، وهذا أمر تحرص عليه كل الدول التي تحترم القوانين، فلا امن للقتلة والمفسدين والمعتدين على حقوق الناس وحرياتهم في دولة القانون كان ممدوحاً، وهذا المعنى أشار إليه المولى - ﷻ - في قوله تعالى " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ..." {الأنفال60}، أما الإرهاب الذي يقصد منه الإفساد في الأرض، وترويع الآمنين والاعتداء على حقوق الآخرين فهو الإرهاب المذموم، الذي لا شك في حرمته ووجوب محاربته والتحذير منه .

وما قرره الباحث في هذه المسألة لا يعني أنه من المسموح أن نطلق على الإسلام دين الإرهاب - وإن كنا نعني به الإرهاب الممدوح - لأن لفظ الإرهاب في هذا الزمان اقترن في الأذهان بالمعنى المذموم، ألا ترى أن لوط اسم لأحد الأنبياء ومع ذلك لا نكاد نجد من يتسمى بهذا الاسم لأنه اقترن في الأذهان بجريمة قوم لوط؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

نماذج لصور من الطغيان حذر منها القرآن الكريم[1]:

1- تقبيح الطغيان المتصاعد الذي ينتهي بادعاء الألوهية:

﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ۞ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ۞ فَكَذَّبَ وَعَصَى ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ۞ فَحَشَرَ فَنَادَى ۞ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۞ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴾{النازعات17-26}

تعرض هذه الآيات لصورة من صور الطغيان، بل هي أشد صور الطغيان على الإطلاق، صورة يذهل فيها الإنسان عن قيمة نفسه، وحقيقة ذاته، فتجمح به نفسه، ويغريه طمعه، فيتخيل أنه إله، فينحرف عن الصراط المستقيم الذي ارتضاه الله لعباده، ويوغل في الطغيان حتى يشارك الله في أخص صفاته، ومع ذلك كله يمهله الله الحليم - ﷻ -، ويرسل إليه الرسل، لعله يتذكر أو يخشى، يقول الله - ﷻ - مخاطباً موسى - عليه السلام -:

" (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) أي: فانهه عن طغيانه، وشركه، وعصيانه، (فَقُلْ) له: (هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى) أي: هل لك في خصلة حميدة، ومحمدة جميلة، يتنافس فيها أولو الألباب؟ وهي أن تزكي نفسك، وتطهرها من دنس الكفر والطغيان، إلى الإيمان والعمل الصالح؟

(وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ) أي: أدلك عليه، وأبين لك مواقع رضاه، من مواقع سخطه، (فَتَخْشَى) الله إذا علمت الصراط المستقيم، فامتنع فرعون مما دعاه إليه موسى - عليه السلام -

(فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى) أي: جنس الآية الكبرى، فلا ينافي تعددها ﴿ **فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ۞ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ**﴾ {الشعراء32-33}

(فَكَذَّبَ) بالحق (وَعَصَى) الأمر، (ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى) أي: يجتهد في مبارزة الحق ومحاربته، (فَحَشَرَ) جنوده أي: جمعهم (فَنَادَى فَقَالَ) لهم: (أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى) فأذعنوا له وأقروا بباطله حين استخفهم، (فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى) أي: صارت عقوبته دليلا وزاجرا، ومبينة لعقوبة الدنيا والآخرة،(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى) فإن من يخشى الله هو الذي ينتفع بالآيات والعبر، فإذا رأى عقوبة فرعون، عرف أن كل من تكبر وعصى،

---

[1] ملاحظة استفدت عناوين هذا المطلب من مقال للكاتب زين العابدين الركابي نُشِرَ في صحيفة الشرق الأوسط بعنوان الطغيان مضامينه وصوره ونماذجه، يوم السبت 25 ذو الحجة1425هـ الموافق5 فبراير2005 العدد 9566 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وبارز الملك الأعلى، عاقبه في الدنيا والآخرة، وأما من ترحلت خشية الله من قلبه، فلو جاءته كل آية لم يؤمن بها"[1].

2- **تقبيح الطغيان في صورته النزّاعة إلى العلو في الأرض والفتك بالآخرين:**

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾{القصص4-6}

وهذه صورة أخرى من صور الطغيان، ينزع فيها الطاغية إلى العلو والإفساد، وظلم الآخرين واستعبادهم، خوفاً من الهلاك على أيدي هؤلاء المستعبدين .

" (إن فرعون علا) أي تجبر وتكبر، (في الأرض) أي أرض مصر،(وجعل أهلها شيعاً) أي فرقاً في أنواع الخدمة والتسخير، (يستضعف طائفة منهم) يعني بني إسرائيل، (يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم) سمى هذا استضعافاً لأنهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم، (إنه كان من المفسدين) أي: بالقتل والتجبر في الأرض، (ونريد أن نمن) أي ننعم، (على الذين استضعفوا في الأرض) يعني بني إسرائيل، (ونجعلهم أئمة) أي قادة في الخير يقتدى بهم،(ونجعلهم الوارثين) يعني أملاك فرعون وقومه، بأن نجعلهم في مساكنهم،(ونمكن لهم في الأرض) أي: نوطن لهم أرض مصر والشام، ونجعلها لهم سكناً، (ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون)، أي يخافون، وذلك أنهم أُخْبِرُوا أن هلاكهم على يد رجل من بني إسرائيل، وكانوا على حذر منه فأراهم الله ما كانوا يحذرون"[2].

3- **تقبيح الطغيان في صورته التهديدية العدوانية:**

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾{ابراهيم13}

وهذه صورة أخرى من صور الطغيان، يلجأ فيها الطغاة إلى إرهاب المخالفين، وتهديدهم بالنفي خارج أوطانهم، يقول الشنقيطي - رحمه الله -:

" بين - تعالى - في هذه الآية الكريمة، أن الكفار توعدوا الرسل بالإخراج من أرضهم، والنفي من بين أظهرهم، إن لم يتركوا ما جاءوا به من الوحي، فكانت النتيجة أن: ﴿ **وَقَالَ**

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص909

[2] لباب التأويل في معاني التنزيل: للخازن ج5 ص162

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ۞ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ {ابراهيم13-14}، بين - تعالى -: في هذه الآية الكريمة، أنه أوحى إلى رسله، أن العاقبة والنصر لهم على أعدائهم، وأنه يسكنهم الأرض بعد إهلاك أعدائهم"[1].

4- تقبيح الطغيان في صورته التجبرية الاستبدادية:

﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾{هود:5}

يقول سيد قطب – رحمه الله -:

" فهي المعصية لأمر الرسل، والاتباع لأمر الجبارين! والإسلام هو طاعة أمر الرسل، لأنه أمر الله، ومعصية أمر الجبارين، وهذا هو مفرق الطريق بين الجاهلية والإسلام، وبين الكفر والإيمان، في كل رسالة وعلى يد كل رسول .

وهكذا يتبين: أن دعوة التوحيد تصر أول ما تصر على التحرر من الدينونة لغير الله؛ والتمرد على سلطان الأرباب الطغاة؛ وتَعُد إلغاء الشخصية، والتنازل عن الحرية، وإتباع الجبارين المتكبرين، جريمة شرك وكفر، يستحق عليها الخانعون الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة.

لقد خلق الله الناس ليكونوا أحراراً لا يدينون بالعبودية لأحد من خلقه، ولا ينزلون عن حريتهم هذه لطاغية ولا رئيس ولا زعيم، فهذا مناط تكريمهم، فإن لم يصونوه فلا كرامة لهم عند الله ولا نجاة، وما يمكن لجماعة من البشر أن تدعي الكرامة، وتدعي الإنسانية، وهي تدين لغير الله من عباده، والذين يقبلون الدينونة لربوبية العبيد وحاكميتهم، ليسوا بمعذورين أن يكونوا على أمرهم مغلوبين، فهم كثرة والمتجبرون قلة، ولو أرادوا التحرر لضحوا في سبيله ببعض ما يضحونه مرغمين للأرباب المتسلطين من ضرائب الذل في النفس والعرض والمال.

لقد هلكت عاد لأنهم اتبعوا أمر كل جبار عنيد؛ هلكوا مشيعين باللعنة في الدنيا وفي الآخرة "[2].

﴿.. وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾{إبراهيم:15}ومن هنا، نفى القرآن التجبر الاستبدادي عن الأنبياء والمرسلين:

---

[1] انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج2 ص244

[2] في ظلال القرآن ج4 ص1901

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

- نفاه عن يحيى - عليه السلام -: ﴿ **وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا** ﴾{مريم:14}

- ونفاه عن المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام -: ﴿ **وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا** ﴾ {مريم:32}

- ونفاه عن محمد - ﷺ -: ﴿.. **وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ** ﴾ { ق:45}

5- **تقبيح الطغيان بذكر المصير التعس للطغاة:**

﴿ **إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۞ لِلطَّاغِينَ مَآبًا** ﴾{النبأ 21-22}

" أي إنه بعد الحساب يأتي الجزاء، وهاهي ذي جهنم قد أرصدت، وأعدت فهي مرصاد، مرصاد لمن؟ للطاغين المتجاوزين الحد الذي حدد لهم، وهو أن يؤمنوا بربهم، ويعبدوه وحده، ويتقربوا إليه بفعل محابه، وترك مكارهه فتجاوزوا ذلك إلى الكفر بربهم، والإشراك به، وتكذيب رسوله، وفعل مكارهه، وترك محابه، هؤلاء هم الطاغون، الذي أرصدت لهم جهنم فكانت لهم مرصادا، ومرجعا، ومآبا"[1] ﴿ **هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ** ﴾{ص55}

6 - **تقبيح الطغيان في صورته الإستكبارية:**

وفي أسلوب جديد، وفي بيان واضح، يحذر القرآن من الطغيان بسبب الكِبر، فيصور الطغاة المستكبرين، وأتباعهم، وهم يتقلبون في النار فيقول:

﴿ **وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ** ﴾{غافر47}

"(وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ) يحتج التابعون بإغواء المتبوعين، ويتبرأ المتبوعون من التابعين، (فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ) أي: الأتباع للقادة (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) على الحق، ودعوهم إلى ما استكبروا لأجله، (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) أنتم أغويتمونا وأضللتمونا وزينتم لنا الشرك والشر، (فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ) أي: ولو قليلا.

(قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) مبينين لعجزهم ونفوذ الحكم الإلهي في الجميع: (إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ) وجعل لكل قسطه من العذاب، فلا يزاد في ذلك ولا ينقص منه، ولا يغير ما حكم به الحكيم"[2].

7- **تقبيح الطغيان في صورته التعذيبية:**

التي تعذب الناس، وتتسلى بتعذيبهم في السجون والأقبية والأخاديد:

---

[1] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج5 ص504

[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص739

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

﴿ **قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ۞ النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ ۞ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۞ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ** ﴾{البروج 4-7}، وسيأتي الحديث عن هذه الصورة من صور الطغيان مفصلاً .

8- تقبيح الطغيان في صورته المغرورة بالقوة:

﴿ **فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۞ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ** ﴾{فصّلت15-16}

" فالحق - سبحانه - لا يترك من تكبر وتعنت، ليقف أمام منهجه، الذي يحكم حركة الحياة في الأرض، ولكنه - سبحانه - يأخذ أهل التكبر والتعنت، أخذ عزيز مقتدر، واستقرئوا أيها الناس ما حدث لمن كذبوا رسل الله، وماذا صنع الله بهم؟ إنه بقدرته - سبحانه وتعالى - يستطيع أن يصنع معكم ما صنعه معهم، وإذا ما استقرأتم قصص الرسل مع المكذبين لله، وجدتم العذاب قد جاء للقوم بغتة، فها هو ذا الحق يقول عن قوم عاد "[1]:

(فَأَمَّا عَاد فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْض) أي بغوا، وعتوا، وعصوا، (وَقَالُوا مَنْ أَشَدّ مِنَّا قُوَّة) أَيْ مَنُّوا بِشِدَّةِ تَرْكِيبهمْ، وَقُوَاهُمْ، واعتقدوا أنهم يمتنعون به من بأس الله (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّه الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدّ مِنْهُمْ قُوَّة) أي أفما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة؟ فإنه العظيم الذي خلق الأشياء وركب فيها قواها الحاملة لها، وإن بطشه شديد، كما قال - ﷻ - (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)}الذاريات47{ فبارزوا الجبار بالعداوة، وجحدوا بآياته، وعصوا رسوله .

(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ)

قَوله – تعالى -: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) قال بعضهم: وهي الشديدة الهبوب، وقيل: الباردة، وقيل: هي التي لها صوت، والحق أنها متصفة بجميع ذلك، فإنها كانت ريحا شديدة قوية لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم، وكانت باردة شديدة البرد جدا، كقوله - تعالى -: (بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) أي: باردة شديدة، وكانت ذات صوت مزعج . ، وقَوْله - تَعَالَى -: (فِي أَيَّام نَحِسَات) متتابعات (سَبْع لَيَالٍ وَثَمَانِيَة أَيَّام حُسُومًا) وَكَقَوْلِهِ: (فِي يَوْم نَحْس مُسْتَمِرّ) أي: ابتدئوا بهذا العذاب في يوم نحس عليهم، واستمر بهم هذا النحس (سَبْع لَيَالٍ وَثَمَانِيَة أَيَّام حُسُومًا) حتى أبادهم عن آخرهم، واتصل

[1] تفسير الشعراوي ج6 ص3622

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة ولهذا قال: (لِنُذِيقَهُمْ عَذَاب الْخِزْيِ فِي الْحَيَاة الدُّنْيَا ولَعَذَاب الْآخِرَة أَخْزَى) أَيْ: أشد خزيا لهم (وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ) أي: في الأخرى، كما لم ينصروا في الدنيا، وما كان لهم من الله من واق يقيهم العذاب ويدرأ عنهم النكال"[1] .

وذهبت عادٌ المتكبرة المغرورة الظالمة، وطوتها صفحات التاريخ البشري.. ولكن نموذج عاد الباغية المعتدية يتكرر عبر التاريخ، فكثير من الأقوام والأمم يغترون بما آتاهم الله من قوة كما اغترّت عاد، ويظلمون ويبطشون ويستعمرون كما فعلت عاد، فيهلكهم الله كما أهلك عاداً.

لقد مثّل فرعون وجنوده عاداً ثانية فأهلكهم الله، ومثّل الرومان عاداً ثالثة، ومثّل المَغول عاداً رابعة،ومثّلت فرنسا المستعمرة الظالمة عاداً معاصرة، ومثّلت بريطانيا العظمي عاداً أخرى، وهكذا فعل الاتحاد السوفيتي، وذهب كل هؤلاء، وطوتهم صفحات التاريخ، وبقيت آثارهم عبرة لأولي الأبصار.وماذا بعد؟ ها هي عاد الجديدة تصير نموذجَ عادٍ الأولى، ها هي الإمبراطورية الأمريكية العظمى تتمدد وتنتشر فوق الكرة الأرضية، وتستعبد الدول والشعوب الأخرى، وها هي الذراع الضارب للصهيونية العالمية، تخدُمُ اليهود وتحقق مصالحهم، ها هي عاد تعود من جديد، لتعيد طرح سؤال عاد الأولى: من أشد منا قوة؟ ها هي أمريكا تتجبر وتبطِش وتتحكم وتتأله، ونسِيَتْ ما جرى لعادٍ الأولى، ولكننا نوقن أن عاداً الجديدة سيصيبها ما أصاب عاداً الأولى، لأن الظلم مرتَعُه وخيم .

9- تقبيح الطغيان في صورته الظالمة:

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾{يونس13}

" هذا خطاب لأهل مكة، يخبرهم - تعالى - مهدداً إياهم، بإمضاء سنته فيهم، بأنه أهلك أهل القرون من قبلهم لَمَّا ظلموا، أي أشركوا وجاءتهم رسلهم بالبينات، أي بالآيات والحجج، وأبوْا أن يؤمنوا لِما ألفوا من الشرك والمعاصي، فأهلكهم كعاد، وثمود، وأصحاب مدين، وقوله - تعالى -: (كذلك نجزي القوم المجرمين) أي: مثل ذلك الجزاء بالإهلاك العام نجزي القوم المجرمين في كل زمان ومكان إن لم يؤمنوا ويستقيموا "[2].

ولقد أبرز القرآن العلاقة المبدئية والوظيفية بين الظلم والطغيان: **﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾**{النَّجم52} ولذا فإن خلو وجه الأرض من الظلم الطاغي إنما هو يوم

---

[1] تفسير القرآن العظيم ج12 ص226

[2] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبيرج2 ص454

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

عيد يشكر فيه الله ويحمد:﴿ **فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ {الأنعام45}

10- تقبيح الطغيان في صورته النزّاعة إلى السيطرة الكونية على البشرية كلها:

ولما كان النبي - ﷺ - مبرأ من كل ميل إلى الطغيان، فقد نفى عنه القرآن هذه السيطرة:

﴿ **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۞ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ** ﴾{الغاشية21-22}

" فذكر بهذا وذاك، ذكرهم بالآخرة وما فيها، وذكرهم بالكون وما فيه، إنما أنت مذكر، هذه وظيفتك على وجه التحديد، وهذا دورك في هذه الدعوة، ليس لك ولا عليك شيء وراءه، عليك أن تُذكِّر، فإنك ميسر لهذا ومكلف إياه .

(لست عليهم بمسيطر) فأنت لا تملك من أمر قلوبهم شيئاً، حتى تقهرها، وتقسرها على الإيمان، فالقلوب بين أصابع الرحمن، لا يقدر عليها إنسان .

فأما الجهاد الذي كتب بعد ذلك فلم يكن لحمل الناس على الإيمان؛ إنما كان لإزالة العقبات من وجه الدعوة لتبلغ إلى الناس، فلا يمنعوا من سماعها، ولا يفتنوا عن دينهم إذا سمعوها، كان لإزالة العقبات من طريق التذكير، الدور الوحيد الذي يملكه الرسول "[1] .

11- تقبيح الطغيان في صورته الإملائية القسرية القهرية على دين، أو مبدأ، أو مذهب أو نموذج حضاري:

﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾{البقرة256}

" من الطبيعي ألا يقهر الحق أحداً على الإيمان به إكراهاً، لأن الذي يقهر أحداً على عقيدة ما، هو أول مَنْ يعتقد: أنه لولا الإكراه على هذه العقيدة لما اعتقدها أحد، ونحن في حياتنا اليومية، نجد أن أصحاب المبادئ الباطلة، هم الذين يمسكون السياط، من أجل إكراه الناس على السير على مبادئهم، وكل من أصحاب هذه المبادئ الباطلة، يعلم تمام العلم، أنه لو ترك السوط والقهر، ما سار إنسان على مثل هذه المبادئ الباطلة.

ولو كان أحد من أصحاب هذه المبادئ الباطلة، معتقداً أن مبدأه سليم لقال: أطرح هذا المبدأ على الناس، وأترك لهم الخيار؛ لأنه في هذه الحالة سيكون واثقاً من مبدئه، أما الذي يقهر الناس إكراها بالسوط، أو السلطان، ليعتقدوا مبدأ ما، فهو أول من يشك في هذا المبدأ، وهو

[1] في ظلال القرآن ج6 ص3899

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

أول من يعتقد أنه مبدأ باطل، مثل هؤلاء نراهم عندما تضعف أيديهم عن استعمال السوط، أو السلطان، فإن أمر مبدئهم ينهزم ويسقط بنيانه "[1] .

" إن حرية الاعتقاد، هي أول حقوق الإنسان، التي يثبت له بها وصف إنسان، فالذي يسلب إنساناً حرية الاعتقاد، إنما يسلبه إنسانيته ابتداء، ومع حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة، والأمن من الأذى والفتنة، وإلا فهي حرية بالاسم لا مدلول لها في واقع الحياة .

والإسلام - وهو أرقى تصور للوجود وللحياة، وأقوم منهج للمجتمع الإنساني بلا مراء - هو الذي ينادي بأن لا إكراه في الدين؛ وهو الذي يبين لأصحابه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكراه الناس على هذا الدين، فكيف بالمذاهب والنظم الأرضية القاصرة المتعسفة وهي تفرض فرضاً بسلطان الدولة؛ ولا يسمح لمن يخالفها بالحياة؟!

والتعبير هنا يرد في صورة النفي المطلق: (لا إكراه في الدين) نفي الجنس كما يقول النحويون، أي نفي جنس الإكراه، نفي كونه ابتداء، فهو يستبعده من عالم الوجود والوقوع وليس مجرد نهي عن مزاولته، والنهي في صورة النفي - والنفي للجنس - أعمق إيقاعاً وآكد دلالة "[2] .

وهذه الحقيقة أكد عليها القرآن في أكثر من موضع يقول الله - ﷻ -:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ {يونس99}

ويقول - جل في علاه -: **﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾**{الأنعام35}

12 - تقبيح الطغيان في صورته الضائقة بالتعددية الكونية والتشريعية:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ {الرُّوم22}

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾{هود 118-119}

---

[1] تفسير الشعراوي ج2 ص1111

[2] في ظلال القرآن ج1ص291

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

" لو شاء الله لخلق الناس كلهم على نسق واحد، وباستعداد واحد، نسخاً مكرورة، لا تفاوت بينها ولا تنويع فيها، وهذه ليست طبيعة هذه الحياة المقدرة على هذه الأرض، وليست طبيعة هذا المخلوق البشري الذي استخلفه الله في الأرض .

ولقد شاء الله أن تتنوع استعدادات هذا المخلوق واتجاهاته، وأن يوهب القدرة على حرية الاتجاه، وأن يختار هو طريقه، ويحمل تبعة الاختيار، ويجازى على اختياره للهدى، أو للضلال، هكذا اقتضت سنة الله وجرت مشيئته، فالذي يختار الهدى كالذي يختار الضلال سواء في أنه تصرف حسب سنة الله في خلقه، ووفق مشيئته في أن يكون لهذا المخلوق أن يختار، وأن يلقى جزاء منهجه الذي اختار .

شاء الله ألا يكون الناس أمة واحدة، فكان من مقتضى هذا أن يكونوا مختلفين، وأن يبلغ هذا الاختلاف أن يكون في أصول العقيدة، إلا الذين أدركتهم رحمة الله، الذين اهتدوا إلى الحق، والحق لا يتعدد فاتفقوا عليه "[1]

يقول الله - ﷻ -: ﴿... **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾{المائدة48}

" فالناس قد خلقوا ولكل منهم استعداد، ولكل منهم مشرب، ولكل منهم منهج، ولكل منهم طريق .

ولحكمة من حكم الله خلقوا هكذا مختلفين، وقد عرض الله عليهم الهدى؛ وتركهم يستبقون، وجعل هذا ابتلاء لهم، يقوم عليه جزاؤهم يوم يرجعون إليه، وهم إليه راجعون.

وإنها لتعلة باطلة إذن، ومحاولة فاشلة، أن يحاول أحد تجميعهم على حساب شريعة الله، أو بتعبير آخر على حساب صلاح الحياة البشرية وفلاحها، فالعدول أو التعديل في شريعة الله، لا يعني شيئاً إلا الفساد في الأرض؛ وإلا الانحراف عن المنهج الوحيد القويم؛ وإلا انتفاء العدالة في حياة البشر؛ وإلا عبودية الناس بعضهم لبعض، واتخاذ بعضهم لبعض أرباباً من دون الله، وهو شر عظيم وفساد عظيم، لا يجوز ارتكابه في محاولة عقيمة لا تكون؛ لأنها غير ما قدره الله في طبيعة البشر؛ ولأنها مضادة للحكمة التي من أجلها قدر ما قدر من اختلاف المناهج والمشارع، والاتجاهات والمشارب"[2] .

---

[1] في ظلال القرآن ج4 ص1933

[2] المرجع السابق ج2 ص 903

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

13 - تقبيح الطغيان في صورته الداعمة للظلم والعدوان والإجرام:

﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ** ﴾{القصص17}

وكما يقبح القرآن الكريم الطغيان في صورته الظالمة، يقبح أيضاً من يدعم الظلم ويناصره، فهذا موسى - عليه السلام - يقسم على ألا يكون ظهيراً للمجرمين، يقول الزمخشري - رحمه الله -: " يجوز أن يكون قسما - يقصد قوله - تعالى -: بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ - جوابه محذوف، تقديره أقسم بإنعامك علي بالمغفرة، لأتوبن فلن أكون ظهيرا للمجرمين، وأن يكون استعطافا كأنه قال: رب اعصمني بحق ما أنعمت علي من المغفرة، فلن أكون إن عصمتني ظهيرا للمجرمين، وأراد بمظاهرة المجرمين، إما صحبة فرعون، وانتظامه في جملته، وتكثيره سواده، حيث كان يركب بركوبه، كالولد مع الوالد، وكان يسمى ابن فرعون، وإما مظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم والإثم، كمظاهرة الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يحل له، وعن ابن عباس لم يستثن فابتلى به مرة أخرى، يعني لم يقل فلن أكون إن شاء الله، وهذا نحو قوله: ﴿ **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ﴾{هود113} وعن عطاء[1] أن رجلا قال له: إن أخي يضرب بقلمه[2]، ولا يعدو رزقه، قال فَمَنْ الرأس؟ يعني من يكتب له؟ قال: خالد بن عبد الله القسري[3]، قال: فأين قول موسى - عليه السلام -: وتلا هذه الآية (قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ) ،... وقيل معناه: بما أنعمت علي من القوة، فلن استعملها إلا في مظاهرة أوليائك، وأهل طاعتك، والإيمان بك، ولا أدع قبطيا يغلب أحدا من بني إسرائيل "[4]

---

[1] عطاء بن أبي رباح القرشي مولى أبى خثيم الفهري واسم أبى رباح أسلم كنيته أبو محمد مولده بالجند من اليمن ونشأ بمكة وكان أسود، مات سنة أربع عشرة وقيل سنة خمس عشرة ومائة كان مولده سنة سبع وعشرين قال عمرو بن علي مات سنة خمس عشرة ومائة، الثقات: لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ج5 ص198، رجال صحيح مسلم: لأحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني أبو بكر أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني أبو بكر، ج2 ص100.

[2] يضرب بقلمه: يعمل كاتباً

[3] خالد بن عبد الله القسري:كان أمير العراقيين من جهة هشام بن عبد الملك الأموي، ولي مكة سنة تسع وثمانين للهجرة، وأمه نصرانيه، وكان لجده يزيد صحبة مع رسول الله - ﷺ -، وكان خالد معدوداً من جملة خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة، انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ج2ص229

[4] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : للزمخشري ج4 ص489

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وبعد فهذه ثلاثة عشرة صورة من صور الطغيان: قبحها القرآن ودانها، واستنهض البشرية للتحرر منها، وهذه الصور مجرد نماذج، وإلا فإن الاستقراء التام سيوقفنا أمام منهج قرآني كامل، يتعقب الطغيان في مختلف مضامينه، وصوره، وصيغه، وأشكاله، يتعقبه بالنقض والتقبيح، وبالحفز على الوعي المستمر بمخاطره المدمرة، وعياً مقترناً بإرادة التحرر والتطهر من لوثاته وضغوطه.

إن ديناً لا يقبل الغلو في الطاعة والعبادة ويَعُد ذلك طغياناً مرفوضاً لا يمكن أن يتعايش مع الطغيان أو أن يقبل ببقائه، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - جاء ثلاثةُ رَهْطٍ إلى بُيوت أزواج النبي - ﷺ -، يسألون عن عبادة النبي - ﷺ -، فلما أُخبِروا كأنَّهم تَقَالُّوها، قالوا: فأينَ نَحنُ من رسول الله - ﷺ -، وقد غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر؟ قال أحدُهم: أمَّا أنا فأصَلِّي اللَّيلَ أبدًا، وقال الآخرُ: وأنا أصُومُ الدَّهرَ ولا أُفطِرُ، وقالَ الآخرُ: وأنا أعْتَزِلُ النِّساءَ ولا أتَزوَّجُ أبدًا، فجاءَ رسولُ الله - ﷺ - إليهم، فقال:أنتم الذين قُلتم كذا وكذا؟ أمَا والله، إنِّي لأخْشاكم لله، وأتقاكم له، ولكني أصُومُ وأفْطِرُ، وأصَلِّي وأرْقُدُ، وأتَزوَّجُ النِّساءَ، فَمَن رغِبَ عَنْ سُنَّتِي فليس منِّي)[1] .

المطلب الخامس:

أسباب الطغيان:

الطغيان من أعظم أسباب هلاك الإنسان وهوانه على الله - ﷻ -، وما كفر من كفر، ولا عصى من عصى، إلا طغى إذ تجاوز حده، وحد الإنسان إنما هو الوقوف عند عتبة العبودية لله - ﷻ -، بتوحيده، وفعل المأمور، وترك المحظور.

ولكن هل يولد الإنسان طاغية بفطرته؟

إن نصوص القرآن والسنة تنفي وبشكل قاطع، أن يكون الإنسان طاغية بفطرته، بل وتثبت عكس ذلك، قال الشيخ السعدي - رحمه الله - في تفسيره لقوله - تعالى -:

﴿... **فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** ...﴾{الروم30} " إن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة[2]، قد وضع اللّه في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق، وإيثار الحق، وهذه حقيقة الفطرة .

---

[1] صحيح البخاري - واللفظ له - كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ح 5063، وصحيح مسلم كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم ح1401

[2] يقصد بالباطنة في هذا الموضع أعمال القلوب كالإيمان والإخلاص والمحبة والولاء ..... إلخ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

ومـــن خرج عن هذا الأصل، فلعارض عرض لفطرته أفسدها، كما قال النبي - ﷺ -: (**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...**[1])"[2] .

إذن هي عوارض عرضت للإنسان أفسدت عليه فطرته، ولا شك أن هذه العـــوارض كثيـــرة ومتشعبة، منها ما هو نفسي، ومنها ما هو مادي، منها ما هو ذاتي، ومنها ما هـــو خـــارجي، ولا شك أن العوارض الذاتية النفسية تبقى حبيسة النفس البشرية مـــا لـــم تتـــوفر لهـــا عـــدة عوارض خارجية، وهذه العوارض هي ما سيقف عنده الباحث في هذا المطلب، أما العوامـــل الذاتية النفسية فسيتناولها الباحث في مطلب صفات الطغاة .

العارض الأول الغنى:

يقول المولى - ﷻ -: ﴿ **كَلَّا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى** ﴾ {العلق6-7 }

يشير الله - سبحانه وتعالى - في هذه الآيات العظيمة إلى جنس الإنسان[3]، كل إنسان من بني آدم، إذا تجـــرد مـــن التقـــوى، والإيمان العاصم، ورأى نفسه استغنى، فإنه يطغى، ويتجاوز حده، فهو بلا دين وبلا استقامة، تجمح به نفسه، ويغلبه هواه، ويقوده طمعه، ويرديه جشعه، ويسوقه شيطانه، وتتلفه نفسه الأمارة بالسوء، ناسياً حقيقة نفسه .

وما سبب هذا الطغيان والفجور إلا (أن رآه استغنى) فهو يشعر أنه غيـــر محتـــاج لخالقـــه ورازقه، لاستغنائهِ بالمال، أو السلطان، أو الجاه، أو الولد، أو بأي متاع مـــن متـــاع الـــدنيا الفانية.

وكنتيجة حتمية لهذا التصور الخاطئ والقاتل، فإنه يطغى، ويُبَذر، ويفجر، ويختال بما أنعم الله عليه، فيجحد النعمة، ويستكبر، ينسى الفضل ولا يشكر، وينسب الخير لنفـــسه، ويمنـــع حـــق النعمة، ويعرض عن الطاعة[4].

" ســـئل أبـــو حنيـــفة - رحمـــه اللـــه - تعـــالى عن الغنى والفقر فقال: وهل طغـــى مـــن طغى من خلق الله - ﷻ - إلا بالغنى وتلا هذه الآية المتقدمة "[5]

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين ح1385

[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج1 ص 640

[3] التحرير والتنوير : لمحمد الطاهر بن عاشور ج29 ص166

[4] انظر تفسير الفخر الرازى ج1 ص 2848،ج1 ص2209– وانظر تفسير السراج المنير: لمحمد بن أحمـــد الشربيني ج1 ص480 ، وانظر اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ج12 ص370 .

[5] المستطرف في كل فن مستظرف: لشهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي المحلي، ج 2ص53

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

قال الحســـن البصري - رحمه الله -: " والله ما بسطت الدنيا لعبد إلا طغى كائناً من كان "[1]
ولقد تضافرت الآيات، وتعددت القصص، التي تؤكد هذا المعنى .

فمن قصص القرآن التي تبرز الطغيان بسبب الملك قصة النمروذ بن كنعان:

يقول الله - ﷻ -: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَـــالَ أَنَا أُحْيِـــي وَأُمِيـــتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِـــنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾{البقرة 258}

" ما حمل ذلك الأحمق على هَذِهِ الْمُحَاجَّةِ، إلا أن أتاه الله - تَعَـــالَى - الْمُلْـــكَ، فَكَـــانَ مَنْـــشَأَ إِسْرَافِهِ فِي غُرُورِهِ، وَسَبَبَ كِبْرِيَائِهِ وَإِعْجَابِهِ بِقُدْرَتِهِ "[2]

" يقول الحق - ﷻ -: متعجباً من جهالة النمرود، والمراد تعجيب السامع: ألم تر يا محمـــد، إلى جهالة الذي حاج إبراهيم، أي: خاصمه في ربه، لأجل أن أعطاه الله الملـــك، أي: حملـــه علـــى ذلـــك بطـــر الملـــك، وذلـــك أنـــه لمـــا كسَّـــر إبراهيـــم الأصنـــام، سجنه أياماً، وأخرجـــه مـــن السجـــن، وقـــال لـــه: من ربك الذي تعبد؟ قال له إبراهيم - عليه السلام -: ربي الـــذي يحيـــي ويميـــت، أي: يخلق الأرواح في الأجسام، ويخرجها عند انقضاء آجالها، قال نمـــرود: أنـــا أحيـــي وأميـــت، فدعـــا برجليـــن فقتل أحدهما، وعفا عـــن الآخـــر، فلـــما رأى إبراهيـــم - عليه السلام - غلطـــه، وتشغيبـــه عدل له إلى حجة أخرى، لا مقدور للبشر على الإتيان بمثلها، قال له: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فـــأت بهـــا أنت من المغرب؛ لأنك تدّعي الربوبية، ومـــن شأن الربوبية أن تقدر على كل شيء، ولا يعجزها شيء، فبُهت الـــذي كفر، أي غُلب وصار مبهوتاً، والله لا يهدي القوم الظالمين إلى قبول الهداية، أو إلى طريـــق النجاة، أو إلى محجة الاحتجاج"[3]

ومن ذلك قصة فرعون:

﴿ **وقَـــالَ فِرْعَـــوْنُ يَا أَيُّـــهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْـــتُ لَكُـــمْ مِـــنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِـــدْ لِـــي يَا هَامَانُ عَـــلَى الطِّينِ فَاجْـــعَلْ لِي صَـــرْحًا لَعَـــلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۞ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ** ﴾{القصص38-39}

" يخبر تعالى عن كفر فرعون وطغيانه وافترائه في دعواه الإلهية لنفسه القبيحة لعنه الله كمـــا قَـــالَ اللَّـــه - تَعَالَـــى -: ﴿ **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ** ﴾{الزخرف54} وذلـــك لأنه دعاهم إلى

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج1 ص 640

[2] انظر تفسير المنار ج 3 ص39، معالم التنزيل في تفسير القرآن للحسين بن مسعود البغوي ج1 ص315

[3] البحر المديد لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة ج1ص333

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الاعتراف له بالإلهية فأجابوه إلى ذلك بقلة عقولهم وسخافة أذهانهم ولهذا قال: (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) وقال - تعالى - إخبارا عنه: ﴿ **فَحَشَرَ فَنَادَى ۞ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۞ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى** ﴾ {النازعات 23-26} يعني أنه جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالي مصرحا لهم بذلك فأجابوه سامعين مطيعين ولهذا انتقم الله - تعالى – منه، فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة، وحتى أنه واجه موسى الكليم - عليه السلام - بذلك فقال: ﴿ **لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنْ الْمَسْجُونِينَ** ﴾{الشعراء 29} "[1].

ومن القصص التي تبرز الطغيان بسبب الاستغناء بالقوة الجسدية، قصة عاد:

﴿ **فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ** ﴾{فصلت15}

" يقول - تعالى ذكره -: فَأَمَّا عَادٌ قوم هود، فَاسْتَكْبَرُوا على ربهم، وتجبروا فِي الأرْضِ، تكبرا وعتوّا بغير ما أذن الله لهم به، وَقَالُوا: مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً؟ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وأعطاهم ما أعطاهم، من عظم الخلق، وشدة البطش، هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً، فيحذروا عقابه، ويتقوا سطوته لكفرهم به، وتكذيبهم رسله، يقول: وكانوا بأدلتنا وحججنا عليهم يجحدون"[2].

ومن قصص القرآن التي تبرز الطغيان بسبب الاستغناء بالمال:

قصة قارون، يقول الله - عز وجل -: ﴿ **إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۞ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ۞ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾{القصص 76-79}

يقول سيد قطب - رحمه الله -: " هكذا تبدأ القصة، فتعين اسم بطلها - قارون -، وتحدد قومه - قوم موسى عليه السلام - وتقرر مسلكه مع قومه، وهو مسلك البغي، وتشير إلى سبب هذا البغي وهو الثراء .

---

[1] تفسير القرآن العظيم ج10ص 463

[2] جامع البيان في تأويل القرآن ج21 ص444

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

لقد كان قارون من قوم موسى، فآتاه الله مالاً كثيراً، يصور كثرته بأنه: كنوز، والكنز هو المخبوء المدخر من المال الفائض عن الاستعمال والتداول؛ وبأن مفاتح هذه الكنوز تعيي المجموعة من أقوياء الرجال، من أجل هذا بغى قارون على قومه، ولا يذكر فيم كان البغي، ليدعه مجهولاً يشمل شتى الصور، فربما بغى عليهم بظلمهم، وغصبهم أرضهم وأشياءهم، كما يصنع طغاة المال في كثير من الأحيان، وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم في ذلك المال، -حق الفقراء في أموال الأغنياء-، كي لا يكون دولة بين الأغنياء وحدهم ومن حولهم محاويج إلى شيء منه، فتفسد القلوب، وتفسد الحياة، وربما بغى عليهم بهذه وبغيرها من الأسباب"[1]

وقصة أصحاب الجنة:

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۞ وَلَا يَسْتَثْنُونَ۞ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ۞ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ۞ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ۞ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ ۞ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ۞ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ ۞ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ۞ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ۞ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۞ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۞ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ۞ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ۞ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾{القلم 17-32}

ومن القصص التي تبرز الطغيان بسبب المال والأولاد:

قصة صاحب الجنتين:

﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۞ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ۞ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۞ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۞ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ۞ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾{الكهف32 -37}

" فهما جنتان مثمرتان من الكروم، محفوفتان بسياج من النخيل، تتوسطهما الزروع، ويتفجر بينهما نهر؛ إنه المنظر البهيج، والحيوية الدافقة، والمتاع، والمال .

[1] انظر الظلال ج5ص2710-2711

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

(كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً) ويختار التعبير كلمة (تظلم) في معنى تـنقص وتمنع، لتقابل بين الجنتين، وصاحبهما الذي ظلم نفسه فبطر ولم يشكر، وازدهى وتكبر .

وهـا هو ذا صاحب الجنتين تمتلئ نفسه بهما، ويزدهيه النظر إليهما، فيحس بالزهو، وينتفش كالديك، ويختال كالطاووس، ويتعالى على صاحبه الفقير: (فقـال لصاحبه وهـو يحـاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً) .

ثم يخطو بصاحبه إلى إحدى الجنتين، وملء نفسه البطر، وملء جنبه الغرور؛ وقد نسي الله ، ونسي أن يشكـره على ما أعطاه؛ وظن أن هذه الجنان المثمرة لن تبيـد أبـداً، أنكـر قيـام السـاعة أصـلاً، وهَبْهَا قامت، فسيجد هنالك الرعاية والإيثار! أليس من أصحاب الجنان في الدنيا؟ فلابد أن يكون جنابه ملحوظاً في الآخرة!

(ودخـل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً ۞ وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلباً) !

إنه الغـرور، يخيل لذوي الجاه والسلطان والمتاع والثراء، أن القيم التي يعاملهم بها أهل هذه الدنيا الفانية، تظـل محفوظـة لهم حتى في الملأ الأعلى! فما داموا يستطيلون على أهل هذه الأرض فلا بد أن يكون لهم عند السماء مكان ملحوظ!"[1]

وقصة الكافر في سورة القلم:

﴿ وَلَا تُطِعْ كُـلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ۞ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۞ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۞ عُتُلٍّ بَعْـدَ ذَلِـكَ زَنِيـمٍ ۞ أَنْ كَـانَ ذَا مَـالٍ وَبَنِيـنَ ۞ إِذَا تُتْـلَى عَلَيْـهِ آيَاتُنَـا قَـالَ أَسَـاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ {القلم 10- 15}

" وحاصل هذا، أن الله تعالى نهى عن طاعة كل حلاف كذاب، خسيس النفس، سيئ الأخلاق، خصوصًا الأخـلاق المتضمنة للإعجاب بالنفس، والتكبر على الحق وعلى الخلق، والاحتقار للناس، كالغيبة والنميمة، والطعن فيهم، وكثرة المعاصي.

وهذه الآيات - وإن كانت نزلت في بعض المشركين، كالوليد بن المغيرة أو غيره لقوله عنه: (أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) أي: لأجل كثرة ماله وولده، طـغى واسـتكبر عن الحق، ودفعه حين جاءه، وجعله من جملة أساطير الأولين، التي يمكن صدقها وكذبها- فإنهـا عامة في كل من اتصف بهذا الوصف، لأن القرآن نزل لهداية الخلق كلهـم، ويدخل فيه أول الأمة وآخرهم، وربما نزل بعض الآيات في سبب أو في شخص من

[1] انظر الظلال ج 4 ص2270

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الأشخاص، لتتضح به القاعدة العامة، ويعرف به أمثال الجزئيات الداخلة في القضايا العامة"[1].

ولا يقتصر الطغيان على أهل الكفر والعصيان، بل قد يطغى المرء وهو من أهل الطاعة، أن رأى نفسه استغنت بشيء من النعم؛ من العلم، أو العبادة، أو النسب، أو غير ذلك.

أما العلم فقد " قال وهب بن منبه[2]: إن للعلم طغياناً كطغيان المال"[3]، وهذا إن ترفع به صاحبه على من دونه ولم يزكه بالعمل به، أو إن دفعه علمه للتحايل على شرع الله وتتبع الرخص.

أما العبادة، فمن العُبَّاد من يرى لنفسه فضلاً على من هم دونه فيها، ولا يراهم إلا مقصرين وكسالى، مع أن منهم من في قلبه من الإيمان أضعاف ما في قلبه هو، ومن العُبَّاد من يحسب أنه هو الناجي وحده، وكل الناس هلكى، وفي الحديث " **إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم** "[4] بضم الكاف وفتحها، والضم أشهر أي أنه أكثرهم هلاكاً.

هذا، وقد حذر النبي - ﷺ -، أمته أشد تحذير من نوع خفي من الطغيان، وهو أن يعمل الرجل عملاً صالحاً في ظاهره الذي يبدو للناس، بينما هو لا يريد به وجه الله سبحانه وتعالى، فقال - ﷺ -: (**إنَّ أولَ النَّاسِ يُقْضَى يومَ القيامةِ عليه: رجلٌ استُشْهِدَ، فأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استُشْهِدتُ، فقال: كذبتَ، ولكنكَ قاتلتَ لأن يقالَ: جَرِيءٌ، فقد قيل، ثم أُمِرَ به، فَسُحِبَ على وَجْهِهِ، حتى أُلقيَ في النَّارِ ورجلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وقرأَ القرآن، فَأُتيَ به، فعرَّفهُ نِعَمَهُ فَعرفَهَا، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وعلَّمْتُهُ، وقرأْتُ فيكَ القرآنَ، قال: كذبتَ، ولكنكَ تعلَّمْتَ العلم ليقال: عالمٌ، وقرأتَ القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثُمَّ أُمِرَ به، فَسُحِبَ على وجهه، حتى أُلقيَ في النَّارِ، ورجلٌ وسَّعَ اللهُ عليه، وأَعطَاهُ من أَصنافِ المال كُلِّهِ، فأُتيَ بِهِ فعرَّفهَ نِعَمه، فعرفها، قال: فما عَمِلْت فيها؟ قال: ما تَركتُ من سبيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنفَق فيها إلا أَنفقتُ فيها لك، قال: كذبتَ، ولكنكَ فعلت ليُقَال: هو جَوادٌ، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فَسُحِبَ على وجهه ثم أُلقيَ في النَّارِ)**[5].

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج1 ص879

[2] وهب بن مُنَبِّه أَبُو عبد الله الصَّنْعَانِيّ وَيُقَال الذماري وَهِي من صنعاء عَلَى مرحلَتَيْنِ وَهُوَ الْأَنْبَارِي من أنبار فَارس سمع عدَّة من الصَّحَابَة - الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد: للكلاباذي ج2 ص760

[3] جامع بيان العلم وفضله: لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي ج1 ص252

[4] صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن قوله هلك الناس ح 2623

[5] صحيح مسلم كتاب الإمارة باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ح1905

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

ولو تأمل المرء في كل صور الطغيان، لوجد أن مرجعها جميعاً إلى خلل في التصور، وفساد في العقل، فمن لم يعرف قدر ربه - جل وعلا -، فيقدره حق قدره، ولم يعرف قدر نفسه، وحقيقتها، وافتقارها، وعوزها إلى خالقها – سبحانه -، غره ما قد يجده منها من استغناء عما سواها - في الظاهر - فيوقعه سوء فكره في الطغيان ﴿ **كَلَّا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى** ﴾{العلق6-7}، وسلفه في هذا إبليس الذي أوقعه سوء فكره في قياس فاسد فعارض أمر الملك - سبحانه وتعالى - قائلاً: ﴿ **أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾ {ص76} .

ولئن ذكرت آيتا العلق سبب الطغيان فإن العلاج الرباني لم يتأخر فجاء الكلام مذكراً ومنبهاً ﴿ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى ﴾{العلق8} .

العارض الثاني إيثار الحياة الدنيا:

﴿ **فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۞ وَآَثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى** ﴾{النَّازعات37-39}

فإذا اجتمع الغنى مع نسيان الآخرة وإيثار الحياة الدنيا، فإن الثمرة لهذا الاجتماع المشئوم هو الطغيان .

يقول سيد قطب – رحمه الله -:

" والطغيان هنا أشمل من معناه القريب، فهو وصف لكل من يتجاوز الحق والهدى،ومداه أوسع من الطغاة ذوي السلطان والجبروت، حيث يشمل كل متجاوز للهدى، وكل من آثر الحياة الدنيا، واختارها على الآخرة، فعمل لها وحدها، غير حاسب للآخرة حساباً، واعتبار الآخرة هو الذي يقيم الموازين في يد الإنسان وضميره، فإذا أهمل حساب الآخرة، أو آثر عليها الدنيا، اختلت كل الموازين في يده، واختلت كل القيم في تقديره، واختلت كل قواعد الشعور والسلوك في حياته، وعد طاغياً وباغياً ومتجاوزاً للمدى"[1] .

العارض الثالث الخوف:

وخوف الطغاة ناشئ عن أمرين:

- الأول خوفهم من زوال الملك، وما يترتب عليه من ضياع الامتيازات التي يتمتعون بها، لذلك يتوجَّسون خيفة من كل من يدعو إلى الحق خشية أن تلتف الجماهير من حوله ومن ثم ينتزع منهم الملك والقيادة .

- الثاني خوفهم من انتقام الناس منهم، فهم يدركون بغض الناس لهم بسبب ظلمهم وطغيانهم، لذلك يخشون أن تتمكن منهم الجماهير فتفعل بهم فِعْلَهُم في الجماهير .

---

[1] في ظلال القرآن ج6 ص3818

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وكلما زاد خوف الطغاة زاد حذرهم، وكلما زاد حذرهم زاد بطشهم، وكلما زاد بطشهم زادت الكراهية لهم، فيحتاجون إلى المزيد من البطش وهكذا يستمر البطش وبوتيرة متزايدة .

يقول الله - ﷻ -:﴿ **قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ {يونس78}

" إذن فهو الخوف من تحطيم معتقداتهم الموروثة، التي يقوم عليها نظامهم السياسي والاقتصادي، وهو الخوف على السلطان في الأرض، هذا السلطان الذي يستمدونه من خرافات عقائدهم الموروثة .

إنها العلة القديمة الجديدة، التي تدفع بالطغاة إلى مقاومة الدعوات، وانتحال شتى المعاذير، ورمي الدعاة بأشنع التهم، والفجور في مقاومة الدعوات والدعاة؛ إنها هي (الكبرياء في الأرض)، وما تقوم عليه من معتقدات باطلة، يحرص المتجبرون على بقائها متحجرة في قلوب الجماهير، بكل ما فيها من زيف، وبكل ما فيها من فساد، وبكل ما فيها من أوهام وخرافات، لأن تفتح القلوب للعقيدة الصحيحة، واستنارة العقول بالنور الجديد، خطر على القيم الموروثة، وخطر على مكانة الطغاة ورهبتهم في قلوب الجماهير، وخطر على القواعد التي تقوم عليها هذه الرهبة وتستند .

إنها الخوف على السلطان القائم على الأوهام والأصنام! وعلى تعبيد الناس لأرباب من دون الله، ... إنها هي هي العلة القديمة الجديدة، كلما قام من يدعو إلى الله رب العالمين "[1]

﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الفَسَادَ** ﴾{غافر26}

"إني أخاف إن لم اقتله، أن يبدل دينكم، أن يغير ما انتم عليه من الدين، الذي هو عبارة عن عبادته وعبادة الأصنام التي تقربهم إليه "[2] .

" ولا شك أن خوف الطاغية من نقمة رعيته أكثر من خوفهم من بأسه؛ لأن خوفه ينشأ عن علم، وخوفهم ناشئ عن جهل، وخوفه من انتقام بحق، وخوفهم عن توهم التخاذل، وخوفه على فقد حياته وسلطانه، وخوفهم على لقيمات من النبات وعلى وطن يألفون غيره في أيام .

وكلما زاد الطاغية ظلماً واعتسافاً[3] زاد خوفه من رعيته ومن حاشيته،

---

[1] في ظلال القرآن ج3 ص1814

[2] انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج5 ص14

[3] العَسْف: ركوب الأمر من غير تدبير، معجم مقاييس اللغة ج4 ص311

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وحتى من هواجسه وخيالاته "[1] .

العارض الرابع خفة الشعوب:

إن الأمة إذا لم تحاسب الحاكم، وإذا لم تأخذ على يديه إن ظلم، ولم تقف في وجهه إن طغى وبغى، فإنَّ ذلك سيجعل الحاكم يتمادى في ظلمه وبغيه وطغيانه، وبخاصة أولئك الطواغيت الذين لا يعرفون لله ولا لرسوله مقاماً، ولا يجعلون للخير في حكمهم مكاناً. هؤلاء الحكام كلما صفقت الأمة لظلمهم، أو هتفت باسمهم في الوقت الذي يرتكبون فيه الجريمة تلو الجريمة، والفساد تلو الفساد، فإنهم إزاء هذا التصفيق والهتاف يهزؤون من الأمة في سرّهم بل في علنهم .

" فالعوام هم قُوتُ[2] المستبد – الطاغية - وقُوَّتُه، بهم عليهم يصول[3]، وبهم على غيرهم يطول[4]، يأسرهم فيتهللون لشوكته[5]، ويغصب أموالهم فيحمدونه على إبقاء الحياة، ويهينهم فيثنون على رفعته، ويغري بعضهم ببعض فيفتخرون بسياسته، وإذا أسرف بأموالهم يقولون عنه إنه كريم، وإذا قتل ولم يمثل يعتبرونه رحيماً، ويسوقهم إلى خطر الموت فيطيعونه حذر التأديب، وإن نقم عليه منهم بعض الأباة[6] قاتلوهم كأنهم بغاة[7]، والحاصل أن العوام يذبحون أنفسهم بأيديهم بسبب الخوف الناشئ عن الجهل "[8] .

" فالطاغية فرعون الذي قال لقومه: ﴿.. **أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى** ﴾{النَّازعات24}

" ما قالها إلا مخدوعاً بغفلة جماهيره، وإذعانها، وانقيادها، فما يخدع الطغاة شيء، مثل ما تخدعهم غفلة الجماهير، وطاعتها، وانقيادها، فما الطاغية إلا فرد، لا يملك في الحقيقة قوة

---

[1] طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، لعبد الرحمن الكواكبي ص53

[2] القُوت ما يُمْسِكُ الرَّمَق؛ وإنَّما سُمِّي قُوتاً لأنَّه مِساكُ البَدَن وقُوَّتُه، معجم مقاييس اللغة ج5ص38

[3] صول: الصاد والواو واللام أصلٌ صحيحٌ، يدلُّ على قَهْرٍ وعُلُوّ، يقال: صال عليه يَصُول صَولةً، إذا استطال، معجم مقاييس اللغة ج3ص322

[4] طول: الطاء والواو واللام أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على فَضْلٍ وامتداد في الشيء، معجم مقاييس اللغة ج3ص433

[5] الشَّوْكة، شدة البَأس، معجم مقاييس اللغة ج3ص230

[6] أبي: الهمزة والباء والياء يدلّ على الامتناع، والإباء: أن تعرض على الرجل الشيءَ فيأبَى قبولَه، انظر معجم مقاييس اللغة ج1ص45

[7] البَغْي: الظُّلم، معجم مقاييس اللغة ج1ص272

[8] طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ص52

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

ولا سلطاناً، إنما هي الجماهير الغافلة الذلول، توطي له ظهرها فيركب، وتمد له أعناقها فيجر[1]، وتحني له رؤوسها فيستعلي، وتتنازل له عن حقها في العزة والكرامة فيطغى.

والجماهير تفعل هذا مخدوعة من جهة، وخائفة من جهة أخرى، وهذا الخوف لا ينبعث إلا من الوهم؛ فالطاغية – وهو فرد – لا يمكن أن يكون أقوى من الألوف والملايين، لو أنها شعرت بإنسانيتها، وكرامتها،وعزتها، وحريتها، وكل فرد في – الأمة – هو كفء للطاغية من ناحية القوة، ولكن الطاغية يخدعها، ويوهمها أنه يملك لها شيئاً يضرها أو ينفعها، وما يمكن أن يطغى فرد أو مجموعة أفراد في أمة كريمة أبداً، وما يمكن أن يطغى فرد أو مجموعة أفراد في أمة تعرف ربها وتؤمن به، وتأبى أن يتعبدها واحد من خلقه لا يملك لنفسه ولا لها ضراً ولا رشداً "[2] .

يقول الله - ﷻ -:﴿ **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** ﴾ {الزُّخرف54}

" واستخفاف الطغاة للجماهير أمر لا غرابة فيه؛ فهم يعزلون الجماهير أولاً عن كل سبل المعرفة، ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها، ولا يعودوا يبحثون عنها؛ ويلقون في روعهم ما يشاءون من المؤثرات حتى تتطبع نفوسهم بهذه المؤثرات المصطنعة، ومن ثم يسهل استخفافهم بعد ذلك، ويلين قيادهم، فيذهبون بهم ذات اليمين وذات الشمال مطمئنين!

ولا يملك الطاغية أن يفعل بالجماهير هذه الفعلة إلا وهم فاسقون لا يستقيمون على طريق، ولا يمسكون بحبل الله، ولا يزنون بميزان الإيمان، فأما المؤمنون فيصعب خداعهم، واستخفافهم، واللعب بهم كالريشة في مهب الريح، ومن هنا يعلل القرآن استجابة الجماهير لفرعون فيقول: (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) "[3]

قال بعض الحكماء: " الذي يحدث للملوك التيه في أنفسهم، والإعجاب بآرائهم، كثرة ما يسمعونه من ثناء النَّاس عليهم، ولو أنهم أنصفوهم، أو صدقوهم عن أنفسهم، لأبصروا الحق، ولم يخف عليهم شيء من أنفسهم "[4] .

---

[1] هكذا وردت في الظلال ولعل الصحيح فيجز من الجز وهو قَطْعُ الشيء ذي القُوَى الكثيرةِ الضعيفة، أنظر معجم مقاييس اللغة ج1ص414

[2] في ظلال القرآن ج6 ص3815

[3] في ظلال القرآن ج5 ص 3194

[4] بدائع السلك في طبائع الملك لابن الأزرق ج1ص133

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المبحث الثاني: ملامح أنظمة الطغاة وصفاتهم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ملامح أنظمة الطغاة

المطلب الثاني: صفات الطغاة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المطلب الأول:

ملامح[1] أنظمة الطغاة:

قَدَّرَ الله - ﷻ - أن يكون لكل داء أعراض تَدُل عليه، ومن خلالها يمكن تشخيصه والتعرف عليه، ولما كان الطغيان داءً من أشد الأدواء التي تفتك بالأفراد والمجتمعات كان لأنظمة الحكم التي تصاب بهذا الداء أعراض وملامح وصفات، يتميز بها عن غيره من أنظمة الحكم ويهدف الباحث من خلال هذا المطلب إلى تجلية هذه الملامح والصفات .

البند الأول:

التألـــــــه:

يقصد الباحث بالتأله: أن يدعي الحاكم أنه إله، أو أنه من نسل الآلهة، أو ينسب لنفسه – بقوله أو فعله – صفة لا تجوز إلا لله - ﷻ -، أو أنه يحكم بتفويض من الله.

لقد حرص الطغاة ومنذ قديم الزمان، على التحرر من كل القيود، والتعالي فوق كل القوانين، وعملوا جاهدين على تذليل كل العقبات، التي تحول دون نفاذ إرادتهم في كل شؤون الحياة، سعياً منهم للوصول إلى إرادةٍ مطلقة، لا يُسْأل فيها الطاغية عما يفعل، بينما رعيته عن كل صغيرة وكبيرة يُسْألون .

" لكن إذا كان الحكام بشرا كالمحكومين، فكيف تكون إرادتهم حرة تحدد نفسها بنفسها، بينما تكون إرادات المحكومين خاضعة لهم، تتحدد وفق مشيئتهم؟! كيف نتصور إرادتين من طبيعة بشرية واحدة ليستا على نفس الدرجة، بل واحدة منهما تعلو الأخرى؟!" [2]

" أول إجابة طرأت على ذهن الإنسان في هذه العصور الموغلة في القدم هي: لابد أن يكون الحكام من طبيعة غير طبيعة البشر، هكذا تصور القدماء الحاكم من طبيعة إلهية: فهو إله، أو ابن الإله، أو هو يحكم بتفويض مباشر، أو غير مباشر من الله "[3] .

" وبعبارة أخرى، يجد العوام معبودهم، وجباريهم مشتركين في كثير من الحالات، والأسماء، والصفات، وهم ليس من شأنهم أن يفرقوا مثلاً: بين الفعال المطلق والحاكم بأمره، وبين

---

[1] (لمح) اللام والميم والحاء أصلٌ يدلُّ على لَمْع شيء، يقال: لَمَح البرقُ والنّجمُ لَمْحاً، إذا لَمَعا،ويقولون: " لأُرِينَّك لمحاً باصراً "، أي أمراً واضِحاً، واللمْحُ: النظر بالعَجَلَةِ، انظر معجم مقاييس اللغة ج5ص209، وتهذيب اللغة ج 5ص98، وهدف الباحث من اختيار هذه اللفظة أن يجلي سمات أنظمة الطغيان بحيث تكفي نظرة ولو سريعة لتمييز أنظمة الطغيان عن غيرها من الأنظمة .

[2] الطاغية دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي: لإمام عبد الفتاح إمام ص7 بتصرف يسير

[3] المرجع السابق ص 7

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

(لا يُسْأل عما يفعل) وغير مسئول، وبين المنعم وولي النعم، وبين جل شأنه وجليل الشأن، وبناءً عليه يعظمون الجبابرة تعظيمهم لله "[1] .

يقول الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله -: " كان قد وقر في الأذهان أن الملوك ليسوا من عبيد الله المألوفين، فإن الأبراج التي يحيون فيها قطعت نسبتهم من الأرض ووصلتهم بالسماء فزعموا أنهم نسل آلهة، أو عاشوا كذلك، وإن لم يقولوا بألسنتهم ما يقولون بأفعالهم "[2]

واستغل الطغاة هذا التصور، فمنهم من سارع وادعى الألوهية، ونادى في الناس أنا ربكم الأعلى، وما علمت لكم من إله غيري، ومنهم من ادعى أنه يحكم بتفويض من الله فهو ظل الله في الأرض، ومنهم من أعطى لنفسه صفة، أو صفات لا تجوز إلا لله، فهو لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، وأخذ يشرع للناس من عند نفسه، بعيداً عن شرع الله ودينه، وهم في كل ذلك يستغلون خفة الجماهير وغفلتها.

و صفة – التأله – هذه، هي أبرز ملامح أنظمة الطغاة على مر العصور، فما من حاكم طاغية إلا وادعى لنفسه الألوهية، أو انتحل صفة أو أكثر من الصفات التي لا تجوز إلا لله .

يقول الكواكبي رحمه الله: " إنه ما من طاغية سياسي إلا ويتخذ له صفة قدسية، يشارك بها الله، أو تعطيه مقام ذي علاقة مع الله "[3]، " وهذا ما فعله جميع الطغاة على مدار التاريخ!"[4]

" لكن هذه الصفة قد تكون ظاهرة، بارزة يعلنها الطاغية نفسه، وقد تكون خافية مستترة، وإن كان مضمونها ظاهرا في سلوكه، فهو على أقل تقدير، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون!" [5]

يقول سيد قطب رحمه الله: " إن فرعون لم يكن يدَّعي الألوهية بمعنى أنه هو خالق هذا الكون ومدبره؛ أو أنَّ له سلطاناً في عالم الأسباب الكونية، إنما كان يدَّعي الألوهية على شعبه المُسْتَذل بمعنى أنه هو حاكم هذا الشعب بشريعته وقانونه، وأنه بإرادته وأمره تمضي الشئون وتُقْضَى الأمور، وهذا ما يدَّعيه كل حاكم يحكم بشريعته وقانونه "[6]

وقد ذكر القرآن الكريم نماذج عدة لحكام طغاة انتحلوا هذه الصفة – صفة الألوهية - وجاهروا بها، منهم:

---

[1] طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ص 37

[2] الإسلام والاستبداد السياسي لمحمد الغزالي ص29

[3] طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ص 37 بتصرف يسير

[4] الطاغية دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي ص7 بتصرف يسير

[5] المرجع السابق ص7 بتصرف يسير

[6] في ظلال القرآن ج3ص1353

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

1- النمروذ بن كنعان الذي حاجَّ إبراهيم، وهو أول حاكم طاغية على الأرض[1] ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ المُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾{البقرة258}.

" الاستفهام في قوله – تعالى -: (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه) للتعجب من هذه المحاجة، وغرور صاحبها، وغباوته، مع الإنكار، وقوله: (**أن آتاه الله الملك**) معناه: أن الذي حمله على هذه المحاجة هو إيتاء الله - تعالى - الملك له ، فكان منشأ إسرافه في غروره، وسبب كبريائه، وإعجابه بقدرته.

(إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت) وكأنه كان قد سأله عن ربه الذي يدعو إلى عبادته، وقد كسر الأصنام التي تعبد من دونه، وسفه أحلام عابديها لأجله، فأجاب بهذا الجواب، فأنكره الملك الطاغية، الذي حكي عنه ادعاء الألوهية لنفسه، وقال أنا أحيي وأميت، أحيي من أحكم عليه بالإعدام بالعفو عنه، وأميت من شئت إماتته بالأمر بقتله، فدل جوابه هذا على أنه لم يفهم قول إبراهيم - عليه السلام - "[2].

2- ومنهم فرعون الذي قال مخاطباً قومه: ﴿ **يَا أَيُّهَا المَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الكَاذِبِينَ**﴾{القصص38}، " قصد بنفي علمه بإله غيره، نَفْيَ وُجُودِهِ، أي: مالكم إله غيري، قاله؛ تجبراً ومكابرة "[3].

يقول الدكتور وهبة الزحيلي: " قال فرعون الطاغية الجبار ملك مصر: يا أيها القوم، لم أعلم بوجود إله غيري، أي إن إله موسى غير موجود، وإنما أنا الإله، وليس قصده من ادعاء الألوهية، كونه خالقاً السماوات والأرض، وإنما وجوب تعظيمه وعبادته، أي عبادة الملك صاحب السلطة والنفوذ المطلق والانقياد التام لأوامره، وهذا من إغراءات الحكم والسلطان، وغرور الملك والعظمة "[4].

---

[1] انظر الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: لأبي محمد مكي بن أبي طالب ج1 ص857 ، و تفسير البغوي ج1 ص315 ، و تفسير القرطبي ج3 ص284

[2] تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ج3 ص39

[3] البحر المديد ج5 ص408

[4] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: لوهبة الزحيلي ج20 ص108

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

و في موضع آخر قال فرعون لعنه الله: ﴿..**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى** ﴾{النَّازعات24} **أي** " لا رب لكم فوقي "[1] .

3- وفي حديث الغلام والساحر الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه نموذج آخر: (.... **فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِىَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ: مَا هَا هُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِى، فَقَالَ: إِنِّى لاَ أَشْفِى أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِى اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللَّهِ، فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ قَالَ: رَبِّى، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِى؟ قَالَ: رَبِّى وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلاَمِ، فَجِىءَ بِالْغُلاَمِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَىْ بُنَىَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّى لاَ أَشْفِى أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِى اللَّهُ)**[2]

دلالة واضحة أن ذلك الملك كان يدعي الربوبية، مثل فرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى .

هذه بعض النماذج التي ساقها القرآن الكريم، أو دلت عليها آياته، كما في النموذج الثالث، فقد ساق الإمام الترمذي هذا الحديث، بألفاظ قريبة في تفسير قوله تعالى : قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ حَتَّى بَلَغَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ[3].

ولم تكن تلك الدعوة – انتحال صفة الألوهية- مجرد قول باللسان، فارغة المضمون، تقتصر على الانحناء أمام الملك، أو السجود بين يديه، بل يحقق الطاغية بهذه الدعوة – انتحال صفة الألوهية- عدة أمور منها:

- التخلص من كل صوت معارض، وبالتالي يصبح الطاغية ذو إرادة مطلقة، لا يُسْأل عما يفعل، بينما رعيته عن كل صغيرة وكبيرة يُسْأَلون.

- الالتحام الأبدي بالسلطة فيحتفظ بها لنفسه طوال حياته، فإذا مات ورثها أحد أبنائه أو أحد أقاربه إن لم يكن له أبناء .

البند الثاني:

عدم تفويض السلطة:

ويمكننا أن نلمح ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ **فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ۞ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ**

---

[1] الجامع لأحكام القرآن ج 19 ص 202

[2] صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقائق باب قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلَامِ ح7703

[3] انظر الجامع الكبير لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، كتاب التفسير باب ومن سورة البروج ح3339

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ {طه 70-71}

" فالمشهد هنا يبين لنا العقدة الرئيسة في شخصية فرعون كحاكم مطلق، كما يفسر لنا بأي معنى قال أنا ربكم الأعلى .

فحين آمن السحرة بدعوة موسى - عليه السلام -، لم يغظ فرعون أنهم آمنوا، بقدر ما غاظه أنهم آمنوا بدون إذنه، وهذه العقدة الرئيسة في شخصية فرعون الحاكم قديماً وحديثاً، فهو يريد أن يجري كل شيء في البلاد بإذنه ومن تحت أمره، ومن أتى شيئاً بغير إذنه، فهو معارض، مخالف لسيادته وسيادة قانونه، والنص القرآني يصور لنا ضمناً: أن فرعون كان يسيطر على كل شيء في البلاد، ويتحكم في كل أمر من الأمور، حتى وزراؤه ورجال سلطته لا يستطيع الواحد منهم أن يبرم أمراً إلا من بعد توجيهات سيادة الفرعون، فهو فوق كل شيء في البلاد، وهذا معنى أنا ربكم الأعلى، ففرعون لم يكتف بالتحكم المادي في الأشياء المحسوسة، بل يريد أن يتحكم في القلوب والصدور، فلا تؤمن إلا من بعد إذنه، وسواء كان الإذن شفاهة، أم في صورة قوانين تطبخ و تجهز في مطابخ برلمانه الطائع له، الخاضع لنفوذه، فالأمر سيان"[1].

" إنه لا يريد أن يتصرف فرد بوحي خالص من فكره المجرد، ولا أن يقتنع أحد بفكرة انشرح لها صدره، بل يريد أن يفعل الفعل أو يترك لوجهه لا لوجه الحق "[2]

هكذا ينبغي أن نفهم مقولة فرعون ﴿..**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى** ﴾{النَّازعات24}، ﴿.. **مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي**.. ﴾{القصص38} وأمثالها، فهي لا تعني الربوبية والألوهية بمعناها الشائع في تصورنا بل تعني: أنه المتصرف في كل شيء، وأنه أساس نظام الحكم، وأنه السلطة التي لا تُعارض، وأنه المُشَرِّع والمُقَنِّن، والحاكم والسلطان، وكل من في البلاد خاضع له شخصياً، ولا عجب في هذا فلقد كان فرعون مسيطراً سيطرة كاملة على كل شيء في الحياة بما فيها المعبد والدين ورجاله "[3] .

---

[1] فرعون في القرآن الكريم لأبي الأعلى المودودي ص87

[2] الإسلام والاستبداد السياسي ص31

[3] فرعون في القرآن الكريم ص 118- 119

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

البند الثالث:

تعطيل الدستور:

والدستور هو: " مجموعة القواعد الأساسية التي تبين شكل الدولة و نظام الحكم فيها و مدى سلطتها إزاء الأفراد "[1]

وبعبارة أخرى: الدستور هو القانون الأسمى بالبلاد، وهو يحدد نظام الحكم في الدولة، واختصاصات سلطاتها الثلاث – التشريعية، والقضائية، والتنفيذية - وتلتزم به كل القوانين الأدنى مرتبة في الهرم التشريعي، فالقانون يجب أن يكون متوخيا للقواعد الدستورية، وكذلك اللوائح يجب أن تلتزم بالقانون الأعلى منها مَرْتبة، إذا ما كان القانون نفسه متوخيا القواعد الدستورية، وتكون القوانين واللوائح غير شرعية إذا خالفت قاعدة دستورية واردة في الوثيقة الدستورية.

ولابد لكل دولة من دستور، سواءً كان هذا الدستور مكتوباً في وثيقة، أو كان عبارة عن قواعد عرفية استمر العمل بها لسنوات طويلة حتى أصبحت بمثابة القانون الملزم وتسمى أحيانا الدساتير العرفية.[2]

والدستور بالتعريف السابق يحد من جبروت الحاكم وطغيانه، لذلك يلجأ الطغاة إلى التملص من سلطان الدستور، وذلك بتأويل نصوصه على غير وجهها، أو بتعطيل الدستور وإعلان حالة الطوارئ التي قد تستمر طيلة فترة حكم الطاغية، والتي قد تمتد إلى عشرات السنوات، لا يكون فيها قانون إلا قانون الطاغية نفسه، " فتصبح إرادته هي القانون الذي يحكم، وما يقوله هو أمر واجب التنفيذ، وما على المواطنين سوى السمع والطاعة "[3]، " ويجب أن يصير كل شيء إلى تقديره، وأن تُزْدَرَى الخطط كلها إلا خطته "[4]

يقول إمام عبد الفتاح إمام " أما من حيث الشكل الدستوري لهذا الضرب من ضروب الحكم، فلم يكن للطغيان دستور، ولا للطاغية مركز رسمي محدد، فإذا ما أطلقت عليه البلاد لقب ملك أو طاغية فلا يهم، لأن المحور الأساسي هو الاعتراف بسلطانه، وبتمركز جميع السلطات في يده، فلا قانون إلا ما يأمر به، حتى ولو خالفت أوامره القوانين القديمة للبلاد، بل إنه هو نفسه قد يصدر أمرا جديدا - قانونا جديدا- يخالف ما أصدره قبل ذلك، ولهذا

---

[1] المعجم الوسيط ج1 ص283

[2] انظر محاضرات في المبادىء القانونية العامة : للدكتور سالم حماد الدحدوح والدكتور حمدي محمود بارود ص 73، وأصول القانون لعبد المنعم فرج الصده ص94

[3] الطاغية ص44

[4] الإسلام والاستبداد السياسي ص48

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

فليس ثمة غرابة، إذا ما وجدنا التناقض شائعا في حكم الطغـــاة! فقـــد تكـــون القـــوانين، أو القرارات التي أصدرها مبنية على الانفعال، والانفعال بطبيعته وقتي ومتقلـــب، وقـــد يكـــون القرار بالغ الخطورة لأنه يمس حياة إنسان مثلا!"[1].

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحالة – تعطيل الدستور - في قوله تعالى ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ۞ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ۞ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۞ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾{غافر26-29}

ويبـــدو مـــن خـــلال هـــذا المشهد: أن فرعون كان يستشير الملأ[2]، أو إن شئت فقل: مجلس الشعب، أو مجلس الأمة، أو المجلس التشريعي، أو البرلمان[3] .

وموضوع الاستشارة – كما هو واضح من خلال الآيات – قتل موسى - عليه السلام -، وهنا لابد من طرح سؤال ملح، متى كان الطاغية بحاجة إلى إذن لقتل أحد عبيده – حسب واقع الحال لدى الطغاة – وخاصة إذا كان هذا الطاغية يدعي الألوهية؟ ألم يقل أحد الطغاة أنا أحي وأميت؟ أحيي من أحكم عليه بالإعدام بالعفو عنه، وأميت من شئت إماتته بالأمر بقتله [4].

والإجابة على السؤال واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، إذاً لماذا يلجأ فرعون أو الفراعنة إلي مجلس الشعب؟

وللإجابة على هذا السؤال، يجب أن نعرف أولاً: لماذا أحجم فرعون عن قتل موسى حتى هذه اللحظة؟ أي لماذا لم يقتله منذ اللحظة الأولى؟

يجيب الإمام الرازي رحمه الله إجابة تلخص ما ذهب إليه المفسرون في هذه المسألة فيقـــول: "(قَالَ فِرْعَوْنُ ذروني أَقْتُلْ مُوسَى) وهـــذا الكـــلام كالدلالة على أنهم كانوا يمنعونه من قتله وفيه احتمالان:

---

[1] الطاغية:ص 42,41

[2] انظر معالم التنزيل ج7 ص 145، لباب التأويل في معاني التنزيل ج6 ص 93

[3] هم نواب للشعب لأن الطاغية يقدمهم للناس على هذا الأساس، والحقيقة أن مثل هذه المجالس فـــي أنظمـــة الطغاة تعين تعييناً من قبل الطاغية، إما بطريقة مباشرة كأن يقوم الطاغية بتسميتهم، أو غير مباشرة وذلـــك عن طريق الانتخابات التي تُزور سلفاً لتؤمن الأغلبية لأعوان الطاغية.

[4] انظر ص49 من هذا البحث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

والاحتمال الأول أنهم منعوه من قتله لوجوه:

الأول: لعلـــه كان فيهم من يعتقد بقلبه كون - موسى عليه السلام- صادقاً، فيأتي بوجوه الحيل فـــي منع فرعون من قتله .

الثاني: إن أصحابـــه قالوا له لا تقتله، فإنما هو ساحر ضعيف، ولا يمكنه أن يغلب ســـحرتك، وإن قتلته أدخلت الشبهة على الناس، وقالوا إنه كان محقاً، وعجزوا عن جوابه فقتلوه .

الثالث: لعلّهم كانوا يحتالون في منعه من قتله، لأجل أن يبقى فرعون مشغول القلب بموسى، فلا يتفـــرغ لتأديب أولئك الأقوام، فإن من شأن الأمراء أن يشغلوا قلب ملكهم بخصم خارجي حتى يصيروا آمنين من شر ذلك الملك .

والاحتمال الثاني: أن أحداً لم يمنع فرعون من قتل موسى - عليه السلام-: وأنه كان يريد أن يقتله، إلا أنه كـــان خائفاً من أنه لو حاول قتله لظهرت معجزات قاهرة تمنعه عن قتله فيفتضح؛ إلا أنه لوقاحته قـــال ذروني أَقْتُـــلْ مُـــوسَى، وغرضه منه أنه إنما امتنع عن قتله رعاية لقلوب أصحابه، وغرضه منه إخفاء خوفه "[1]

والذي يظهر للباحث ترجيح الاحتمال الثاني – وذلك أن الطاغية مـــستعد للتـــضحية بـــأقرب الناس له، إن شعر أنه يشكل خطراً عليه، ففرعون نفسه قتل زوجته عندما علم أنها آمنـــت[2]، فمـــن ذا الـــذي سيقف في وجه فرعون مدافعاً عـــن موســـى - عليه السلام - وهـــو يمثـــل رأس الخطر؟

" والظاهر أنه لعنه الله تعالى استيقن أنه عليه السلام نبي ولكن كان فيه خب[3] وجريرة[4] وكان قتالاً سفاكاً للدماء فـــي أهون شيء فكيف لا يقتل من أحس منه بأنه الذي يثل عرشه[5] ويهـــدم ملكه ولكنه يخاف إن هم بقتله أن يُعَاجل بالهلاك فقوله: ذروني ..... الخ كان تمويهاً علـــى قومه وإيهاماً أنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه إلا ما في نفسه من هول الفزع "[6]

---

[1] مفاتيح الغيب ج27 ص48 وانظر البحر المديد ج6 ص457

[2] انظر الجامع لأحكام القرآن ج18 ص203، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ج28 ص164

[3] الخَبُّ بالفتح والكسر الرجل الخداع، مختار الصحاح للرازي ج1 ص196

[4] الجَرِيرَةُ: الذَّنْبُ والجِنايَةُ، لسان العرب ح1 ص 594

[5] ثلَّ عرشه أي زال قِوام أمره، العين ج8 ص216

[6] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج24 ص62 وانظر إرشاد العقل السليم إلى مزايـــا القرآن الكريم ج5 ص14

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

ومما سبق يتضح لنا أن الطاغية ما كان ليتردد في قتل موسى لولا خشية العواقب، كظهور بلاء عام – قد لا يتحمله الشعب – فيثورون عليه، وقد جرب فرعون وقومه مثل هذا البلاء كما ورد في قوله تعالى: ﴿ **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ** ﴾{الأعراف 133}

- والذي ما كان لِيُرْفَع عنهم لولا لجوئهم إلى موسى - عليه السلام - ليدعو ربه أن يكشفه عنهم- فإذا قتل موسى - عليه السلام - وظهر البلاء، فإن الذي قتل موسى - عليه السلام -، أو أشار بقتله سَيُحَمل تبعة ذلك، وسيثور الناس ضده .

وهذا هو الذي يفسر لنا سبب لجوء فرعون إلى الملأ – مجلس الشعب – للحصول منهم على إذن لقتل موسى - عليه السلام -، فطرح عليهم الأمر وكأنه يستشيرهم، - وهو الذي قتل العشرات بل المئات وربما الألوف دون أن يستشير أحداً – فإذا حصل منهم على الموافقة، ونفذ الأمر، ووقع المحذور وحدث البلاء، خرج للناس ليقول لهم أنه بريء وما فعل ذلك إلا استجابة لنواب الشعب وممثليه .

فاستشارة فرعون هنا كانت لتوريط مجلس الشعب في تَحمل تبعات قتل موسى - عليه السلام -، وما كان فرعون يتوقع أن ينبري أحد النواب للدفاع عن موسى - عليه السلام -، فلما فوجئ بذلك، تخلى عن لغة الاستشارة وعاد إلى لغته الأصلية – لغة الطغيان – فقال (ما أريكم إلا ما أرى و ما أهديكم إلا سبيل الرشاد) .

وإذا تأملنا هذه الكلمات وجدناها تدل بصراحة واضحة، وإعلان ذائع مستفيض على الفكر الإقصائي بكل ما يحمل من معنى حرفي وروحي من هذه الكلمة (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى) لا ينبغي أن يرى الناس إلا ما يرى، لا فكر إلا فكره، ولا رأي إلا رأيه، ولا نظر إلا نظره، فهو المبصر وغيره العميان، وهو الصواب وغيره الخطأ.

بل وأكثر من ذلك (وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)لا هداية إلا ما يرى، كله هداية وغيره ضلال، كله رشاد وغيره غي، هو محور الخير وغيره محور الشر، هو كل شيء وغيره لا شيء، وكأن لسان حال الطاغية يقول لهؤلاء النواب، أنا لم أجعلكم في هذه المنزلة، وأمنحكم هذه الرتبة، لتعترضوا علي، بل لِتُأَمِّنوا على ما أقول، أنسيتم أنني أنا ربكم الأعلى .

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله " وقديماً قيل من البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه لا مَنْ يبصره، وقد نفذ هذا فرعون عندما قال لقومه ما أريكم إلا ما أرى "[1]

[1] الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية: للشيخ محمد الغزالي ص52

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

" فالطاغية يضع نفسه فوق المسئولية، ويخطئ الخطأ الرهيب، فإذا افْتُضِحَ أمره كان غيره غالباً كبش الفداء "[1]

ويقول سيد قطب - رحمه الله - معلقاً على قول فرعون: " إنني لا أقول لكم إلا ما أراه صواباً، وأعتقده نافعاً، وإنه لهو الصواب والرشد بلا شك ولا جدال! وهل يرى الطغاة إلا الرشد والخير والصواب؟! وهل يسمحون بأن يظن أحد أنهم قد يخطئون؟! وهل يجوز لأحد أن يرى إلى جوار رأيهم رأياً؟ وإلا فلم كانوا طغاة؟!"[2]

يقول الشيخ السعدي: " رأى أن يستخف قومه فيتابعوه، ليقيم بهم رياسته، ولم ير الحق معه، بل رأى الحق مع موسى - عليه السلام -، وجحد به مستيقنًا له، وكذب في قوله: (وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ) فإن هذا قلب للحق، فلو أمرهم بإتباعه إتباعا مجردًا على كفره وضلاله، لكان الشر أهون، ولكنه أمرهم بإتباعه، وزعم أن في إتباعه إتباع الحق"[3] .

بيد أن هناك حالة أخرى يلجأ فيها الطغاة إلي نواب الشعب، هذه الحالة يدلنا عليها واقع الطغاة قديماً وحديثاً، وفي هذه الحالة يضطر الطاغية إلى تغيير جلده، ليظهر أمام الناس بصورة الحاكم العادل، الذي يستجيب لمطالب الشعب المُمَثَّلين في مجلس الشعب عن طريق النواب؛ يقول البستاني " أما الطاغية، فيستبد بطبعه ويسرف في المعاصي والظلم، وقد يلجأ في طغيانه إلى اتخاذ القوانين والشرائع سترا يتستر به، فيتمكن مما يطمح إليه من الجور، والظلم، والفتك برعيته، وهضم حقوقها، وقد يكيف فظائعه بقالب العدل، فيكون أشر الطغاة، وأشدهم بطشا بمن تناولتهم سلطته "[4] فيقوم الطاغية بإجراء انتخابات ليختار الشعب من ينوب عنه، هذا ما يحدث في العلن، وأما في الخفاء فلا يتورع الطاغية عن استخدام أحط الأساليب وأقذرها من أجل أن يُؤَمِّن الأغلبية له ولأتباعه، ابتداءً من سن القوانين التي تحول دون فوز المعارضين، ومروراً باستخدام الترغيب والترهيب، واستخدام المال العام في شراء الأصوات، وتسخير أجهزة الدولة، وانتهاءً بتزوير الانتخابات، وإعلان النتائج، وما يتلو ذلك من كيل المديح إلى نزاهة العملية الانتخابية.

ومجلس الشورى، أو مجلس الأمة، أو مجلس الشعب، أو المجلس التشريعي، أو البرلمان،المنتخب بهذه الطريقة، يدرك أنه مجرد أداة في يد الطاغية، يمرر من خلاله ما يريد

---

[1] الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية ص 52 بتصرف

[2] في ظلال القرآن ج6 ص256

[3] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج1 ص 736

[4] دائرة معارف البستاني ج 11 ص165

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

تمريره على الشعب، ويدرك هؤلاء النواب أيضا أن لكل منهم دوراً محدداً، لا يجوز لـــه أن يتجاوزه، وهذه الأدوار يحددها الطاغية نفسه، فعلى هذه المجموعة أن تتبنـــى المـــشروع – الذي أعده الطاغية سلفاً – وتطرحه على المجلس باسمها، وهذان النائبان عليهما أن يعترضـــا على مشروع الطاغية عند طرحه، وعلى هذا النائب أن ينسحب عند طرح الموضوع محتجاً، وهؤلاء الأربعة يمتنعون عن التصويت، ونواب المعارضة الحقيقيون لا يزيدون عـــن ربـــع أعضاء المجلس، ثم يجري التصويت على مشروع الطاغية، وتبثه وسائل الإعلام - المرئيـــة والمسموعة والمقروءة - المُوَجَّه من قِبَل الطاغية، ويبدأ الصراخ داخل المجلـــس وتتعـــالى الصيحات، وتُتَبَادل الاتهامات، ثم يجري التصويت، فلو كان عدد النواب مائة، لكـــان مـــنهم خمس وعشرون في المعارضة، - حسب التقسيم السابق – والمعترضون من الحزب الحـــاكم اثنان والمنسحب واحد والممتنعون عن التصويت أربعة، وهكذا يكون العدد اثنان وثلاثـــون - مجموع الرافضين للمشروع - وتبقى بقية المائة مؤيدة للمشروع، ثم يخرج الطاغيـــة ليثنـــي على الأداء الديمقراطي – حسب التعبير الشائع في زماننا – داخل المجلس، وأنه يقبل بقـــرار الأغلبية من أجل مصلحة الشعب، وأن ما حدث مفخرة من مفاخر البلاد العظيمة التي تحققت في زمانه، وأنه يحق للشعب أن يحتفل، فتخرج المسيرات الكبيرة التي يكون الطاغية قد أعـــد لها مسبقاً، تهتف للزعيم الأوحد، والبطل الهمام الذي قاد البلاد نحو التقدم والرقي .

وفي كلتا الحالتين- اللتين يلجأ فيهما الطاغية إلى نواب الشعب – لا يسمح علـــى الإطـــلاق بتجاوز إرادته.

فإن حدث خطأ ما - سواء في العملية الانتخابية، أو أثناء عرض مشروع ما للطاغية على مجلس الشعب – وأتت الرياح بما لا تشتهي السفن، سارع إلى حل المجلس النيابي، وإن لم يستطع حل المجلس لسبب من الأسباب، فإنه لا يتورع عن استخدام أحط الأساليب لإفشال هذا المجلس، وإن اضطره ذلك للاستعانة بأعداء بلده، بل قد يلجأ إلى اغتيال المعارضين من المجلس وتصفيتهم جسدياً، كما فعل فرعون عندما حاول أن يغتال الرجل المؤمن الذي اعترض عليه ﴿ **فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآَلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذَابِ** ﴾[1]{غافر45} .

يقول أبو الأعلى المودودي - رحمه الله -: " يظهر أن هذا الرجل كان شخصاً مهماً في دولة فرعون، وإلا لما استطاع أن يجهر بالحق علانية دون أن يجرؤ أحد على عقابه، ولهذا لجأ

[1] انظر تفسير الكشاف ج5 ص351، مفاتيح الغيب ج 27 ص64

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

فرعون ورجاله إلى تخطيط المؤامرات السرية لاغتياله، والتخلص منه، لكن الله وقاه إياها فلم تنجح "[1] .

والنتيجـــة في كل الأحوال تعطيل المجلس، والعودة إلى الحكم الفردي المطلق – الطغيان –

البند الرابع:

الاستيلاء على مقدرات الدولة الاقتصادية:

" قيل في مدح المال، إن أكبر ما يحل المشكلات، الزمان والمـــال، ولا يـــصان الـــشرف إلا بالدم، ولا يَتَأتَّى العز إلا بالمال "[2] .

فالمال بالنسبة للطغاة يعني مزيداً من السلطة والقوة والنفوذ، فبالمال تُشْترى الـــذمم، وبالمـــال يَكْثر الأتباع، وبالمال تُبْنى القوة، وبالمال تُشَيَّد القصور، وبالمال تُقْضَى الـــشهوات، وبالمـــال يتم التخلص من المعارضين، وبالمال يُسْتَغفل العوام ويُخَدعون.

لذلك حرص الطغاة قديماً وحديثاً على جمع المال وكنزه، " فالطاغية يسخر كل موارد الـــبلاد لإشباع رغباته،و ملذاته و متعه التي قد تكون، في الأعم الأغلب حسية، أو قد تكـــون متعتـــه في طموحاته إلى توسيع ملكه، وضم المدن المجاورة أو الإغارة على بعضها لتدعيم ثروتـــه، أو إقامة إمبراطورية..الخ، ولا شك أنه لو كان في الدولة كنوز مقدسة، فسوف ينهبهـــا كمـــا ينهب أموال الضحايا من المواطنين، ومن الواضح أنه يعيش هو ورفاقه، وحاشـــيته،وبطانته، وعشيقاته من ثروة الشعب، وهكذا نجد أن الشعب الذي أنجب الطاغية يجد نفـــسه مـــضطرا لإطعامه هو وحاشيته!"[3] .

" فالزاوية التي ينظر الاستبداد السياسي من خلالها إلى الجماهير، أنهـــم رق يتـــداول بـــالبيع والخلع والتوريث والغصب، ومادامت ذواتهم ملكاً فكسبهم حق السيد الحاكم، يضع يده عليـــه كيف يشاء، وينفقه كيف يشاء "[4]

يقول الله - ﷻ -: ﴿ **وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾ {الزُّخرف51}

" قَـــالَ يَا قَـــوْمِ أَلَيْـــسَ لِـــي مُلْـــكُ مِصْـــرَ، لا ينازعـــني فيه أحد، وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْـــتِي، يـــعني أنهـــار النيـــل، ومعظمـــها أربعـــة: نهر الملك، ونهـــر طولـــون، ونهـــر

---

[1] انظر فرعون في القرآن الكريم ص145

[2] طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد ص81

[3] انظر الجمهورية: لأفلاطون (الترجمة العربية للدكتور / فؤاد زكريا ص494)

[4] انظر الإسلام والاستبداد السياسي ص44

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

دمياط، ونهر تنيس، وقيل معنى: وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي، أي القواد والرؤساء والجبابرة يسيرون من تحت لوائي؛ قاله الضحاك، وقيل : أراد بالأنهار الأموال، وعبر عنها بالأنهار لكثرتها وظهورها، وقوله: تَجْرِي مِنْ تَحْتِي، أي أفرقها على من يتبعني؛ لأن الترغيب والقدرة في الأموال دون الأنهار، أَفَلا تُبْصِرُونَ عظمتي وقوتي وضعف موسى، وقيل: قدرتي على نفقتكم وعجز موسى "[1].

يقول سعيد أيوب: " وكان الفرعون خفرع هو أول من ادعى بنوته للإله " رع " وعلى سنته سار جميع الفراعنة وبمقتضى هذه البنوة كان للفراعنة الحق في امتلاك كل شيء على أرض مصر "[2].

وبهذه الملكية المطلقة للوطن والمواطن، يرى الطاغية أنه صاحب الحق في صبغ الوطن والمواطنين بأفكاره، ونظريته، في كل قضية كبيرة أو صغيرة؛ سياسية أو اجتماعية، دينية أو دنيوية، وهو بذلك لا يستحي من أحد فكل الذوات والقيم والأشياء من ممتلكاته (قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد).

يقال: إنه كان لفرعون وملئه من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن الذهب والفضة والزبرجد[3] والزمرد والياقوت[4]، وفيما يستخرج من قبور الفراعنة ومعابدهم وما تركوه من آثار خير شاهد على ما كانوا يمتلكونه من أموال[5] ولقد أشار موسى - عليه السلام - إلي هذه الحقيقة: ﴿ **وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ {يونس88}

وإذا كان فرعون قد حاز هذا القدر من المال، وليس له سوى ملك مصر، وبعض المناطق المجاورة لها[6]؛ فإن النمروذ طاغية بابل قد حكم الدنيا كلها[7]، وكان الناس يمتارون[8] طعامهم

---

[1] انظر الجامع لاحكام القرآن ج16 ص 98، فتح القدير ج4 ص795، النكت والعيون ج5 ص230

[2] الانحرافات الكبرى ص192

[3] الزَّبَرْجَدُ بوزن السفرجل جوهر معروف، مختار الصحاح ج1ص280

[4] انظر المرجع السابق ج8 ص373

[5] انظر تفسير المنار ج 11 ص386

[6] انظر جامع البيان في تأويل القرآن ح19 ص345، النكت والعيون ج4 ض234

[7] انظر جامع البيان في تأويل القرآن ج5 ص433، الجامع لأحكام القرآن ج3 ص284، لباب التأويل في معاني التنزيل ج1 ص273

[8] الميرَة: جَلَبُ الطَّعام: تاج العروس من جواهر القاموس ج14 ص162، تهذيب اللغة ج15 ص299.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

من عنده[1]، فكم يا ترى سيكون عنده من الأموال؟

وفي هذا الزمان يملك الطغاة من القصور والضياع والأموال والأراضي والشركات والحسابات المصرفية - في مصارف الغرب – ما لا يعلمه إلا الله - تعالى - .

ولا تعرف الشعوب عن أرصدة طواغيتها شيئاً، إلا إذا غضبت الدول الكبرى على الطواغيت وأرادت ابتزازهم، فإنها تكشف عن بعض ما لديها من أرصدتهم .

وإذا كان النمروذ وفرعون قد استغلوا دعوى الألوهية في السيطرة على أموال الناس وعلى مفاصل الدولة الاقتصادية، فإن طغاة العصر قد استخدموا أكثر الطرق خسة ونذالة في جمع المال والسيطرة على اقتصاد الشعوب .

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**مَنْهُومَانِ**[2] **لَا يَشْبَعَانِ: مَنْهُومٌ فِي عِلْمٍ لَا يَشْبَعُ، وَمَنْهُومٌ فِي دُنْيَا لَا يَشْبَعُ**)[3] .

البند الخامس:

مصادرة الحريات:

في ظل حكومات الطغيان ينحصر الحديث عن الحقوق والحريات – إن كان هناك حقوق أو حريات أصلاً – فالإنسان في ظل هذه الحكومات ليس له حقوق، ولا يتمتع بشيء من الحريات، إلا ما يمكنه من خدمة الطاغية، فليس الطغيان إلا اعتداءً على كرامة الإنسان، وسلباً لمقومات إنسانيته.

يقول الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - " وحيث يسود الحكم المطلق تُنْتَقَص الإنسانية من أطرافها، بل من صميمها "[4]

" فالطاغية يتحكم في شئون الناس بإرادته لا بإرادتهم، ويحاكمهم بهواه لا بشريعتهم، ويعلم من نفسه انه الغاصب المعتدي، فيضع رجله على أفواه الملايين من الناس يسدها عن النطق بالحق والتداعي لمطالبته "[5]

---

[1] انظر الدر المنثور: للسيوطي ج 1 ص586، بحر العلوم: للسمرقندي ج1 ص196

[2] منهومٌ بكذا: مُولَعٌ به، معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ج5 ص365

[3] المستدرك على الصحيحين: للإمام الحاكم النيسابوري كتاب العلم ح 312، قال الحاكم هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ وَلَمْ أَجِدْ لَهُ عِلَّةً .

[4] الإسلام والاستبداد السياسي ص28

[5] طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ص33

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

" إنه يعدم إرادة الناس، ويجهز عليها، ويدمر حرية الإنسان التي هي أهم جزء من كرامته كإنسان "[1]

ويعيش الإنسان في ظل هذه الأنظمة لا يأمن على نفسه، ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ المُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾{البقرة258}.

فحياة الإنسان أو موته مرتبطان بإرادة الطاغية – على حسب زعم الطاغية – جاء في التفاسير: " أن النمروذ لما قال أنا أحيي وأميت، أحضر رجلين، فقتل أحدهما وأرسل الآخر، فقال: قد أحييت هذا وأمت هذا "[2]؛ وهكذا أُزْهِقت وما زالت تُزْهَق أرواح ملايين الأبرياء على مذبح الطغيان، لا لسبب إلا ليظهر الطغاة قوتهم وسطوتهم .

وفي ظل هذه الأنظمة لا يأمن الإنسان على أهل بيته ﴿ **وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ**﴾ {الأعراف127}

هكذا وبكل بساطة كان رد فرعون، فحياة الناس – حتى الأطفال منهم – لا تعني للطاغية شيئاً، هكذا ستزهق العشرات من أرواح الأطفال وربما المئات يومياً، ولا شفاعة لطفولتهم، ولا رحمة لبراءتهم.

" إنه الطغيان في كل مكان، وفي كل زمان، لا فرق بين وسائله اليوم ووسائله قبل عشرات القرون والأعوام "[3] .

وفي ظل أنظمة الطغيان تُستَبَاح أموال الناس، " فالطغيان يجعل المال في أيدي الناس عرضة لسلب الطاغية وأعوانه وعماله غصباً أو بحجة باطلة؛ وعرضة أيضاً لسلب المعتدين من اللصوص والمحتالين الراتعين في ظل أمان الطغيان؛ وحيث أن المال لا يحصل إلا بالمشقة، فلا تختار النفوس الإقدام على المتاعب مع عدم الأمن على الانتفاع بالثمرة "[4]

" وحفظ المال في عهد إدارة الطغيان أصعب من كسبه؛ لأن ظهور أثره على صاحبه مجلبة لأنواع البلاء عليه، ولذلك يضطر الناس في زمن الطغيان لإخفاء نعمة الله، والتظاهر بالفقر

---

[1] فرعون والطغيان السياسي لأحمد بهجت ص8

[2] الجامع لأحكام القرآن ج3 ص285، وانظر تفسير البغوي ج1 ص316، النكت والعيون ج1 ص330

[3] في ظلال القرآن ج3ص1355

[4] انظر طبائع الاستبداد ص 80

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

والفاقة، ولهذا يقال في أمثال هؤلاء: إن حفظ درهم من الذهب يحتاج إلى قنطار من العقل، ويقال: العاقل من يخفي ذهبه[1] وذهابه[2] ومذهبه[3]، ويقال أسعد الناس الصعلوك[4] الذي لا يعرف الحكام ولا يعرفونه "[5]

وقد سبق وأن أشرنا إلى قول الله - ﷻ -:﴿**وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ {الزُخرف51}

وفي ظل أنظمة الطغيان يحرم الإنسان من حرية التعبير عن الرأي، ﴿. . . **قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾ {غافر29}[6]

يقول أحمد بهجت " حُكْمُ فرعون لمصر لم يكن حكماً طبيعياً، ولا كان يؤدي إلى مناخ طبيعي، كان الحكم استبدادياً قاهراً يتعامل بالسيف مع كل رأي معارض، أو مخالف، أو تفوح منه رائحة المعارضة، أو إمكانيتها "[7]

" فالحاكم المجرم يريد جواً يسوده الصمت الرهيب، لأنه يدري أن الأفواه لو نطقت فستفضح خبأه، وتكشف سره، وهنا الطامة الكبرى لذلك كان من خصائص الاستبداد السياسي في كل زمان ومكان كرهه الشديد لحرية النقد والتوجيه.....وكان الثوار على المظالم في كل بلد وقع فريسة الحكام المستبدين يطلبون حرية القول، وكان هؤلاء الحكام يخشون من الحرية على كيانهم فهم يحظرونها، ولا يجوز أن يذاع إلا ما كان مدحاً لهم، أو زلفى لديهم، ثم تخرس الألسنة بعد هذا "[8] .

ويبدو هذا الأمر - حرمان الإنسان من حرية التعبير - واضحاً في قوله تعالى:

﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ** ﴾{فصلت26}

يقول الإمام الرازي: " اعلم أن القوم علموا أن القرآن كلام كامل في المعنى وفي اللفظ؛ وأن كل من سمعه وقف على جزالة ألفاظه، وأحاط عقله بمعانيه، وقضى عقله بأنه كلام حق واجب القبول، فدبروا تدبيراً في منع الناس عن استماعه، فقال بعضهم لبعض (لاَ تَسْمَعُواْ

---

[1] الذهب: الجوهر المعروف

[2] الذهاب: المرور والمضي أنظر المعجم الوسيط ج1 ص316

[3] المذهب: الطريقة والمعتقد الذي يذهب إليه يقال ذهب مذهبا حسنا، المعجم الوسيط ج1ص317

[4] الصُعْلوكُ: الفقيرُ، الصحاح في اللغة

[5] طبائع الاستبداد ص 81

[6] انظر ص68 من هذا البحث والصفحات التى تليها

[7] فرعون والطغيان السياسي ص10

[8] الإسلام والاستبداد السياسي ص146

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

لهذا القرءان) إذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات والأشعار الفاسدة والكلمات الباطلة، حتى تخلطوا على القارئ، وتشوشوا عليه، وتغلبوا على قراءته، كانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضاً، والمراد افعلوا عند تلاوة القرآن ما يكون لغواً وباطلاً، لتخرجوا قراءة القرآن عن أن تصير مفهومة للناس، فبهذا الطريق تغلبون محمداً ﷺ "[1]

وقريب من هذا المعنى قوله جل وعلا على لسان نوح:

﴿ **وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا** ﴾{ نوح7}

وفي ظل أنظمة الطغيان تصادر حرية التدين، فلا دين إلا ما يَدِينُ به الطاغية، والويل كل الويل لمن يفكر مجرد تفكير في الخروج من دين الطاغية، فقد يعاقب بالحرق في النار حياً: ﴿ **قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ** ﴾{الأنبياء68}

" أي: اقتلوه أشنع القتلات، بالإحراق، غضبا لآلهتكم، ونصرة لها"[2]

وربما يعاقب بالرجم بالحجارة حتى الموت:

﴿ **إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا** ﴾ {الكهف20}

" أي يقتلوكم بالرجم، والرجم أخبث أنواع القتل، أَوْ يُعِيدُوكُمْ في مِلَّتِهِمْ، أي يردوكم إلى دينهم وَلَن تُفْلِحُواْ إِذًا أَبَدًا "[3]

وربما يعاقب بتقطيع الأيدي والأرجل من خلاف و الصلب:

﴿ **فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ۞ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى** ﴾{طه 70-71} " فقتلهم وقطعهم، كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا:(رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) وقال: كانوا في أوّل النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء"[4] .

وربما يكون الإبعاد عن الوطن – النفي – هو العقاب:

﴿ **قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ** ﴾ {الأعراف:88}

---

[1] مفاتيح الغيب ج27 ص103

[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج1 ص526

[3] مفاتيح الغيب ج21 ص88

[4] جامع البيان في تأويل القرآن ج18 ص340

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

" أي ليكونن أحد الأمرين: إما إخراجكم من القرية، أو عودكم في الكفر، وشعيب عليه - عليه السلام - لم يكن في ملتهم قط، لأن الأنبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا، لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم، وعلى ذلك أجرى الجواب في قوله (قال أو لو كنا كارهين) أي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها أو أتعيدوننا في حال كراهتنا "[1]

وربما يكون مصيره السجن:

﴿ **قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المَسْجُونِينَ** ﴾{الشعراء29}

" أي قال فرعون حينئذ استكبارا عن الحق، وتماديا في الغي لموسى - عليه السلام -:(لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي) يقول: لئن أقررت بمعبود سواي(لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) يقول: لأسجننك مع من في السجن من أهله "[2].

وإذا كان هذا هو الحال مع الدين – الذي هو أخص خصائص الإنسان – فما بالنا في بقية الحقوق والحريات؟

إن الإنسان في ظل أنظمة الطغيان يعيش في خوف دائم، خوف من كل شيء وعلى كل شيء و"عالم الخوف هذا الذي وضع قيوده وأسواره حول الفطرة، يعود إلى النظام الذي أقامه فرعون، فنظام فرعون هو أخطر النظم على الفطرة، لأنه محمل بالذهب وغني بالمصالح ومسلح بالبطش ويسهر عليه فقهاء فرق وشيع كل منهم يقدم هوى، وجميع الأهواء تصب في النهاية عند ابن آمون – يقصد فرعون - وفي عالم الخوف"[3]، وكذا أنظمة الطغيان في كل زمان ومكان .

البند السادس:

الإفســـــــــاد:

إن الهدف الأسمى والأبرز للطاغية هو أن يحتفظ بكرسي الحكـــم طـــوال حياتـــه، دون أن ينازعه أو يعترض على حكمه أحد، وهو لذلك يدرك تماماً أن هذا الأمر لا يمكن أن يتحقـــق إلا في بيئة فاسدة، فالطغيان كالفيروس لا ينمو ويتكاثر إلا في البيئات العفنة.

" والحكام الطغاة كالحشرات القذرة، لا تعيش أبداً في جو نظيف، ولا تنصب شباكها للـــصيد والنهب إلا حيث الغفلة السائدة والجهالة القاتمة "[4]

يقول الكواكبي - رحمه الله -: " لا يخفى على المستبد أن لا استعباد ولا اعتساف ما لم تكن

---

[1] تفسير البيضاوي ج1 ص349

[2] جامع البيان في تأويل القرآن ج19 ص345

[3] الانحرافات الكبرى ص227

[4] الإسلام والاستبداد السياسي ص82

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الرعية حمقاء تتخبط في ظلامة جهل وتيه عماء، فلو كان المستبد طيراً لكان خفاشاً[1] يصطاد هوام[2] العوام في ظلام الجهل ولو كان وحشاً لكان ابن آوى يتلقف دواجن الحواضر في غشاء الليل "[3]

" فالطاغية لا يرضى إلا أن يمحق روحانية الأمة كلها، فلا يترك شيئاً روحانياً له في أعصاب الناس أثر من الوقار "[4]

وكأن بين الطاغية وبين الرذيلة عهد وميثاق: أن يقوم هو بحمايتها مقابل أن تعرف له صنيعه فتحميه[5] .

لذلك يعمل الطغاة بجد واجتهاد على " تدمير روح المواطنين وزرع الشك وانعدام الثقة فيما بينهم، وجعلهم عاجزين عن قول شيء، أو فعل أي شيء! كذلك تعويد الناس الخسة[6]والضعة[7] والعيش بلا كرامة، بحيث يسهل عليهم أن يعتادوا الذل والهوان "[8]

" فالطغيان يشل إرادة الشعوب، فيستوي لديها الحق والباطل، ولا تنفعل لهما انفعال القبول أو الرفض، إنما تكتفي بالفُرْجَة فحسب، ومن هنا يَبيد دورها وينمحي.. ولا يعود لها في تاريخ الفترة السائدة وزن أو قيمة "[9] .

" والشعوب المهضومة لا تنظر إلا بإذن، ولا تسير إلا بأمر، وطواغيتها يكرهون أن يُفتح مصراع واحد من نوافذ المعرفة "[10]

---

[1] الخُفَّاشُ: طائر يطير في الظلام، لا يكاد يبصر بالنهار، انظر المصباح المنير ج1ص175

[2] الهَوَامُّ: جمع هَامَّةُ، وهي ما له سم يقتل كالحيّة وقد تطلق الهَوَامُّ على ما لا يقتل كالحشرات انظر المصباح المنير ج2ص641

[3] طبائع الاستبداد ص50

[4] وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي ج2 ص218 بتصرف

[5] انظر وحي القلم ج2 ص237

[6] خِسَّةً بالكَسْرِ وخَسَاسَةً بالفَتْحِ إذا كانَ في نَفْسِهِ خَسِيساً أَي دَنِيئاً حَقِيراً، تاج العروس من جواهر القاموس

[7] والضَّعَةُ والضِّعَةُ خِلاف الرِّفْعَةِ في القَدْرِ،وَالوضيعُ ضِدُّ الشريف والوضيعُ الدَّنِيءُ، انظر لسان العرب

[8] الطاغية ص120

[9] فرعون والطغيان السياسي : لأحمد بهجت ص12

[10] الإسلام والاستبداد السياسي ص83

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

" فالطاغية في نسبته إلى رعيته كالوصي الخائن القوي على أيتام أغنياء، يتصرف في أموالهم وأنفسهم كما يهوى ما داموا قاصرين، فكما أنه ليس من صالح الوصي أن يبلغ الأيتام رشدهم، كذلك ليس من غرض المستبد أن تتنور الرعية بالعلم "[1]

والباحث المدقق يكتشف أن للطغيان أثراً سيئاً في كل واد، فهو يضغط على العقل فيفسده، ويلعب بالدين فيفسده، ويحارب العلم فيفسده[2]، ولما كان الأمر كذلك، كان الحديث عن إفساد الطغاة يحتاج إلى رسالة كاملة، لذلك سأقصر الحديث على ثلاث من مجالات إفساد الطغاة وذلك خشية الإطالة والتكرار

المجال الأول التربية والتعليم:

" يدرك الطغاة أن كل ذل يصيب الإنسان من غيره، وينالله من ظاهره، قريب شفاؤه، ويسير إزالته، فإذا نبع الذل من النفس، وانبثق من القلب، فهو الداء الدوي، والموت الخفي.

ولذلك يعمد الطغاة المستعبدون إلى أن يُشْربوا الناس الذل، بالتعليم الذليل، والتأديب المهين، وتنشئة الناشئة، عليه بوسائل شتى، ليميتوا الهمة، ويخمدوا الحمية، وإذا بيدهم العصا والزمام"[3].

" إن محنة المسلمين اليوم لا تقتصر على تسلط أئمة الضلالة فحسب، بل تعدت ذلك إلى تربية سخرت المناهج الدراسية وكراسي الجامعات والصحف والإذاعات لمسخ الأفكار والقيم.... إن عُصَاة المسلمين اليوم ضحية تربية أخلدتهم إلى الأرض أرادت لهم الفسوق ابتداء، لتستخف بهم الطواغيت انتهاء، وإنها خطة قديمة، يأخذها الطاغوت اللاحق عن الطاغوت السابق، حتى تصل أصولها إلى فرعون، وذلك كما يقول الله سبحانه: ﴿ **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** ﴾ {الزُخرف:54}، فهذا هو التفسير الصحيح للتاريخ"[4]

"وما كان فرعون بقادر على أن يستخف قومه فيطيعوه لو لم يكونوا فاسقين عن دين الله، فالمؤمن لا يستخفه الطاغوت، ولا يمكن أن يطيع له أمراً"[5]

" وهكذا أدركوا المقتل الذي عرفه فرعون، فتواصوا بالإفساد "[6]، وأخذوا " يحولون المجتمعات إلى فتات غارق في وحل الجنس والفاحشة والفجور، ومشغول بلقمة العيش لا

---

[1] طبائع الاستبداد ص50 بتصرف

[2] انظر المرجع السابق ص56

[3] انظر المنطلق لمحمد أحمد الراشد ص55، 56

[4] المنطلق ص54

[5] في ظلال القرآن

[6] المنطلق ص54

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

يجدها إلا بالكد والعسر والجهد، كي لا يفيق بعد اللقمة والجنس، ليستمع إلى هدى، أو يفيء إلى دين "[1]، وصارت تلك سياستهم: " سياسة محاربة المساجد بالمراقص، ومحاربة الزوجات بالمومسات[2]، ومحاربة العقائد بأساتذة حرية الفكر، ومحاربة فنون القوة بفنون اللذة"[3]

يقول محمد الغزالي - رحمه الله - " وعندي أن فساد العلم والأدب لدى المسلمين أخيراً، يرجع إلى وطأة الحكم المستبد وزيادة تغوله، ورغبته في إقصاء كل ما يعوق ظلمه ويكفف غلواءه"[4]

المجال الثاني العلم والعلماء:

" والطاغية لا يخاف من العلوم كلها، بل من التي توسع العقول، وتعرف الإنسان ما هو الإنسان، وما هي حقوقه، وهل هو مغبون[5] ؟ وكيف الطلب؟ وكيف النوال؟ وكيف الحفظ؟ الطاغية عاشق للخيانة والعلماء عواذله[6]، المستبد سارق ومخادع والعلماء منبهون ومحذرون"[7]

" والطاغية كما يبغض العلم لنتائجه يبغضه لذاته؛ لأن للعلم سلطاناً أقوى من كل سلطان، فلابد للطاغية من أن يستحقر نفسه كلما وقعت عينه على من هو أرقى منه علماً، ولذلك لا يحب الطاغية أن يرى وجه عالم ذكي؛ فإذا اضطر لمثل الطبيب والمهندس يختار المتصاغر المتملق...هذه طبيعة في كل المتكبرين وعليها مبنى ثنائهم على كل من يكون مسكيناً خاملاً لا يرجى لخير أو شر "[8]

" وعقدة الضعة هذه عند الطغاة تجعل صاحبها لا يكتفي بتخطي من هم أكفأ منه، بل إنه يسعد بتحطيمهم، ويُسَر إذ يقدر على إقصائهم وإطفائهم "[9]

" والخلاصة أن الطغيان والعلم ضدان متغالبان، فكل إدارة طاغية تسعى جهدها في إطفاء نور العلم، وحصر الرعية في حالك الجهل، وكذلك بعض العلماء الذين ينبتون في مضايق

---

[1] في ظلال القرآن ج3 ص1403

[2] امرأةٌ مُومِسٌ ومُومِسَةٌ فاجرة زانية، لسان العرب ج6 ص258

[3] انظر وحي القلم ج2 ص238

[4] الإسلام والاستبداد السياسي ص186

[5] غبنه في البيع غبنا: غلبه ونقصه، والغبينة الخديعة انظر المعجم الوسيط ج2ص643

[6] العَذْل: اللوم انظر تهذيب اللغة ج2 ص318

[7] طبائع الاستبداد ص51 بتصرف

[8] المرجع السابق ص52 بتصرف

[9] الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية ص71

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

صخـــور الطغيـــان ويسعـــون جهدهـــم في تنوير أفكار الناس، والغالب أن رجال الطاغية يطاردون رجال العلم وينكلون بهم، فالسعيد منهم من يتمكن من مهاجرة دياره، وهذا سبب أن كل الأنبياء العظام - عليهم السلام - وأكثر العلماء الأعلام، والأدباء النبلاء، تقلبوا في البلاد، وماتوا غرباء"[1]

المجال الثالث الفوضى:

" ما الذي نعنيه بالفوضى؟ إنها أزمة استثنائية يمرّ بها المجتمـــع، تتميّـــز بـــانقلاب مـــوازين القوى، ليصبح من هم تحت فوق، ومن هم فوق تحت،مع اختفاء الحدّ الأدنـــى مـــن الأمـــن الفردي والجماعي، وبروز المخفي والمكبوت من العنف والهمجية القديمة.

وهناك ثلاث حالات رئيسة تبرز فيها الصلة الوثيقة بين الفوضى والطاغية:

- هو يغتنم وجودها أو يهدّد بظهور بوادرها لتقديم خدماته للقوى التي ترهبها .

- يصنعها ليبرّر انقضاضه على المجتمع حتى تتواصل الحاجة إلى القبضة الحديدية، علينـــا أن نتوقّـــع دومـــاً مـــن مخابـــرات كلّ نظام طاغية في وضع صعب، أن تبـــادر، هـــي لا غير، لوضع القنابل بغية إشاعة جوّ من الرعب أملا في التفاف الأغلبيـــة الـــصامتة حـــول المُمَرِّض الشافي.

- يخلق ظروفها الموضوعية، فلا شيء يساهم في تكوينها ولو ببطء شديد أكثر مـــن نظـــام مبني على ثلاثية الفساد والقمع والتضليل.[2]

وعـــلى ضوء ما سبق يمكن أن نفهم سر وصف القرآن الكريم – وفي كثير مـــن الآيـــات - للطغاة على مر الأزمنة والعصور بالمفسدين، ومن هذه الآيات:

-﴿ **أَلَـــمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَـــادِ ۞ وَثَمُـــودَ الَّذِيـــنَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۞ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۞ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ** ﴾{الفجر6-12}

فالفساد نتيجة طبيعية ومباشرة للطغيان، مهما كانت مبررات الطغيان، ومهما كانت اللافتـــات التي يتخفى وراءها، لأن الطغيان تشويه للتركيبة النفسية للطاغية، وتشويه أيـــضاً للتركيبـــة النفسية للشعوب التي تعاني من الطغيان، وبالتالي يحدث تشويه للبيئة التي يعيشون فيها وكأن الطغيان أحد أهم عوامل التلوث الأخلاقي والبيئي في الحياة.

يقول سيد قطب رحمه الله معلقاً على الآيات السابقة:

---

[1] طبائع الاستبداد ص54

[2] من مقال جذور الاستبداد انظر http://www.achr.nu/ktm4.htm:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

" هــؤلاء هــم (الذيــن طغــوا فــي البلاد فأكثروا فيها الفساد) وليــس وراء الطغيان إلا الفساد، فالطغيان يفسد الطاغية، ويفسد الذين يقع عليهم الطغيان سواء، كما يفــسد العلاقــات والارتباطــات في كل جوانب الحياة، ويحول الحياة عن خطها السليم النظيف، المعمر الباني، إلى خط آخر لا تستقيم معه خلافة الإنسان في الأرض بحال، إنه يجعل الطاغية أسير هــواه، لأنه لا يفيء إلى ميزان ثابت، ولا يقف عند حد ظاهر، فيفسد هو أول من يفسد؛ ويتخــذ لــه مكاناً في الأرض غير مكان العبد المستخلف؛ وكذلك قال فرعون: (أنا ربكم الأعلى) عندما أفســده طغيانه، فتجاوز به مكــان العبد المخلوق، وتطاول به إلى هذا الادعاء المقبوح، وهو فساد أي فساد .

ثم هو يجعل الجماهير أرقاء أذلاء، مع السخط الدفين والحقــد الكظيم، فتتعطل فيــهم مشاعر الكرامة الإنسانية، وملكات الابتكار المتحررة التي لا تنمو في غير جو الحرية، والنفس التــي تُستَذل تأسن وتتعفن، وتصبح مرتعاً لديدان الشهوات الهابطة والغرائــز المريــضة، وميــداناً للانحرافات مع انطماس البصيرة والإدراك، وفقدان الأريحية والهمة والتطلع والارتفاع، وهو فساد أي فساد .

ثم هو يحطم الموازين والقيم والتصورات المستقيمة، لأنها خطر على الطغاة والطغيان، فلابد من تزييف للقيم، وتزوير في الموازين، وتحريف للتصورات كي تقبل صورة البغي البــشعة، وتراها مقبولة مستساغة، وهو فساد أي فساد "[1] .

" وقد بين لنا الله - ﷻ - في كتابه: أن جبروت الفرد الحاكم إذا انساح فلــم توقفــه حــدود الشريعة ولم تحتسبه ضوابط القانون فسدت الأحوال؛ واختفــى الرجــال، وهانــت الحقــوق وضاعت الكرامات ﴿.. **إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** ﴾{النمل34 } "[2]

- ومنها وصفه لفرعون وفي أكثر من آية بأنه من المفسدين، نختار منها قوله تعــالى: ﴿ **إِنَّ فِرْعَــوْنَ عَلَا فِــي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾{القصص:4}

يقول سعيد أيوب: " لقد حمل فرعون على أكتافه جميع الانحرافات والشذوذ، بعــد أن طورهــا لتلائم المسيرة البشرية "[3]

---

[1] في ظلال القرآن ج6ص3904

[2] الإسلام والاستبداد السياسي ص63

[3] الانحرافات الكبرى ص189

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

ولقد وصفه القرآن وفي أكثر من آية بأنه: ﴿...**كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾{القصص4} ﴿...**وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾{يونس91} وأنه ﴿...**كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ** ﴾{الدخان31}وأنه﴿...**طَغَى** ﴾{طه24} وأنه أضل قومه وما هدى ﴿ **وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى** ﴾{طه79}، وأنه ذو الأوتاد الذي كان يتفنن في قتل ضحاياه ﴿...**وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ** ﴾{ص38}، وفرعون هذا الذي استكبر في الأرض، كان هو المصدر الوحيد للتشريع، فلقد أعلن على قومه إعلانه الهام : ﴿...**أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**﴾{النازعات24} ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي**...﴾{القصص38}، ووفقا لهذا الإعلان ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾{غافر29}[1]

" هذه طبيعة كل طاغية، يرى في نفسه رذائله عريانة، فلا يكون كلامه وعمله إلا فحشاً يتعرى "[2]

فهو لذلك " يحاول هدم الإسلام، لأنه دين العفة، ودين صون المرأة، يُلزمها حجاب عِفتها وإبائها، ويمنعها من الابتذال والخلاعة، ويعينها على التخلص ممن يشتهيها، ولو كان الحاكم... إنه يمقت هذا الدين القوي كما يمقت اللص القانون؛ فهو دين يَثْقل على غريزته الفاسقة، ولكل غريزة في الإنسان شعور لا مهنأ لها إلا أن يكون حراً حتى في التوهم، وهل يُعجب السكير شيء أو يرضيه أو يَلَذه، كما يعجبه أن يرى الناس كلَّهم سكارى؛ فينتشي هو بالخمر، وتسكر غريزته برؤية السكر؟ "[3] .

- ومنها: ﴿ **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾{يونس90-91}

- ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾{الأعراف103}

- ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾{النمل14}

" وخلاصة القول: أن الاستبداد داء أشد وطأة من الوباء، أكثر هولاً من الحريق، أعظم تخريباً من السيل، أذل للنفوس من السؤال، داء إذا نزل بقوم سَمِعَتْ أرواحهم هاتف السماء ينادي القضاء القضاء، والأرض تناجي ربها كشف البلاء.

---

[1] انظر الانحرافات الكبرى ص195

[2] انظر وحي القلم ج2 ص215

[3] المرجع السابق ج2 ص215

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

كيف لا تقشعر الجلود من الاستبداد، وعهده عهد أشقى الناس فيه العقلاء والأغنياء، وأسعدهم بمحياه الجهلاء والفقراء، بل أسعدهم أولئك الذين يتعجلهم الموت فيحسدهم الأحياء "[1]

وقبل أن نختتم هذا المبحث يجدر بنا أن ننوه إلى أمر في غاية الخطورة، ينخدع به كثير من العوام، ألا وهو صوالح الأعمال التي يقوم بها الطاغية، " إذ يحب هؤلاء السادة أن يمهدوا لزعاماتهم ورياساتهم بأعمال تزرع في القلوب هيبتهم، وتجعل لجاههم في الأرض دعائم مكينة، فيفعلون الخير لا لوجه الله ولا لحب الخير، بل ليلفوا بهم الجماهير المعجبة، ويلفتوا نحوهم الأعناق المشرئبة"[2] " فقد يقرؤون القرآن، لا قربى إلى الله ولكن لينتفعوا به في تدعيم أثرتهم، وقد يتصدقون لا عطفاً على محروم، ولكن ليراهم الناس وأيديهم هي العليا، فلو خلو برجل يموت جوعاً ما أطعموه.

وقد يقاتلون عن وطنهم أو عن مبدئهم، لا ليفتدوا الوطن أو المبدأ، فإن ما تركز في طباعهم أن الأوطان والمبادئ فدىً لهم أنفسهم "[3]

" وأولئك الملوك المجرمون لا يهمهم من الدين إلا القدر الذي ينكسون به رؤوس الرعايا ويجعل طاعتهم من طاعة الله، فإذا اطمأنوا إلى ذلك سلكوا طرق الغواية، واستغلوا السلطة المخولة لهم في تدعيم دين جديد من الوثنية السياسية الطائشة، لا يحترم كتاباً ولا سُنَّة "[4]

" وتلك الوثنية السياسية حين تقترف بعض الفضائل لا تنظر إلى ما فيها من خير، فإن معنى الشر والخير غامض لديها، وحسن الأمر أو قبحه بمدى ما يعود عليها "[5] وقديماً قال إمام الطغاة ﴿ .... **ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ** ﴾{غافر26}

البند السابع:

تفتيت المجتمع إلى قوى متصارعة:

من منطق الطغاة تمزيق النسيج الاجتماعي بضرب قيمه الاجتماعية، وتقسيم المجتمع إلى شرق وغرب، وموالين ومعادين، وأغنياء وفقراء، ومتعلمين وجهلاء، ومن ثم تقسيم خصومه ومعارضيه إلى قوى متناحرة ومتنافرة، وتحويل أفكارهم إلى أفكار غثائية، وآلياتهم إلى آليات بالية، والطغاة بهذا المنطق يبثون الفوضى ويثيرون دوافع الاحتراب بين طبقات

---

[1] طبائع الاستبداد ص83

[2] الإسلام والاستبداد السياسي ص34

[3] المرجع السابق ص36

[4] المرجع نفسه ص122

[5] المرجع نفسه ص36

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المجتمع الممزق ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾{القصص:4}

يقول المفسرون: " العلو في الأرض كناية عن التجبر والاستكبار، ومحصل المعنى: أن فرعون علا في الأرض، وتفوق فيها ببسط السلطة على الناس، وإنفاذ القدرة فيهم، وجعل أهلها شيعاً وفرقاً مختلفة لا تجتمع كلمتهم على شيء وبذلك ضَعُفَ عامة قوتهم على المقاومة دون قوته، والامتناع من نفوذ إرادته، وهو يستضعف طائفة منهم وهم بنو إسرائيل، وهم أولاد يعقوب - عليه السلام -، وقد قطنوا بمصر منذ أحضر يوسف - عليه السلام - أباه وإخوته فسكنوها وتناسلوا بها، فالذي رفع لافتة الحق الإلهي فرق الناس حتى لا يجتمعون على كلمة....وقومه الذين اختلفوا فيما بينهم بعد أن فرقهم فرعون شيعاً وفرقاً مختلفة لم يجتمعوا على شيء إلا على فرعون "[1]

قال المراغي: " أي وفرقهم فرقاً مختلفة، وأحزاباً متعددة، وأغرى بينهم العداوة والبغضاء، كيلا يتفقوا على أمر، ولا يُجْمِعُوا على رأي، ويشتغل بعضهم بالكيد لبعض، وبذا يلين له قيادهم، ولا يصعب عليه خضوعهم واستسلامهم، وتلك هي سياسة الدول الكبرى في العصر الحاضر، وذلك هو دستورها في حكمها لمستعمراتها، وقد نقش حكامها في صدورهم ذلك الدستور الذي ساروا عليه فَرِّق تَسُدْ، وطالما أجدى عليه في سياسة تلك البلاد، التي يعمها الجهل ويطغى على أهلها حب الظهور، ويرضون بالنفاية والقشور"[2].

وقال الجزائري: " وقوله (وَجَعَلَ أَهْلَهَا) أي أهل تلك البلاد المصرية (شِيَعاً) أي طوائف، فَرَّق بينها إبقاءً على ملكه على قاعدة فرق تَسُدْ المذهب السياسي القائم الآن في بلاد الكفر والظلم "[3] .

ويترتب على هذا المنطق- منطق تمزيق النسيج الاجتماعي قيما وفكرا- إلى تشبع نفسية الطاغية بالفرعونية، والشعور بالسيطرة التامة، والملكية الكاملة للوطن والمواطنين، ومن ثم فهو صاحب الحق المطلق في التصرف فيما يملك بدون مساءلة ولا مراجعة ﴿ **وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ {الزُّخرف51} .

---

[1] الانحرافات الكبرى ص194، 195

[2] تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي ج7، ص32-33، وانظر التحرير والتنوير ج20 ص67

[3] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج4 ص52

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

" وهكذا نرى أن الطريق التي سلكها الحكام الفجرة قديماً وحديثاً متشابهة،لأن طبيعة الغشم التي يصدرون عنها واحدة، وإن اختلفت الأعصار والأديان، إنهم يقسمون الأمة أحزاباً ثم يضربون حزباً بحزب، ويفرقونها شيعاً ثم يسلطون شيعة على أخرى"[1]

" والأمة التي تقع في هذه المآسي لا تظفر بعهود طويلة من الحرية والأمان، بل سرعان ما تقع فريسة غيرها، لأن مناعتها الخاصة ذابت في أتون المظالم التي جاءتها من داخلها، أي من نفسها "[2].

" فانقسام الأمة شيعاً على هذا النحو يساوي في خطورته الصواعق التي تنقض من السماء أو الزلازل التي تندك بها الأرض، فهو مصدر لتقويض العمران، وضياع العزة، وهوان الشأن، وقد قرن الله هذه الأخطار جميعاً في سياق واحد، عند تأديب الناس وتهديدهم لو شردوا : ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ**﴾{الأنعام65}

" ويبدو أن الهرج الذي عانته بلاد الإسلام جاء من الناحية الأخيرة، فلم يُخسف بالأمة من فوق أومن تحت، وإنما حاق بها الضر من تفرق الكلمة، وعلة هذه الفرقة القاتلة من فساد الحكم على أيدي المستبدين الذين انفردوا به ليلاً طويلا "[3]

" إن تقطع الأواصر في مجتمعاتنا يعود إلى ما يسكن قلوب الحاكمين من تألّه وغطرسة، وإلى حسبان الوظيفة مظهر وجاهة لا وسيلة خدمة عامة "[4]

البند الثامن:

الاعتماد على القوة الغاشمة في قمع المعارضين:

ومن ملامح أنظمة الطغاة البارزة الإسراف في البطش، واستخدام قوة غير متكافئة في قمع المعارضين " فهم عتاة غلاظ، يتجبرون حين يبطشون؛ ولا يتحرجون من القسوة في البطش"[5].

يقول الله - ﷻ - في وصف قوم عاد – وعاد من الأمم التي طغت في الأرض -: ﴿ **وإذا بطشتم بطشتم جبارين** ﴾{الشعراء 130} " والبطش: الضرب عند الغضب بسوط أو سيف، وجبارين حال من ضمير بطشتم وهو جمع جبّار، والجبار: الشديد في غير الحق، فالمعنى:

---

[1] الإسلام والاستبداد السياسي ص197

[2] المرجع السابق ص197

[3] المرجع نفسه ص197 ، 198

[4] المرجع نفسه ص203

[5] في ظلال القرآن ج5ص2610

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

إذا بطشتم كان بطشكم في حالة التجبر،أي الإفراط في الأذى وهو ظلم "[1]، " وكان ذلك بعنف وشدة بلا رفق ولا رحمة "[2]

والمتتبع لسير أعلام الطغاة الذين ذكرهم القرآن يلاحظ هذا الاستخدام المفرط للقوة في قمع المعارضين، ابتداءً من الطاغية الأول النمرود وأعوانه الذين قالوا في حق إبراهيم - عليه السلام - ﴿ **حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آَلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ** ﴾{الأنبياء68} عندما عجزوا عن مواجهته - عليه السلام - بالحجة والبرهان، وثبت لهم صدقه بما لا يدع مجالاً للشك، يقول المولى - عز وجل - مخبراً عنهم:

﴿ **قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۞ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ۞ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ۞ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ۞ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۞ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آَلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ** ﴾{الأنبياء59-68}

ومروراً بفرعون إمام الطغاة ومرشدهم، الذي قتل الأطفال من أجل هاجس انتابه ﴿ **وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ** ﴾{البقرة49} .

والذي أمر بتقطيع أيدي السحرة وأرجلهم من خلاف، وتصليبهم على جذوع النخل، لا لذنب إلا أنهم آمنوا بالله بعدما تبين لهم الحق ﴿ **قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى** ﴾{طه71}

والذي خرج على رأس جيش جرار يطارد ثلة مؤمنة ﴿ **فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۞ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۞ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ۞ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ** ﴾ {الشعراء53-56} .

قال القرطبي رحمه الله: " وإنما اللازم من الآية الذي يقطع به أن موسى عليه السلام خرج بجمع عظيم من بني إسرائيل وأن فرعون تبعه بأضعاف ذلك . قال ابن عباس: كان

---

[1] التحرير والتنوير ج 19ص168

[2] انظر أيسر التفاسير ج3 ص667

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

مع فرعون ألف جبار كلهم عليه تاج وكلهم أمير خيل، والشرذمة الجمع القليل المحتقر والجمع الشراذم "[1]

وانتهاءً بأصحاب الأخدود الذين أحرقوا الناس أحياء بسبب إيمانهم بالله - ﷻ - ﴿ **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۞ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۞ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۞ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۞ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۞ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۞ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۞ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۞ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ** ﴾{البروج1-10}

ومن المضحك المبكي قول الإمام القرطبي معلقا على قوله - تعالى -: ﴿ **وإذا بطشتم بطشتم جبارين** ﴾{الشعراء130}

" وهذه الأوصاف المذمومة قد صارت في كثير من هذه الأمة، لا سيما بالديار المصرية منذ وليتها البحرية[2]؛ فيبطشون بالناس بالسوط والعصا في غير حق، وقد أخبر - ﷺ - أن ذلك يكون، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ -: (**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**[3])[4] .

فكيف لو رأى رحمه الله ما يحدث في زماننا من ألوان التعذيب في سجون الطغاة؛ - والتي يعد فيها الضرب بالسوط والعصا مزحة خفيفة - فما تُراه كان سيقول؟

المطلب الثاني:

صفات الطغاة وفيه أحد عشر بنداً:

لكل صنف من البشر صفات تميزهم عن غيرهم، وهذه الصفات لها دور بارز في تحديد نوع السلوك الذي يصدر عنهم، ولما كان الطغاة صنفاً من أصناف الناس كان لهم من الصفات

---

[1] الجامع لأحكام القرآن ج13 ص100

[2] المماليك البحرية: أغلبهم من الترك والمغول، جلبهم الأيوبيون وأسكنوهم بجزيرة الروضة بالنيل، ولذلك سموا (البحرية)، حكموا من سنة 649هـ - 784هـ، تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك لنجم الدين إبراهيم بن علي الحنفي الطَّرَسوسي ج1ص78

[3] صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات ح2128

[4] الجامع لأحكام القرآن ج13 ص124

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

- التي تساهم وبشكلٍ فاعل في نمو بذرة الطغيان – الكثير، ويهدف الباحث من خلال هذا المطلب إلى إبراز تلك الصفات .

البند الأول:

العلو في الأرض والإسراف:

" يقال عَلا فلانٌ في الأرض إذا اسْتَكْبَرَ وطَغَى، وقوله تعالى ولَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كبيراً معناه: لَتَبْغُنّ ولَتَتَعَظَّمُنّ، ويقال لكل مُتَجَبِّر: قد عَلا وتَعَظَّمَ "[1] .

"والعُلُوُّ لله سبحانَه وتَعالَى عن كلِّ شَيْء فهو أعلى وأعظم مما يُثْنَى عليهِ لا إله إلا الله وحده لا شريك له"2 .

وهو في حق الله صفة مدح، لذلك كان من أَسْمائِهِ تَعالى: العَلِيُّ، جاء في الذكر الحكيم: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** ﴾ {الحج62} .

وفي موضع آخر: ﴿ **لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾{الشورى4}

ومِن أَسْمائِهِ تَعالى: المُتَعالِي،﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ** ﴾{ الرعد9}،

ومنها الأَعْلَى،﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى** ﴾{الأعلى1} .

فالعَلِيُّ الذي ليسَ فَوْقه شيءٌ، وعَلا الخَلْقَ فقَهَرَهُم بقُدْرتِه، والمُتعالِي الذي جلَّ عن إفْكِ المُفْتَرِيْن، ويكونُ بمعْنَى العالِي، والأَعْلَى: الذي هو أَعْلى من كلِّ عالٍ "3.

أما في حق طغاة البشر فإنها لم ترد في القرآن إلا على سبيل الذم[4]، فقد أخبر الله - ﷻ - عن عمدة الطغاة وإمامهم بأنه علا في الأرض: ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا**

---

[1] لسان العرب ج15 ص83

[2] العين ج 2 ص245

[3] انظر تاج العروس من جواهر القاموس ج39 ص96

[4] العلو عُلُوَّان، مذموم وممدوح، فأما المذموم فهو أن يستشعر الإنسان نفسه عالياً على موضع غيره، ليس يساويه أحد، فالعلو مستعار لمعنى التفوّق على غيره، غير محقوق لحق من دين أو شريعة، أو رعاية حقوق المخلوقات معه، فإذا استشعر ذلك لم يعبأ في تصرفاته برعاية صلاح وتجنب فساد وضر، وإنما يتبع ما تحدوه إليه شهوته وإرضاء هواه، وحسبك أن فرعون كان يجعل نفسه إلهاً وأنه ابن الشمس .

أما الممدوح : فرجحان أحد في أمر من الأمور لأنه جدير بالرجحان فيه، جرياً على سبب رجحان عقلي كرجحان العالم على الجاهل، والصالح على الطالح، والذكي على الغبي، أو سبب رجحان عادي ويشمل القانوني وهو كل رجحان لا يستقيم نظام الجماعات إلا بمراعاته، كرجحان أمير الجيش على جنوده، ورجحان القاضي على المتخاصمين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾{القصص4}

(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ)، " تكبر في الأرض وبغى وتجاوز وضعه الحقيقي ومقامه الأصلي، مقام العبودية لله، ولبس ثوب التأله والتحرر المطلق وصار عالياً مسيطراً لا خاضعاً مذعناً، وتجبر وتكبر وظلم "[1]

فالعلو في الأرض هنا كناية عن "التكبر والتجبر والطغيان"[2] .

وفي موضع آخر ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾{النمل14}

قال الطبري رحمه الله: " وقوله:(ظُلْمًا وَعُلُوًّا) يعني بالظلم: الاعتداء، والعلو: الكبر، كأنه قيل: اعتداء وتكبرا "3 .

وبسبب هذا العلو أحجم كثير من الخلق عن الإيمان بموسى - عليه السلام - يقول المولى - عز وجل -: ﴿ **فَمَا آَمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ** ﴾{يونس83} .

" فما ءامن لموسى في أول أمره (إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ) إلا طائفة من ذراري بني إسرائيل، كأنه قيل إلا أولاد من أولاد قومه، وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون، وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف "[4] .

يقول الطبري رحمه الله: " كان إيمان من آمن من ذرية قوم موسى على خوف من فرعون (أن يفتنهم) بالعذاب، فيصدّهم عن دينهم، ويحملهم على الرجوع عن إيمانهم والكفر بالله "[5].

وأعدل الرجحان ما كان من قبل الدين والشريعة، كرجحان المؤمن على الكافر، والتقي على الفاسق، قال تعالى ﴿ **لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾{الحديد10} ويترجح في كل عمل أهل الخبرة به والإجادة فيه، وفيما وراء ذلك فالأصل المساواة :التحرير والتنوير ج20ص66-67 بتصرف .

[1] فرعون في القرآن الكريم ص129

[2] تفسير القرآن العظيم ج6 ص220، وانظر معالم التنزيل ج6 ص185، تفسير الخازن ج5 ص161

[3] جامع البيان في تأويل القرآن ج19 ص436

[4] الكشاف ج3 ص165، وانظر التحرير والتنوير ج11 ص260

[5] جامع البيان في تأويل القرآن ج15 ص167

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

(إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ) " فالعلو هنا القهر والغلبة فهو التعبير القرآني المرادف لكلمة (الدكتاتور) المعاصرة، والمقصود بالأرض مصر، ومراد الآية أن فرعون دكتاتور في مصر، فالعلو هو العلو فوق كل شيء "[1] .

" لذلك جعل الله الدار الآخرة للمتواضعين، أهل الذل والانكسار، وحرمها أولئك الذين يريدون رفعة وتكبراً على الإيمان والمؤمنين وعملاً بالسيئات والمعاصي "[2]

يقول الله - جل وعلا -: ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾{القصص83}

والخلاصة " أن الله - ﷻ - هو المتفرد بالعلو، المتفرد بالعظمة، وما يتطاول أحد من العبيد إلى هذا المقام إلا ويرده الله إلى الخفض والهون؛ وإلى العذاب في الآخرة والهوان، وفي نهاية فرعون درس وعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فالإنسان يعلو ما يعلو، ويعظم الإنسان ما يعظم، فلا يتجاوز مقام العبودية لله العلي العظيم، وعندما تستقر هذه الحقيقة في نفس الإنسان، فإنها تثوب[3] به إلى مقام العبودية وتطامن[4] من كبريائه وطغيانه؛ وترده إلى مخافة الله ومهابته؛ وإلى الشعور بجلاله وعظمته؛ وإلى الأدب في حقه والتحرج من الاستكبار على عباده، فهي اعتقاد وتصور، وهي كذلك عمل وسلوك"[5].

أما الإسراف فمن السرَفُ و" السرف في اللغة: ضدُّ القصدِ، والسرَفُ: الإغفال والخطأُ، وقد سَرِفْتُ الشيء بالكسر، إذا أغفلتَه وجَهِلْتَهُ "[6].

ولم يرد في القرآن الكريم إلا على سبيل الذم، فقد نهانا المولى - ﷻ - عن الإسراف وأخبرنا أنه لا يحب المسرفين ﴿ ....**وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾{الأنعام141}{الأعراف31} .

وأمرنا - ﷻ- بعصيان أمر المسرفين: ﴿ **وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ** ﴾{الشعراء151}، لأنه سبحانه وتعالى أغلق في وجوههم أبواب الهداية :﴿ ....**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ** ﴾{غافر28}، وفتح عليهم أبواب الضلال: ﴿ .... **كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ** ﴾{غافر34}، ومن كان هذا حاله فمصيره الهلاك في الدنيا ﴿ ....**ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ**

---

[1] فرعون في القرآن الكريم ص46

[2] انظر البحر المديد ج5 ص445، الجامع لأحكام القرآن ج13 ص320

[3] ثابَ يَثُوبُ إذا رَجع:لسان العرب ج1ص248

[4] (طَامَنَ) ومعناه حناه و خفضه: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ج2 ص378

[5] في ظلال القرآن ج1 ص290 بتصرف يسير

[6] الصحاح في اللغة ج4 ص1373

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾{الأنبياء9}، والنار في الآخرة ﴿ .... **وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ** ﴾{غافر43}

والإسراف صفة ملازمة للطغاة، ومسلكهم في الحياة دليل شاهد على ذلك، وقد جمع المولى - ﷻ - بين صفتي العلو والإسراف للطغاة في آيتين وذلك في قوله - تعالى -: ﴿ **وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ** ﴾{يونس83}، وقوله - جل في علاه - ﴿ **مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ** ﴾{الدخان31} .

يقول الطبري رحمه الله: (وإنه لمن المسرفين)، " وإنه لمن المتجاوزين الحقّ إلى الباطل، وذلك كفره بالله وتركه الإيمان به، وجحودُه وحدانية الله، وادّعاؤه لنفسه الألوهية، وسفكه الدماء بغير حِلِّها "[1].

ويقول الألوسي رحمه الله: (وإنه لمن المسرفين) " أي المتجاوزي الحد في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء أو في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الأنبياء عليهم السلام "[2]، " ومَن هذه حالته لا يزَعه[3] عن إلحاق الضر بأضداده وازع "[4]

" فكان فرعون عليه لعائن الله سرِفًا في أمره، سخيف الرأي على نفسه "[5].

البند الثاني:

الكِبْـــــــرُ:

الحديث عن الكبر وثيق الصلة بالحديث عن العلو، فقد لاحظنا أن كثيراً من المفسرين ذكر الكبر على أنه أحد معاني العلو[6]، لذلك ثنَّى به الباحث بعد حديثه عن العلو .

فالكَبير في صفة الله تعالى العظيم الجليل، والمُتَكَبِّر الذي تَكَبَّر عن ظلم عباده، والكِبْرِياء عَظَمَة الله، جاءتْ على فِعْلِياء، قال ابن الأثير من أَسماء الله تعالى: المتكبر ﴿ .... **الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ** ...﴾{الحشر23}، والكبير﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ** ﴾{الرعد9} أي العظيم ذو الكبرياء، وقيل المتعالي عن صفات الخلق، وقيل المتكبر على عُتاةِ خَلْقه، والتاء فيه للتفرّد والتَّخَصُّصِ لا تاء التَّعاطِي والتَّكَلُّف، والكِبْرِياء العَظَمة والملك، وقيل هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود، ولا يوصف بها

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن ج15 ص167

[2] تفسير الألوسي ج11 ص169

[3] وزَعْته عن الأمر: كفَفْته: معجم مقاييس اللغةج6 ص106

[4] التحرير والتنويرج11 ص260

[5] تفسير القرآن العظيم ج7 ص255

[6] انظر المبحث السابق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

إلا الله - تعالى -، وقد تكرر ذكرهما في الحديث (**قال الله - ﷻ -: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار**)[1]، وهما من الكِبْرِ بالكسر وهو العظمة، ويقال كَبُرَ بالضم يَكْبُرُ أي عَظُمَ فهو كبير[2].

إلا أن القرآن الكريم يخبرنا أن طغاة البشر تطاولوا على هذا المقام، ونازعوا الله - ﷻ - هذه الصفة، يقول المولى - ﷻ - مخبراً عن طغاة عاد ﴿ **فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ** ﴾{فصلت15} .

وعن طغاة ثمود ﴿ **قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ** ﴾{الأعراف75}

وعن طغاة قوم شعيب ﴿ **قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ** ﴾{الأعراف88}

وعن فرعون وملئه ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ** ﴾{يونس75} .

﴿ **ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ** ﴾{المؤمنون45-46} .

﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۞ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ** ﴾{القصص38-39} .

﴿ **وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ** ﴾{العنكبوت39} .

ومما سبق يتبين لنا أن الكبر صفة ملازمة للطغيان، وأن الطغاة على مر الأزمنة والعصور كانوا من المتكبرين .

و لما كان الكبر في حق البشر يعني بطر الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ[3]، كان الجزاء من جنس العمل

---

[1] سنن ابن ماجة: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بإبن ماجة- حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه الألباني، كتاب الزهد باب البراءة من الكبر والتواضع ح4174 قال الألباني حديث صحيح

[2] انظر لسان العرب ج5 ص125بتصرف

[3] - جاء في الحديث (الْكِبْرُ بَطَرُ الحق وغمط الناس) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ح91، وبطر الحق: أن يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا، هذا عند من جعل أصل البطر من الباطل، ومن جعله من الحيرة، فمعناه: أن يتحير عند الحق فلا يقبله حقا، وقيل: البطر: التكبر=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

فبسبب بطر الحق، صرف الله - ﷻ - قلوب المتكبرين عن الهداية[1] ﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ** ﴾{الأعراف146} .

وأغلق الله - ﷻ - في وجوههم أبواب السماء ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ** ﴾{الأعراف40}

وحرَّم عليهم دخول الجنة، قال - ﷺ-: (**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**)[2]

واستحقوا عذاب الهون يوم القيامة ﴿ **الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ** ﴾{الأنعام 93} .

وبسبب احتقارهم للناس يحشرون يوم القيامة أمثال الذر[3] قال - ﷺ-: (**يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ**[4])[5] .

والخلاصة " أن كل من تعاظم وتكبر، ودعا الناس إلى تعظيمه وإطرائه والخضوع له، وتعليق القلب به محبة وخوفا ورجاء، فقد نازع الله في ربوبيته وألوهيته، وهو جدير بأن يهينه الله غاية الهوان، ويذله غاية الذل، ويجعله تحت أقدام خلقه.

وإذا كان المصوِّر الذي يصنع الصورة بيده من أشد الناس عذابا يوم القيامة، لتشبهه بالخالق - جل وعلا - في مجرَّد الصنعة، فما الظن بالتشبه به في خصائص الربوبية والألوهية، وقل مثل ذلك فيمن تشبه به في الاسم الذي لا ينبغي إلا له وحده، كمن تسمى بـ" ملك

= أي: يطغى ويتكبر عند سماع الحق فلا يقبله، وغمط، غمطت حق فلان: إذا احتقرته ولم تره شيئا، جامع الأصول في أحاديث الرسول ج10 ص614

[1] انظر تفسير الخازن ج2 ص289

[2] صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ح91

[3] الذّرُّ: صِغَارُ النَّمْلِ: تاج العروس من جواهر القاموس ج11 ص366

[4] الخَبالُ: صَدِيدُ أهلِ النّارِ وقال ابنُ الأعرابي: عُصارَةُ أهلِ النارِ، تاج العروس ج28 ص388

[5] سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، ح 2492، قال الترمذي حديث حسن صحيح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الملوك " و" حاكم الحكام " ونحو ذلك، وقد ثبت في الصحيح عنه - ﷺ - أنه قال: (**أَخْنَعُ**[1] **الْأَسْمَاءِ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ**)[2]، فهذا مَقْتُ اللهِ وغَضَبُهُ على من تشبه به في الاسم الذي لا ينبغي إلا له سبحانه فكيف بمن نازعه صفات ربوبيته وألوهيته .

فالمتكبر يرى نفسه بعين الاستعظام فيدعوه ذلك إلى احتقار الآخرين وازدرائهم والتعالي عليهم، وشر أنواعه ما منع من الاستفادة من العلم وقبول الحق والانقياد له، فقد تتيسر معرفة الحق للمتكبر ولكنه لا تطاوعه نفسه على الانقياد له كما قال سبحانه عن فرعون وقومه: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**... ﴾{النمل14}"[3] .

" وللكبر إذا حكم تقاليد تحتضنه، كما أن للعهر إذا شاع أسراً ترتزق بـه! وكبرياء الحكام ترمز إلى ضرب من الوثنية السياسية، له طقوس ومراسيم يتقنها الأشياع، ويتلقفها الرعاع على أنها بعض من نظام الحياة الخالد مع السموات والأرض "[4]

فالكبر خلق ذميم، ما اتصف به مخلوق إلا كانت نهايته الهلاك، فهو كالأرض الخبيثة لا يخرج نباتها إلا نكداً.

البند الثالث:

الغفلة عن آيات الله والتكذيب بها:

فليس غريباً على من سد الله عليه أبواب الهداية بسبب إسرافه وكبره أن يغفل عن آيات الله ويكذب بها،قال تعالى: ﴿ **وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ۞ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ** ﴾{الأعراف134-136} .

يقول الإمام الطبري في تفسير(بأنهم كذبوا بأياتنا)، ": فعلنا ذلك بهم بتكذيبهم بحججنا وأعلامنا التي أريناهموها "[5] .

" (وكانوا عنها) يعني عن آياتنا (غافلين) يعني معرضين وقيل: كانوا على حلول النقمة بهم غافلين، ولما كان الإعراض عن الآيات وعدم الالتفات إليها كالغفلة عنها

---

[1] أَيْ أَذَلّهَا وأَقْهَرها وأَدْخَلَهَا فِي الخُنُوعِ والضَّعَةِ . ويُرْوَى: أَنْخَع، بِتَقْدِيمِ النُّونِ، أَيْ أَقْتَلها لِصَاحِبِهِ وأَهْلَكها له، ويُرْوَى: أَبْخَع، تاج العروس من جواهر القاموس ج20 ص532

[2] صحيح البخاري، كتاب الأدب بَابُ أَبْغَضِ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ ح6205

[3] http://www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=40088

[4] الإسلام والاستبداد السياسي ص28

[5] جامع البيان في تأويل القرآن ج13 ص74

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

سموا غافلين تجوزاً لأن الغفلة ليست من فعل الإنسان "[1]

فالملاحظ في الآية السابقة أن المولى - ﷻ - يربط بين التكذيب بالآيات والغفلة عنها، وبين هذا المصير المقدور، ويقرر أن الأحداث لا تجري مصادفة، ولا تمضي فلتات عابرة، كما يظن الغافلون![2] .

والناظر في كتاب الله يجد الآيات تزخر بالحديث عن تكذيب الطغاة بآيات الله، ومن هذه الآيات:

قال الله - ﷻ - في هود وطغاة قومه: ﴿ **فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾{الأعراف89} .﴿ **كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ** ﴾{الشعراء123} .

وفي طغاة قوم نوح وعاد وثمود قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ**﴾{الحج42} ﴿ **كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ** ﴾{ الشعراء141} .

وفي فرعون وملئه قال - تعالى -: ﴿ **ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ۞ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ۞ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ** ﴾{المؤمنون45-48}

﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ۞ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا**﴾{الفرقان35-36}

﴿ **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ {آل عمران11}

﴿ **وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى** ﴾{طه56} .

والتكذيب والغفلة يؤديان حتماً إلى الفسوق والكفر بآيات الله.

البند الرابع:

الفسوق والكفر بآيات الله:

وصف الله - ﷻ - الطاغية فرعون وقومه بأنهم كانوا قوماً فاسقين في موضعين من كتاب الله؛ الأول في قوله تعالى:﴿ **وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** ﴾{النمل 12} .

[1] تفسير الخازن ج2 ص278

[2] انظر في ظلال القرآن ج3ص1360

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

والثاني في قوله تعالى:﴿ **اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** ﴾{القصص32} .

قال الإمام النسفي: (كانوا قوماً فاسقين) يعني: خارجين عن أمر الله كافرين [1] .

ولا شك أن فسق فرعون كان فسق اعتقاد يخرج الإنسان من الإسلام، والذي هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، ومعنى فطرة الله: " دين الله وهو التوحيد فإن الله فطر الناس عليه حيث أخرجهم من ظهر آدم وسألهم:﴿ ... **أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى** ... ﴾{الأعراف172} وقال - ﷺ -: " **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ وَهُوَ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ وَإِنَّمَا أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِه وَيمجّسَانه** "[2] ، فقوله: (على الفطرة) يعني على العهد الذي أخذه عليهم بقوله: (ألست بربكم قالوا بلى) وكل مولود في العالم على ذلك الإقرار وهي الفطرة التي وقع الخلق عليها وإن عبد غيره قال الله - تعالى -: (**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**)}الزخرف:87{ "[3]

وقد صرحت آيات القرآن الكريم بكفر فرعون وملئه في عدة مواضع منها: ﴿ **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾{الأنفال52}

﴿ **وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۞ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ** ﴾{غافر41-42}

وهكذا يتبين لنا أن الفسق والكفر من صفات الطغاة الملازمة لهم .

وقد يقول قائل إن بعض طغاة العصر يظهرون على التلفاز وهم يصلون، وآخرين يظهرون وهم يقرؤون القرآن، بل إن كثيراً منهم يفتتحون كلامهم بآيات من القرآن الكريم، فكيف يتفق ذلك مع ما ذهبت إليه من أن من صفات الطغاة الفسق والكفر بآيات الله ؟؟؟

قلت، لو تأمل السائل في أحوال هؤلاء الطغاة الذين يَدَّعُون الإسلام لوجد في سلوكهم ما يفضحهم ويكشف زيف دعواهم .

---

[1] تفسير النسفي ج3 ص165، تفسير الخازن ج5 ص173، البحر المديدج5 ص309، الجامع لأحكام القرآن ج13 ص163

[2] سبق تخريجه ص48

[3] اللباب في علوم الكتاب ج15 ص 409-410 ، وانظر تفسير القرآن العظيم ج6 ص313-314،تفسير الخازن ج5 ص208

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

فرفضهم الاحتكام إلى شرع الله، وموالاتهم لأعداء الله، ومحاربتهم لأوليائه، ونشرهم للفسق والفجور، ومحاربتهم للفضيلة، كل ذلك وغيره يجعلنا نشك في صدق دعواهم [1]، فإن لم يكونوا كافرين فأقل ما يقال فيهم أنهم فاسقون .

البند الخامس:

الخطأ والإضلال:

" الخَطَأُ والخَطاءُ ضدُّ الصواب "[2]

وقد أخبر الله - ﷻ - عن فرعون وهامان وجنودهما بأنهم كانوا خاطئين وذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ** ﴾{القصص8} .

وللمفسرين في تفسير قوله تعالى خاطئين قولان:

الأول: خاطئين بمعنى آثمين ومذنبين من خطىء بمعنى أذنب .

الثاني: خاطئين في كل شيء و(خاطئين) على هذا من الخطأ في الرأي .[3]

يقول الإمام أبو حيان الأندلسي - رحمه الله -: " والخاطىء: المتعمد الخطأ، والمخطىء: الذي لا يتعمده، واحتمل أن يكون في الكلام حذف، وهو الظاهر، أي فكان لهم عدواً وحزناً، أي لأنهم كانوا خاطئين، لم يرجعوا إلى دينه، وتعمدوا الجرائم والكفر بالله، وقال المبرد: خاطئين على أنفسهم بالتقاطه، وقيل: بقتل أولاد بني إسرائيل، وقيل: في تربية عدوّهم .

وأضيف الجند هنا وفيما قبل إلى فرعون وهامان، وإن كان هامان لا جنود له، لأن أمر الجنود لا يستقيم إلا بالملك والوزير، إذ بالوزير تحصل الأموال، وبالملك وقهره يتوصل إلى تحصيلها، ولا يكون قوام الجند إلا بالأموال .

وقرئ: خاطيين، بغير همز، فاحتمل أن يكون أصله الهمز، وحذفت، وهو الظاهر، وقيل: من خطا يخطو، أي خاطين الصواب"[4] .

---

[1] انظر ص83 من هذا البحث

[2] لسان العرب ج1 ص65

[3] انظر كلا القولين في تفسير الخازن ج 5 ص165، وانظر تفسير السراج المنير ج3 ص88، و مفاتيح الغيب ج24ص195، البحر المديدج5 ص382

[4] تفسير البحر المحيط ج7ص101

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وقال الإمام الألوسي رحمه الله:

"(إِنَّ فِرْعَوْنَ وهامان وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خاطئين) في كل ما يأتون وما يذرون أو من شأنهم الخطأ فليس ببدع منهم أن قتلوا ألوفاً لأجله ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرونه، روى أنه ذبح في طلبه عليه السلام تسعون ألف وليد . و(خاطئين) على هذا من الخطأ في الرأي، ويجوز أن يكون من خطىء بمعنى أذنب، وفي الأساس يقال: خطىء خطأ إذا تعمد الذنب، والمعنى وكانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن ربى عدوهم على أيديهم، والجملة على الأول اعتراض بين المتعاطفين لتأكيد خطئهم المفهوم من قوله تعالى: (لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً) "[1].

وما قيل في تفسير خاطئين في هذه الآية، قيل في تفسير الخاطئة في قوله - تعالى -: ﴿ **وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ** ﴾{الحاقة9}[2]

وليس غريباً على من كان هذا حاله أن يَضِلَ في نفسه ويُضِلَ غيره، يقول المولى - ﷻ -: ﴿ **وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى** ﴾{طه79}،

" يعني: أن فرعون أضل قومه عن طريق الحق وما هداهم إليها، وهذه الآية الكريمة بيّن الله فيها كذب فرعون في قوله: ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾{غافر29}، ومن الآيات الموضحة لذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۞ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ** ﴾{هود96-98} "[3]

يقول الإمام الطبري - رحمه الله -: " جاوز فرعون بقومه عن سواء السبيل، وأخذ بهم على غير استقامة، وذلك أنه سلك بهم طريق أهل النار، بأمرهم بالكفر بالله، وتكذيب رسله (وَمَا هَدَى) يقول: وما سلك بهم الطريق المستقيم، وذلك أنه نهاهم عن اتباع رسول الله موسى - ﷺ -، والتصديق به، فأطاعوه، فلم يهدهم بأمره إياهم بذلك، ولم يهتدوا باتباعهم إياه "[4].

---

[1] روح المعاني ج20 ص47، وانظر تفسير البيضاوي ج2 ص178، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ج4 ص294

[2] انظر تفسير البحر المحيط ج8 ص316، تفسير الزمخشري ج6 ص196، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج8 ص124، مفاتيح الغيب ج30 ص93، اللباب في علوم الكتاب 19ص320، الجامع لأحكام القرآن ج18 ص262

[3] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج5 ص130

[4] جامع البيان في تأويل القرآن ج18 ص345

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وهكذا نرى أن فرعون قاد قومه إلى الضلال في الحياة كما قادهم إلى الضلال في البحر وكلاهما ضلال يؤدي إلى البوار[1] .

البند السادس:

الكذب ونكث العهود:

لاحظنا في الصفة السابقة كيف فضح الله - ﷻ - فرعون وكشف كذبه وبَيَّنَ زيف دعواه في قوله لقومه: (وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)، فضحه بالقول والفعل، أما القول ففي قوله - تعالى -: (..... فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۞ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ)، وأما الفعل فبالإغراق ﴿ **فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ۞ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى** ﴾{طه78-79} .

فلم يكن سبيل فرعون هو سبيل الرشاد، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولم يكن هذا الأمر من فرعون مجرد اجتهاد أخطأ فيه، بل كان كذباً بواحاً عن سبق إصرار وترصد، يتضح لنا ذلك من خلال قول الله - ﷻ -:﴿ **فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾{النمل13- 14} .

(فلما جاءتهم آياتنا) على يد موسى - عليه السلام - (مبصرة) أي سبب الإبصار لكونها منيرة ظاهرة جداً، فهي هادية لهم إلى الطريق الأقوم هداية النور لمن يبصر، فهو لا يخطىء شيئاً ينبغي أن ينتفع به (قالوا هذا سحر) أي خيال لا حقيقة له (مبين) أي واضح في أنه خيال (وجحدوا) أي أنكروا عالمين (بها) أي أنكروا كونها آيات موجبات لصدقه مع علمهم بإبطالهم لأن الجحود: الإنكار مع العلم .

ولما كان الجحد معناه إنكار الشيء مع العلم به، حقق ذلك بقوله: (واستيقنتها) أي والحال أنهم قد طلبوا الوقوف على حقائق أمرها حتى تيقنتها في كونها حقاً (أنفسهم) وتخلل علمها صميم عظامهم، فكانت ألسنتهم مخالفة لما في قلوبهم، ولذلك أسند الاستيقان إلى النفس .

ثم علل جحدهم ووَصْفِهم لها بخلاف وَصْفِهَا فقال: (ظلماً وعلواً) أي إرادة وضع الشيء في غير حقه، والتكبر على الآتي به، تلبيساً على عباد الله "[2] .

ويواصل الطاغية كذبه على غير استحياء ولا وجل فيقول: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي** ... ﴾{القصص38} .

---

[1] انظر في ظلال القرآن ج4ص2344

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج5ص413

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

" قاله اللعين بعدما جمع السحرة، وتصدى المعارضة، والظاهر أنـــه أراد حقيقة ما يدل عليه كلامه، وهو نفي علمه بإله غيره دون وجوده؛ فإن عدم العلم بالشيء لا يدل على عدمه، ولم يجزم بالعـــدم بأن يقول : ليس لكم إله غيري، مع أن كلاً من هذا وما قاله كذب، لأن ظـــاهر قـــول موســـى - عليه السلام - لـــه: ﴿ **قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْـــأَرْضِ بَصَائِرَ** ﴾{الإسراء102} يقتضي أنه كان عالما بأن إلههم غيره "[1] .

يقول ابن تيمية - رحمه الله -:

" فرعـــون مـــا كان يخاف أحدًا فينافقه فلم يُثْبِت الخالق، وإن كان في الباطن مقرًا به، وكان يعرف أنه ليس هو إلا مخلوق، لكن حب العلو في الأرض والظلم دعاه إلى الجحود والإنكار والكذب "[2] .

لذلك يحذر موسى - عليه السلام - فرعون وسحرته من افتراء الكذب على الله:﴿ **قَالَ لَهُمْ مُوسَـــى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى** ﴾ {طه61}[3] .

أما عن نقض الطغاة للعهود فيحدثنا الله - عز وجل - عن ذلك في كتابه فيقـــول: ﴿ **وَلَمَّـــا وَقَـــعَ عَلَيْهِـــمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَـــنَّ مَعَـــكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُـــمْ بَـــالِغُوهُ إِذَا هُـــمْ يَنْكُثُونَ** ﴾{الأعراف134- 135} .

(بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ) ما مصدرية، والمعنى بعهده عندك وهو النبوة، والباء إما أن تتعلق بقوله: (ادْعُ لَنَا رَبَّكَ) على وجهين: أحدهما أسعفنا إلى ما نطلب إليك من الدعاء لنا بحق ما عندك مـــن عهـــد الله وكرامته بالنبوة، أو ادع الله لنا متوسلا إليه بعهده عندك، وإما أن يكون قسما مجابا بلنؤمنن، أي أقسمنـــا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك، (إِلَى أَجَلٍ هُـــمْ بَالِغُوهُ) إلـــى حـــد مـــن الزمـــن هـــم بالغوه لا محالة فمعذبـــون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم مـــن الإمهال وكشف العذاب ... (إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) جواب لما، يعني فلما كشفناه عنهم بادروا بالنكث ولم يؤخروه وهكذا كلما كشف عنهم شيئاً من البلاء سارعوا بالنكث "[4]

---

[1] روح المعاني ج20 ص80 بتصرف يسير

[2] انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)ج2 ص157

[3] انظر التحرير والتنويرج 16 ص248

[4] تفسير الزمخشري ج2 ص498

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

يقول سيد قطب - رحمه الله -:

" لقد جمع السياق هنا تلك الآيات المفصلة، التي جاءتهم مفرقة واحدة واحدة، وهم في كل مرة يطلبون إلى موسى تحت ضغط البلية أن يدعو لهم ربه لينقذهم منها؛ ويعدونه أن يرسلوا معه بني إسرائيل إذا أنجاهم منها، وإذا رفع عنهم هذا (الرجز)، أي العذاب، الذي لا قبل لهم بدفعه (إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) .

(ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل) وفي كل مرة ينقضون عهدهم، ويعودون إلى ما كانوا فيه قبل رفع العذاب عنهم وفق قدر الله في تأجيلهم إلى أجلهم المقدور لهم .

(فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون)

جمع السياق الآيات كلها، كأنما جاءتهم مرة واحدة، وكأنما وقع النكث منهم مرة واحدة، ذلك أن التجارب كلها كانت واحدة، وكانت نهايتها واحدة كذلك، وهي طريقة من طرق العرض القرآني للقصص يجمع فيها البدايات لتماثلها؛ ويجمع فيه النهايات لتماثلها كذلك؛ ذلك أن القلب المغلق المطموس يتلقى التجارب المنوعة وكأنها واحدة؛ لا يفيد منها شيئاً، ولا يجد فيها عبرة "[1] .

وهكذا يتبين لنا أن الطغاة ليس لهم عهد، وان الكذب شيمتهم[2] ونقض العهد من طباعهم .

البند السابع:

الظلم والبغي والعدوان:

" ظلم: الظاء واللام والميم أصلانِ صحيحانِ، أحدهما خلافُ الضِّياء والنور، والآخَر وَضْع الشَّيءِ غيرَ موضعه تعدِّياً "[3]

والظلم خلق منبوذ عقلاً وفطرة وإنسانية، ومحرم شرعاً، قبحهُ الله تعالى وذمه، وتوعد عليه، وحرمه على نفسه .

قال - تعالى -: ﴿ **وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا** ﴾{طه111}

وقال - جل في علاه -: ﴿ **وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا** ... ﴾{يونس13}

وقال - تبارك تعالى -: ﴿ ... **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**﴾{الشعراء227}

---

[1] في ظلال القرآن ج3 ص1358 بتصرف يسير

[2] الشِّيمة: خَلِيقة الإنسان، سمِّيت شيمةً لأنَّها كأنها مُنْشامة فيه داخلةٌ مستكِنّة : معجم مقاييس اللغةج3ص236

[3] معجم مقاييس اللغة ج3 ص468

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وفي الحديث عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ :(**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا ....)**[1] .

وفي الحديث أيضاً عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: (**إِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...)**[2] .

وعَنْ أَبِي مُوسَى – رَضِيَ اللَّهُ - عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: (**إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ)** قَالَ ثُمَّ قَرَأَ ﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** ﴾{هود102}[3] .

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ - عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: (**اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ)**[4]

وقد يولي الله - ﷻ - على الظالم ظالماً مثله يسلطه عليه عقاباً على ظلمه قال - تعالى -: ﴿ **وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾{الأنعام129}

قال القرطبي في المراد من الآية: " نسلط بعض الظلمة على بعض فيهلكه ويذله وهذا تهديد للظالم إن لم يمتنع عن ظلمه سلط الله عليه ظالماً آخر"[5]

ولما كان خطر الظلم عظيماً وعاقبته وخيمة طال الحديث عنه في الكتاب والسنة؛ وليس غرضنا في هذا المبحث الاستفاضة في الحديث عن الظلم استقلالاً- فالحديث في هذا الأمر يطول وفيما ذكرناه كفاية - بقدر ما نهدف للحديث عنه كصفة للطغاة .

فالظلم صفة الطغاة التي لا تنفك عنهم، فلا فرق من وجهة نظر القرآن بين أن يذكر الطغاة بأسمائهم أو بصفة الظلم فيهم، فهما كالوجهين لعملة واحدة .

يقول المولى - ﷻ -:

﴿ **وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ** ﴾{الشعراء10-11}

" هذا الأسلوب يوضح قمة ما كان عليه فرعون وقومه من ظلم إذ قد عرَّفهم بلقب (الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) وكأن اسمهم الأصلي (الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) أما (قَوْمَ فِرْعَوْنَ) فهي تفسير وتوضيح

---

[1] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، ح2577

[2] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، ح2579

[3] صحيح البخاري: كتاب التفسير، بَاب قَوْلِهِ :﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ ح4686

[4] صحيح البخاري كتاب المظالم، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم ح2448

[5] الجامع لأحكام القرآن ج7 ص85

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وترجمة "[1]، يقول الإمام الزمخشري - رحمه الله -:

" سجل عليهم بالظلم بأن قدم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان، كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون، وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد، إن شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين، وإن شاء عبر بقوم فرعون، وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم أنفسهم بالكفر .... ومن جهة ظلمهم لبني إسرائيل باستعبادهم لهم "[2]، " وفيه إيماء إلى أنهم اشتهروا بالظلم "[3]

يقول سيد قطب - رحمه الله -: " وهذا هو المشهد الأول: مشهد التكليف بالرسالة لموسى - عليه السلام - وهو يبدأ بإعلان صفة القوم: (الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) فقد ظلموا أنفسهم بالكفر والضلال، وظلموا بني إسرائيل بما كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ويعذبونهم بالسخرة والنكال، لذلك يقدم صفتهم ثم يُعَيِّنُهُم (قَوْمَ فِرْعَوْنَ) ثم يُعَجِّب موسى من أمرهم، ويُعَجِّب كل إنسان: (أَلَا يَتَّقُونَ) ألا يخشون ربهم؟ ألا يخافون مغبة ظلمهم؟ ألا يرجعون عن غيهم؟ ألا إن أمرهم لعجيب يستحق التعجيب! وكذلك كل من كان على شاكلتهم من الظالمين!

ولم يكن أمر فرعون وملئه جديداً على موسى - عليه السلام - فهو يعرفه، ويعرف ظلم فرعون وعتوه وجبروته، ويدرك أنها مهمة ضخمة وتكليف عظيم، ومن ثم يشكو إلى ربه ما به من ضعف وقصور لا ليتنصل أو يعتذر عن التكليف، ولكن ليطلب العون والمساعدة في هذا التكليف العسير "[4] .

وذكر فرعون وقومه بهذه الصفة نطقت به العديد من الآيات منها:

﴿ **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ** ﴾{الأنفال 54} .

ومنها: ﴿ **فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ** ﴾{القصص 40}

ومنها: ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾{التحريم 11}

﴿ **وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾{القصص37} .

---

[1] انظر فرعون في القرآن ص96

[2] تفسير الزمخشري ج4 ص379، وانظر مفاتيح الغيب ج24 ص106

[3] التحرير والتنوير ج19 ص104، وانظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج5 ص350

[4] في ظلال القرآن ج5 ص2589

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

"(إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) وفي هذا تعريض لفرعون وقومه، وفيه نفي أن تكون لهم عاقبة الـــدار، فإنهم بنوا سنة الحياة على الظلم، وفيه انحراف عن العدالة الاجتماعية التي تهدي إليهـــا فطـــرة الإنسان الموافقة للنظام الكوني "[1].

أما البغي والعدوان فقد ورد ذكرهما في قوله - تعالى -:

﴿ **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَـــرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾{يونس90}

"(بَغْيًا وَعَدْوًا) أي في حال بغي واعتداء وظلم "[2] .

ومما سبق يتضح لنا أن الظلم والبغي والعدوان صفات متأصلة في الطغاة، فالطغاة هم الظلمة والظلمة هم الطغاة .

البند الثامن:

الإجـــرام والإرهـــاب:

ومن الصفات وثيقة الصلة بالظلم والبغي والعدوان صفتا الإجرام والإرهاب، فقد أخبر الله - ﷻ - وفي أكثر من آية أن فرعون وقومه كانوا مجرمين نذكر منها:

﴿ **وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَـــكَ بِمُـــؤْمِنِينَ ۞ فَأَرْسَـــلْنَا عَلَـــيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ** ﴾ {الأعراف132- 133}

﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَا مِـــنْ بَعْـــدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًـــا مُجْرِمِينَ** ﴾{يونس75}

﴿ **وَلَقَـــدْ فَتَنَّـــا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۞ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُـــمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُـــونِ ۞ وَإِنْ لَـــمْ تُؤْمِنُـــوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ۞ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ** ﴾ {الدخان17-22} .

أما الإرهاب فيوصف به الطغاة بسبب ما يشيعونه من أجواء الخوف معتمدين في ذلك علـــى ما في أيديهم من أدوات البطش والتنكيل.

---

[1] الانحرافات الكبرى ص217

[2] انظر جامع البيان في تأويل القرآن ج15ص188،الجامع لأحكام القرآن ج8ص377، وتفسير البغـــوي ج4 ص148، وتفسير الخازن ج3 ص206

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

يقول الله - ﷻ -: ﴿ **فَمَا آَمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ** ﴾{يونس83}

فالذي منع الناس من الدخول في دين موسى - عليه السلام - هو الخوف، أو بعبارة أخرى بسبب إرهاب فرعون القائم على التنكيل بكل من يخالفه[1] .

وهذا السبب نفسه هو الذي دفع موسى - عليه السلام - إلى الفرار إلى مدين تاركاً الأهل والأوطان، يقول الله - ﷻ - على لسان موسى - عليه السلام -: ﴿ **فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾{الشعراء21} .

البند التاسع:

المَـــــــــن:

الأصل في الحاكم أن يكون حريصاً على مصلحة شعبه، قائماً عليها، مستجلباً لها، غير مفرطٍ ولا مضيعٍ، يحب لهم ما يحبه لنفسه، ويكره لهم ما يكرهه لنفسه، ويشفق عليهم، ويرحم صغيرهم، ويوقر كبيرهم، ويحزن لحزنهم، ويفرح لفرحهم، ويحب صلاحهم وألفتهم ودوام النعم عليهم، ونصرهم على عدوهم، ودفع كل أذى ومكروه عنهم، في غير منة ولا تفضل، فهذا تكليف وواجب، لا منة وتفضلاً، يقول الرسول - ﷺ -:(**مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمْ الْجَنَّةَ**)[2] .

ولكن طغاة الحكام لا يعترفون بهذه الأخلاق، ولا يؤمنون بمثل هذه النصوص، فنراهم يستغلون المناسبات لتجري ألسنتهم بالمَنِّ وإظهار الفضل على رعاياهم، وفي معظم الأحيان يكون المَنُّ بفظائع يرتكبونها ثم يخرجونها للناس على أنها فضائل وبطولات.

فإن أحجم الطاغية عن مثل هذا الحديث، تحركت وسائل إعلامه بإيعاز منه أو من أزلامه فقامت بالدور على أتم وجه، بل ربما زادت في فضائل الطاغية بما لم يخطر له على بال، فتصبح أخباره هي المادة الرئيسة لنشرات الأخبار، وتصبح صورته هي أول ما تشاهده وأنت تطالع جرائد الصباح، وهي آخر ما تشاهده في التلفاز قبل أن تنام، ثم تأتي مرحلة أخرى من مراحل الإنتاج، حينما تصبح كل تصريحاته هامة، وكل خطاباته ذات صدى عالمي، وكل أفكاره توجيهات إستراتيجية تغير مصير الأمة، وكل مبادراته هي المخرج الوحيد من الأزمات التي تعيشها الأمة، - رغم أن الطغاة هم السبب في كل الأزمات الخانقة التي تعيشها

---

[1] انظر ص89 من هذا البحث

[2] سبق تخريجه انظر ص26

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الأمة- وبالتالي تصبح المادة الرئيسة في الإعلام هي: استقبل وودع، واتصل وأصدر، وأشاد ووجه، الخ.

ثم تأتي مرحلة تسمية المنتج، فيتغير اسمه من مجرد الرئيس، إلى فخامة الرئيس، أو صاحب الجلالة، ثم تنهال الألقاب على الطاغية كالسيل الجرار فهو: الزعيم الملهم، والقائد الفذ، والفارس المقدام الذي لا يشق له غبار، والصقر الذي يرى بحدة بصره ما عميت عن رؤيته ملايين العيون، وهو صانع الأمجاد التي لولاه ما كانت لتكون، وهو ربان سفينة النجاة التي لولاه لغرقت وغرق كل من عليها، وهو رائد المرحلة التي لا يتوفر في ظرفها غيره، وهو الضرورة التي لا يوجد منه نسخة أخرى لقيادة الأمة، الخ.

ثم تأتي مرحلة التلميع لتشمل تأريخه الغامض في النضال، ودوره البارز في دحر الاحتلال، أو تقويض النظام الاستبدادي، وأنه هو الذي أطلق أول رصاصة في حرب النضال، وأنه هو الذي أشعل أول فتيل للثورة، وأنه هو الذي أوقد الشرارة الأولى للتحرير.

وقد أشار القرآن إلى هذه الصفة وجلَّاها للعيان في أوجز عبارة وأجمل بيان، وذلك في قوله تعالي:﴿ **قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۞ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۞ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ۞ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾{الشعراء18-22}

هذا هو منطق الطغاة الذي لا يحيدون عنه – منطق المن البغيض – فهذا فرعون مثلاً يَمُنُّ على موسى - عليه السلام - بأنه تربى في بيته، وأنه لبث فيه من عمره سنين - وهذه ولا شك منة وفضل لإنسان التقط طفلاً فقد والديه فرباه ولم يكن للملتقط يد في هذا الفقد - ولكن هل هذا هو ما حدث مع موسى - عليه السلام -؟ أو بصيغة أخرى كيف وصل موسى - عليه السلام - إلى فرعون؟ ألم يكن له أهل يستطيعون تربيته؟ وإن كانت الإجابة بنعم، كان له أهل يستطيعون تربيته – وفرعون يعلم ذلك – فما الذي دفع أهله أن يجعلوه في تابوت ويلقونه في البحر تتقاذفه الأمواج لا يعلمون شيئاً عن مصيره؟ أليست هي أوامر فرعون لجلاديه بقتل كل مولود ذكر يولد في بني إسرائيل؟ من المسئول عن فقد الطفل لأمه وفقد الأم لطفلها؟ أليس هو فرعون؟ من الذي حرم الأم من تسمية ولدها؟ أو أن تقول له يا بني وهو يترعرع بين ذراعيها؟ أليس هو فرعون؟ من الذي جعل بني إسرائيل يعيشون في رعب دائم؟ أليس هو فرعون؟ .

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

" فأي فضل لفرعون على موسى - عليه السلام - وأي منة له عليه وقومه بجملتهم عبيد أذلاء لدى فرعون؟!! وأي امتنان على موسى - عليه السلام - وقومه لا يملكون من أمرهم شيئاً؟!! وأي امتنان على موسى - عليه السلام - وأبناء قومه يذَّبحون صغاراً عند الولادة؟!! أي جريمة تلك التي يفعلها فرعون وحزبه ثم يأتي هنا ليمتن على موسى - عليه السلام - ؟!! وأي امتنان على موسى - عليه السلام - وقد أُلقي به في البحر خشية الذبح متعرضاً – وهو الطفل الرضيع – للغرق ولحيتان البحر؟!! وأي امتنان على موسى - عليه السلام - الذي أُدْخِلَ بيت فرعون وهو لقيط لا يعرف له أب أو أم أو أسرة ؟!! إذن بماذا وعلى من يمتن فرعون ؟!!"[1]

لقد من فرعون على موسى - عليه السلام - انه سمح له بأن يعيش مستضعفا في بلاده، و كأن القاعدة كانت تقضي بقتل موسى الرضيع، أما أن يبقي حيا يتنفس فإنها نعمة يمن بها عليه .

يقول الإمام الزمخشري رحمه الله عن دحض موسى - عليه السلام -لمنة التربية: " ثم كَرَّ على امتنانه عليه بالتربية فأبطله من أصله، واستأصله من سِنْخِه[2]، وأبى أن يسمي نعمته إلا نقمة، حيث بين أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بني إسرائيل، لأن تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته، فكأنه امتن عليه بتعبيد قومه إذا حققت "[3] .

ويقول سيد قطب رحمه الله: " ثم يجيبه تهكماً بتهكم، ولكن بالحق، (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) . . فما كانت تربيتي في بيتك وليداً إلا من جراء استعبادك لبني إسرائيل، وقتلك أبناءهم، مما اضطر أمي أن تلقيني في التابوت، فتقذف بالتابوت في الماء، فتلتقطونني، فأربى في بيتك، لا في بيت أبويّ، فهل هذا هو ما تمنه علي، وهل هذا هو فضلك العظيم؟!"[4] .

وهكذا يتبين لنا:

أولاً: إن فراعنة كل عصر يجب أن يلقموا حجرا كلما زعموا أن لهم على الناس منة، ذلك أن جميع تقلباتهم في البلاد، وتصرفاتهم في شؤون العباد، جرائم لأنها ليست وفق منهج الله، وليست بتخويل من الناس .

ثانياً: إن موسى - عليه السلام - تجاوز نفسه وتحدث عن كل بني إسرائيل، كما تجاوز الحديث عن قضية محدودة إلى بيان جذورها، وهكذا ينبغي على الدعاة ألا يقعوا في الخطأ بالحديث عن

---

[1] معالم الصراع الإيماني في قصة موسى عليه السلام : للدكتور جمال محمود محمود الهوبي ص (67،68)

[2] السِّنْخ بالكسر: الأَصْلُ من كلِّ شيْءٍ، انظر تاج العروس ج7 ص274

[3] الكشاف ج 4 ص384

[4] في ظلال القرآن ج5 ص2591

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

ذات القضية التي يستدرجهم إليها الطغاة، ولا بالحديث عن أنفسهم، بل يتحدثوا عن جذور المشكلة حسب نهجهم الإعلامي المستقل، وعن آلام الشعب جميعا، لأنهم - وحدهم - ممثلوا الناس حقيقة، وعليهم أن ينطقوا باسمهم ويعبروا عن مشاعرهم .

البند العاشر:

أَئِمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ:

بالنظر إلى الصفات السابقة من العلو والإسراف، والكبر، والغفلة والتكذيب والفسوق والكفر بآيات الله، والخطأ والإضلال، والكذب ونكث العهود، والظلم والبغي والعدوان، والإجرام والإرهاب، والمن، نرى أن هذه الصفات جميعاً وغيرها تحققت في الطاغية فرعون - والذي ذكره القرآن كأنموذج للطغاة عبر الأزمنة والعصور - فكل من يتصف بهذه الصفات هو فرعون بغض النظر عنَ اسمه أو لونه أو جنسه، ودون اعتبار للزمان والمكان الذي عاش فيه، فجميع الطغاة فرعون، وفرعون هو إمامهم وكبيرهم الذي علمهم السحر - الطغيان - ذلك أن بناء الشذوذ والانحراف كان قد اكتمل في عصر فرعون موسى[1] .

يقول سعيد أيوب:

" ولما كانت للفرعونية وجوه تعود إلى أصل واحد، وبما أن فرعون موسى هو التجسيد الحي للشذوذ الذي دونه آباؤه في عالم الانحراف، وهو المقدمة للذين جاؤوا من بعده وجلسوا على أريكة الظلم والإسراف والاستكبار، فإن الله تعالى جعله وقومه أئمة يدعون إلى النار يقول تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ ۞ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ**﴾{القصص41-42} قال المفسرون: الدعوة إلى النار، هي الدعوة إلى ما يستوجب النار من الكفر والمعاصي[2]، ومعنى جعلهم أئمة يدعون إلى النار: تصييرهم سابقين في الضلال يقتدي بهم اللاحقون[3]. وقوله تعالى: (وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ) فهم لكونهم أئمة يقتدي بهم من خلفهم في الكفر والمعاصي، لا يزال يتبعهم ضُلَّال الكفر والمعاصي من مقتديهم ومتبعيهم، وعليهم من

---

[1] انظر الانحرافات الكبرى ص195

[2] انظر تفسير الطبري ج19 ص583، الجامع لأحكام القرآن ج13 ص289-290، اللباب في علوم الكتاب ج15 ص261، تفسير ابن أبي حاتم ج9 ص2980، تفسير الخازن ج5 ص174، التحرير والتنوير ج20 ص126، تفسير الزمخشري ج4 ص508

[3] انظر انظر تفسير الطبري ج19 ص583، الجامع لأحكام القرآن ج13 ص289، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج4 ص75، تفسيرالبغوي ج6 ص209، تفسير الخازن ج5 ص174، تفسير السعدي ج1 ص616

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الأوزار مثل ما للمتبعين، فيتبعهم لعن مستمر باستمرار الكفر والمعاصي بعدهم، فالآية في معنى قوله تعالى: ﴿ **وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ** ﴾{العنكبوت13} وقوله: ﴿...**وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ** ... ﴾{يس12} وتنكير اللعنة للدلالة على تفخيمها واستمرارها "[1].

يقول ابن عادل:

" وإنما جعلهم الله أئمةً في هذا الباب، لأنهم بلغوا في هذا الباب إلى أقصى النهايات ومن كان كذلك استحق أن يكون إماماً يُقْتَدى به في ذلك الباب"[2] .

ومن صفات الطغاة التي أشار إليها القرآن ولم أثبتها في هذا المبحث: الفساد، والاستبداد بالرأي، والاستقواء بالعسكر، وذلك اكتفاءً بما ذكرته عن هذه الصفات في مبحث ملامح أنظمة الطغاة .

---

[1] الانحرافات الكبرى ص197

[2] اللباب في علوم الكتاب ج15ص261، وانظر تفسير الخازن ج5 ص174

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المبحث الثالث

نماذج من طغيان الحكام ونهايتهم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نماذج من طغيان الحكام

المطلب الثاني: نهاية الطغاة

المطلب الثالث: معالم على طريق النهاية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المطلب الأول:

نماذج من طغيان الحكام:

وفي هذا المطلب يعرض الباحث لنماذج من طغيان الحكام ذكرها القرآن الكريم أو أشارت إليها السنة النبوية المطهرة، لنستبين من خلالها مدى القسوة والغلظة والشدة التي تسكن قلوب الطغاة، وما يمتازون به من غطرسة واستهتار بحياة الناس، وما يمكن لهؤلاء الطغاة أن يقترفوه في حق الإنسانية والإنسان من فظائع وجرائم، إذا أمنوا غضبة شعوبهم، ولم يجدوا فيهم خطراً حقيقياً يهدد عروشهم .

وسيتناول الباحث ثلاثة نماذج:

الأول: قتل الأطفال واستحياء النساء

والثاني: قطع أيدي المخالفين وأرجلهم من خلاف وصلبهم في جذوع النخل

والثالث: حرق الناس وهم أحياء

النموذج الأول:

قتل الأطفال واستحياء النساء:

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾{البقرة49}

بالوقوف أمام هذه الآية والتأمل فيها يتبين لنا: أن لمفرداتها إيحاءات تطفح ببيان ألون العذاب الذي تقشعر منه الجلود، وتضطرب له الأفئدة، والذي كان فرعون يتفنن في ابتكاره ليذل به بني إسرائيل، فقوله تعالى: (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) مأخوذ من سام الماشية أي جعلها سائمة ترعى دائماً[1]، وكأن العذاب طعام، ولما كان الإنسان لا يستطيع الاستغناء عن الطعام، فهو بحاجة دائمة له، فكذلك جعل فرعون العذاب دائما على بني إسرائيل كأنه طعامهم الذي لا يستغنون عنه[2] .

" والسوء مصدر ساء بمعنى السيئ يقال أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما، ومعنى سوء العذاب - والعذاب كله سيئ - أشده وأفظعه، كأنه قَبَّحَهُ بالإضافة إلى سائره[3]،

---

[1] انظر تفسير ابن كثيرج1 ص258، البغوي ج1 ص90 طيبة، والجامع لأحكام القرآن ج1ص384، واللباب في علوم الكتاب ج2 ص56

[2] انظر الظلال ج1 ص70

[3] انظر مفاتيح الغيب ج3ص63-64، اللباب في علوم الكتاب ج2 ص56

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

أو المراد عذاب من غير استحقاق، لأن العذاب بالاستحقاق حسن"[1] .

ثم يذكر القرآن لوناً من ألوان هذا العذاب، ويستخدم لوصف هذا اللون من العذاب كلمة (يُذَبِّحُونَ) ثم يترك للذهن أن يتخيل ما تحمله هذه الحروف من صور لأشخاص يحملون الشفار[2] ويطوفون على البيوت يبحثون عن المواليد، فإذا وقع بصرهم على مولود انتزعوه من بين ذراعي أمه، ووضعوا السكين على عنقه وذبحوه، وللذهن أن يتخيل حركة السكين على العنق، وفوران الدم، وصراخ الطفل، وشخوص عيني الأم، وقهقهة الجلاد الذي يمضي للبحث عن ضحية أخرى ليعيد معها نفس المشهد .

وهكذا يتكرر المشهد مع آلاف الأطفال[3]، فكلمة (يُذَبِّحُونَ) تفيد الكثرة والتكرار[4]، ثم تأتي كلمة (أَبْنَاءَكُمْ) لتأخذ مكانها المعجز في السياق القرآني، ولتزيد صورة البلاء الذي ابتلي به بنو إسرائيل وضوحاً، فهذه الكلمة بينت أن الذبح كان يقع على الذكور من المواليد[5] بدليل قول الله - ﷻ - بعدها ويستحيون نساءكم، وفي ذلك وجوه من العذاب يمكن أن نجملها على النحو التالي:

- أن الأبناء أحب وأرغب من البنات، وفي قتلهم من شدة العذاب ما فيه.
- أن ذبح الأبناء يقتضي إفناء الرجال وانقطاع النسل، وحب النسل فطرة في الإنسان .
- ومنها أن قتل الولد عقيب الحمل والكد والرجاء القوي في الانتفاع بالمولود من أعظم العذاب .
- ومنها أن هلاك الرجال يقتضي فساد معيشة النساء حتى يتمنين الموت من النكد والضر .
- ومنها أن بقاء النسوان بدون الذكران يوجب صيرورتهن مستفرشات للأعداء، وذلك نهاية الذل والهوان[6] .

---

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ج1 ص282

[2] الشفْرَةُ بالفَتْح والكسر:السِّكِّينُ العَظِيمُ، وما عُرِّضَ من الحَدِيدِ وحُدِّدَ، والجمع شِفَارٌ بالكَسْر، وشِفْر ، بكسر فسكون، تاج العروس من جواهر القاموس ج12 ص211

[3] رُوي أنه ذبح في طلب موسى - عليه السلام -، تسعين ألف وليدٍ، انظر تفسير النسفي ج3ص182، تفسير الزمخشري ج4 ص483، البحر المديد ج5ص380، تفسير الألوسي ج20 ص47

[4] انظر الجامع لأحكام القرآن ج1 ص386، واللباب في علوم الكتاب ج2 ص58

[5] المراد بالأبناء في الآية : الأطفال عند أكثر المفسرين، انظر تفسير الفخر الرازي ج1ص431، واللباب في علوم الكتاب ج2 ص59 .

[6] انظر تفسير الفخر الرازي ج1 ص431، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ج1 ص283

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

ثم يأتي القرآن بكلمتين متتابعتين (وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ) لتكتمل بذلك صورة البلاء العظيم الذي تعرض له بنو إسرائيل، وبيان ذلك على النحو التالي:

ذكر السياق القرآني قتل الذكور من الأولاد واستخدم لذلك كلمتي (يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) فكان القياس أن يقول في التعبير عن إبقاء الإناث حيات: (ويستحيون بناتكم) ولكن القرآن المعجز عدل عن هذه الكلمة - بناتكم - إلى كلمة نساءكم، مما أوقع بعض المفسرين في الخطأ عندما فسر قوله تعالى: (يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) بقولهم: المقصود بالأبناء الرجال ليطابق النساء في قوله تعالى: (وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ) وانبرى آخرون ليردوا هذا القول قائلين: وإنما لم يقل البنات في مقابلة الأبناء لأنهن لما لم يقتلن كن بصدد أن يبلغن، فحسن إطلاق اسم النساء عليهن مثل (إني أراني أعصر خمراً)[1].

وليس الأمر كذلك من وجهة نظر الباحث، فكل كلمة في القرآن مقصودة لذاتها، وكلمة النساء هنا مقصودة لذاتها، ولها إيحاؤها الخاص الذي ينسجم مع السياق في التعبير عن لون من ألوان العذاب لا يقل في خطورته عن ذبح الأطفال، والذي لا يمكن لأي كلمة أخرى أن تؤديه، وبيان ذلك على النحو التالي:

- إن سياق الآية الكريمة من قول الله - ﷻ -، لبيان نعمته على بني إسرائيل، والله - ﷻ - لا يمتن على عباده بذكر النعم الصغيرة، ودليل ذلك قوله - تعالى - ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ** ﴾{إبراهيم6}، فالملاحظ على هذه الآية أن موسى - عليه السلام - غاير بين سوء العذاب وتذبيح الأبناء واستحياء النساء باستخدام حرف العطف الواو في قوله (**وَيُذَبِّحُونَ**)، " والمعنى أنهم يعذبونهم بغير التذبيح وبالتذبيح أيضاً فقوله وَيُذَبِّحُونَ نوع آخر من العذاب لا أنه تفسير لما قبله "[2].

يقول الإمام البيضاوي - رحمه الله -: " والمراد بالعذاب ها هنا غير المراد به في سورة البقرة والأعراف، لأنه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة، ومعطوف عليه التذبيح ها هنا، وهو إما جنس العذاب، أو استعبادهم، أو استعمالهم بالأعمال الشاقة "[3]، فموسى - عليه السلام - يُذكر قومه بنعمة الله عليهم إذ أنجاهم من عذاب فرعون فذكر جميع أنواع العذاب صغيرها

---

[1] انظر تفسير الفخر الرازي ج1ص431، الجامع لأحكام القرآن ج1ص385، اللباب في علوم الكتاب ج2 ص59-60، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ج1 ص283

[2] مفاتيح الغيب ج19 ص67، وانظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان ج1 ص284، اللباب في علوم الكتاب ج2 ص58

[3] تفسير البيضاوي ج1 ص338

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وكبيرها بقوله: (يَسُومُونَكُمْ سُـــوءَ الْعَذَابِ) ثم عطف عليه التذبيح والاستحياء، أما الآيــة موضوع البحث فلم يذكر فيها حرف العطف الواو، وذلك لأنها من قــول الله - ﷻ -، والله - سبحانه وتعالى - لا يمتن على عباده بذكر النعم الصغيرة كما أسلفنا، فقد جاء قوله تعالى: (يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ) مفسراً لقوله تعالى: (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) أي أن المقصود بسوء العذاب في الآية: ذبح الأبناء واستحياء النساء، وواضح ما في ذبح الأبناء من عِظَمِ العذاب، فكيف يكون استبقاء النساء حيات عذاباً عظيماً ؟

فإن قيل العذاب في بقائهن علي قيد الحياة للخدمة، قال الباحث إن كان الأمــر كــذلك فلفــظ البنات يؤدي الغرض ويطابق الأبناء فيكون الأنسب في هذا الموضع، وَجَلَّ في عُلَاه أن يترك الأنسب والأفضل للمفضول في كلامه المعجز المتحدى به .

إذن لماذا عدل الحق تبارك وتعالى عن كلمة بناتكم واستخدم بدلا منها كلمة نساءكم؟

والجواب أن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا إلى أن الفكــرة من هذا هو إبــقاء عنــصر الأنوثة يتمتع بهن آل فرعون، لذلك لم يقل: بنات ولكنه قال: نســاء أي أنهم يريدونهن للمتعة وذلك للتنكيل ببني إسرائيل، ولا يقتل رجولة الرجل إلا أن يرى الفاحشة تصنع في نسائه[1] .

يقول **الشيخ محمد الطاهر بن عاشور** رحمه الله:

" والاستحياء استفعال يدل على الطلب للحياة، أي يبقونهن أحياء، أو يطلبون حياتهن، ووجــه ذكره هنا في معرض التذكير بما نالهم من المصائب: أن هذا الاستحياء للإناث كان المقصــد منه خبيثاً، وهو أن يعتدوا على أعراضهن ولا يَجدن بداً من الإجابة بحكم الأسر والاسترقاق، فيكــون قولــه: (ويستحيون نساءكم) كنايــة عن استحياء خاص، ولذلك أُدخل في الإشارة فــي قــوله: (وفــي ذلكم بــلاء مــن ربكــم عظيــم) ولــو كــان المراد من الاستحياء ظاهــره لما كان وجه لعطفه على تلك المصيبة ..... وليس قوله: (ويستحيون) مــستأنفاً لإتمام تفصيل صنيع فرعــون، بل هو من جملة البيان، أو البدل للعذاب، ويــدل لــذلك قوله - تعالى - في الآية الأخرى:﴿ ... **يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ {القصص4} فعقب الفعلين بقوله: (إنه كان من المفسدين) "[2] .

ويقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله:

" قوله - تعالى -: ﴿ **وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَــاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ** ﴾{البقرة49}

---

[1] انظر تفسير الشعراوي ج1 ص328

[2] التحرير والتنوير ج1 ص492-493

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

ظاهر هذه الآية الكريمة يدل على أن استحياء النساء من جملة العذاب الذي كان يسومهم فرعون، وقد جاء في آية أخرى ما يدل على أن الإناث هبة من هبات الله لمن أعطاهن له وهي قوله تعالى: ﴿ **يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ** ﴾{الشورى49} فبقاء بعض الأولاد على هذا خير من موتهم كلهم كما قال الهذلي:

حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا خراش وبعض الشر أهون من بعض[1]

والجواب عن هذا أن الإناث وإن كن هبة من الله لمن أعطاهن له فبقاؤهن تحت يد العدو يفعل بهن ما يشاء من الفاحشة والعار ويستخدمهن في الأعمال الشاقة نوع من العذاب، وموتهن راحة من هذا العذاب وقد كان العرب يتمنون موت الإناث خوفا من مثل هذا "[2]

روى الطبري - رحمه الله -: "عن ابن عباس قال: تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم خليله - أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكا - وائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالاً منهم يحملون الشفار، يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه ففعلوا فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم، وأن الصغار يذبحون، قال: توشكون أن تفنوا بني إسرائيل، فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة ما كانوا يكفونكم! فاقتلوا عاما كل مولود ذكر، فتقل أبناؤهم، ودعوا عاما، فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان، فولدته علانية آمنة، حتى إذا كان القابل حملت بموسى"[3].ثم يأتي ختام الآية ليلقي بظلاله على المشهد الذي صورته الآية (...**وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**) فالتنكير في كلمتي بلاء وعظيم للتفخيم[4]، أي أن ما أصاب القوم من الطاغية فرعون وآله كان أمراً فظيعاً مهولاً، وبالتالي كانت نعمة الإنجاء من ذلك العذاب نعمة كبرى

---

[1] البيت لأبي خراش الهذلي: الكامل في اللغة والأدب لمحمد بن يزيد المبرد، أبي العباس ج2 ص135، وانظر زهر الأداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني ج2 ص138، لباب الآداب لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ج1 ص138

[2] دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ج1 ص6 ترقيم الشاملة

[3] انظر تفسير الطبري ج2 ص42، وموسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور لحكمت بن بشير بن ياسين .

ج1 ص157، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي ج1 ص260، واللباب في علوم الكتاب ج2 ص60

[4] تفسير الألوسي ج1ص308

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

النموذج الثاني:

قطع أيدي المخالفين وأرجلهم من خلاف وصلبهم في جذوع النخل:

تحدثنا في النموذج السابق عن بطش الطاغية بالأطفال عن طريق الذبح، والنساء بالامتهان والذلة وهتك الأعراض، وفي هذا المبحث نعرض لصورة من صور بطش الطغاة بمن يرفض الانقياد لهم، ويتحرر من استعبادهم، يقول المولى - ﷻ -:

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ۞ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ۞ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ۞ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ۞ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ۞ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى ۞ قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ۞ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ۞ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ۞ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ۞ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ۞ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ۞ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ۞ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ۞ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۞ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۞ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۞ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾{طه57-76}

هذه الآيات تصور لنا مشهد المباراة بين الحق والباطل، الحق المتمثل بدعوة موسى وهارون عليهما السلام، والباطل المتمثل بفرعون وملئه، بين الحق المؤيد بالمعجزة، وبين الباطل الذي يتسلح بالسحر، بين القلة المؤمنة من ورائها العزيز الجبار، وبين الكثرة الكافرة من ورائها الطغيان، ونتيجة المباراة محسومة سلفاً لصالح الحق، يدرك ذلك كل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وذلك لأن الحق قويٌ بذاته، والباطل يحمل بذور الهزيمة في طياته، ولكن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

هل يرضى الطاغية بالنتيجة؟ وهل يستسلم للهزيمة؟ وهل يعترف بالحق وينضوي تحت لوائه؟

والإجابة من خلال السياق واضحة، فبعد أن رأى الطاغية بأم عينيه دليل صدق موسى - عليه السلام - متمثلاً بهزيمة السحرة، وسجودهم لله رب العالمين، وسمع بأذنيه هتافهم: (آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى)، أخذ يَتَهَدَّد ويتوعد، ويقسم أن يُنْزِلَ بالسحرة أشد العذاب، واختار لذلك كلمات قليلة، حمَّلها أقسى ما تفتق عنه ذهنه من ألوان العذاب، فكانت هي بحد ذاتها عذاباً تتخلع له القلوب قبل أن يقع العذاب حقيقة، فقال عليه لعائن الله: (فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى) هذه هي الكلمات التي أراد لها فرعون أن تعبر عما ثار في صدره من براكين الغضب، وهي ذات الكلمات التي أراد لها أن تلامس آذان السحرة، ومن خلفهم الجماهير التي قد تتأثر بهم، فتلقي في قلوبهم الرعب بما تحمله حروفها من حمم العذاب، والذي تذوب من هوله الصخور الصلدة الصماء، ويرى الباحث أن فهم ما تناولته هذه الكلمات من ألوان العذاب يقتضي الوقوف على أمرين:

الأول الجو النفسي الذي كان يعيشه الطاغية عندما نطق بهذه الكلمات.

والثاني الحد الذي أراد أن يبلغه الطاغية بهذا العذاب .

إن إدراك هذين الأمرين يحدد لنا الإطار العام لصور العذاب الذي طال السحرة، ومن ثم نقف مع الألفاظ لنتبين تفاصيل هذه الصور، ومن مجموع الأمرين تصبح صور العذاب ماثلة أمامنا كأننا نراها رأي العين .

أولاً الجو النفسي الذي كان يعيشه الطاغية عندما نطق بهذه الكلمات:

لقد جُنَّ جنون الطاغية عندما سمع هتاف (آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) وذلك أن هذا الهتاف صدر من السحرة - والذين يمثلون في هذا الموقف كيدَ فرعون كُلَ كيده، (فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى) - في مواجهة موسى - عليه السلام - وبجملة أخرى، إيمان السحرة يعني انهيار كل السدود التي أقامها فرعون من أجل الحفاظ على عرشه في وجه طوفان الحق الذي جاء به موسى - عليه السلام - وبذلك فقد العرش أهم الدعائم التي كان يرتكز عليها .

ثمة أمر آخر جدير بلفت الأنظار إليه، وهو أن هذا الهتاف حدث في يوم الزينة وذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ، أي أن هذا الهتاف حدث على مسمع ومرأى الجماهير التي استخفها الطاغوت بدعوى الألوهية، وبذلك سقطت ورقة التوت التي كانت تستر عورة فرعون فلا يرى الناس فيه إلا صورة الإله المعبود المطاع؛ فها هو الآن يتحطم كبرياؤه

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

ويتجرع مرارة الهزيمة على يد رجلين أعزلين يفترض أنهما من رعاياه، فما الذي يمكن أن يحدث لو انتبهت الجماهير إلى ضعف فرعون ورددت هتاف السحرة وانحنى كل منهم ليلتقط حجراً ويقذف به وجه الطاغية وأعوانه؟!

أدرك فرعون كل هذه الحقائق، وشعر أن عرشه مهدد، وأن طوفان الحق الذي جاء به موسى - عليه السلام - قادم لا محالة، وأن اللقاء الذي اقترحه ليضع فيه حداً لدعوة موسى - عليه السلام - تحول إلى معركة وجود، وإلى صراع حياة أو موت .

هذا هو الجو النفسي الذي كان يحياه الطاغية، وهذه هي النفسية التي وقفت خلف ذلك التهديد، نفسية من تحطم كبرياؤه فهو كالحيوان المفترس الجريح الذي لا تزيده رؤية الدم إلا هيجاناً، نفسية من يدرك أنه يخوض صراع حياة أو موت، الخطأ فيه غير مقبول، والضربة فيه يجب أن تكون في غاية القوة لتكون قاضية وحاسمة .

ثانياً الحد الذي أراد أن يبلغه الطاغية بهذا العذاب:

إذاً أرادها الطاغية معركة حياة أو موت، وأراد لضربته أن تكون حاسمة قاصمة، لتجتث جذور المعارضين، وترهب من تسول له نفسه أن يحذوا حذوهم أو يقتفي أثرهم، إذاً ليتفنن في ابتكار ألوان العذاب التي تكون في شدتها وقسوتها وفظاعتها أعظم من ذلك العذاب الذي هدد به موسى - عليه السلام - السحرة حين قال لهم (وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ) وكان ذلك سبباً في إيمان السحرة من وجهة نظر فرعون، إذاً ليروا من عذاب فرعون ما تشيب لهوله الولدان، ليعلموا أي الفريقين أشد عذاباً؛ فرعون أم إله موسى - عليه السلام - ؟ (وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى) .

هذا هو الحد الذي أراد فرعون لعذابه أن يبلغه، أن يفوق في شدته وقسوته وفظاعته عذاب الله - عز وجل - .

يقول ابن عاشور رحمه الله:

" أيّنا: استفهام عن مشتركيْن في شدّة التعذيب،..... وأراد بالمشتركين نفسَه وربّ موسى سبحانه، لأنه علم من قولهم (آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) أن الذي حملهم على الإيمان به، ما قدم لهم موسى من الموعظة حين قال لهم بمسمع من فرعون: (وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ)، أي وستجدون عذابي أشد من العذاب الذي حُذِّرْتُمُوه، وهذا من غروره، ويدل على أن ذلك مراد فرعون: ما قابل به المؤمنون قوله (أينا أشدّ عذاباً وأبقى) بقولهم: (والله خير وأبقى)، أي خير منك وأبقى عملاً من عملك، فثوابه خير من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

رضاك وعذابه أشد من عذابك"[1]، فإذا تقرر ذلك، فللذهن أن يتخيل بعد ذلك ماهية هذا العذاب - والذي أراد الطاغية من خلاله أن يُظْهِر أن عذابه يفوق في هوله وشدته وفظاعته عذاب الله - ﷻ- وكأن ألفاظ الآية تقول لنا أن فرعون إمام الطغاة، ومعلم فنون الإجرام، استخرج أشد ما في جعبته من فنون العذاب، ليتفوق في هذا المجال - مجال التعذيب - على الله - ﷻ -، فما هو هذا العذاب الذي تفنن فرعون في ابتكاره[2]يا ترى؟

الجواب في هذه الكلمات (فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى)

فما الذي تحمله هذه الكلمات من فنون التعذيب؟

أولاً قوله: (فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ) وذلك أن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى، أو يقطع يده اليسرى ورجله اليمنى، فيخالف بين العضوين في القَطْع[3]، ومن ابتدائية كأن القطع ابتداء من مخالفة العضو العضو[4]، وفي ذلك من العذاب: " أن التقطيع من خلاف لا يميت فوراً، وهذا بعكس التقطيع عن جهة واحدة إذ أنه يميت فوراً، والسبب في ذلك: أن التقطيع من خلاف يبقي المرء بنصف نصفه العلوي، ونصف نصفه السفلي المخالف له، وبهذا الخلاف تتم الحركة الدموية ويظل القلب عاملاً بشريان واحد من شرياني الحياة، وكأن فرعون عليه لعائن الله استكثر الموت السريع على السحرة ورأى فيه راحة لهم، فأراد أن يطول عذابهم، وان يعانوا الموت البطيء، لذلك أتبع التقطيعَ بالصلب، ليظل المصلوب زماناً يعاني آلام وسكرات الموت "[5] .

---

[1] التحرير والتنوير ج16 ص265، وانظر الجامع لأحكام القرآن ج11 ص224، وتفسير البغوي ج5 ص284، و تفسير الخازن ج4 ص274، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج3 ص361

[2] قال ابن عباس: كان فرعون أول من صلب وقطع الأيدي والأرجل من خلاف ، الرجل اليمنى واليد اليسرى ، واليد اليمنى والرجل اليسرى: جامع البيان في تأويل القرآن ج13 ص34، وتفسير القرآن العظيم ج3 ص459، والجامع لأحكام القرآن ج7 ص261، والكشف والبيان لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ج4 ص270، وتفسير الخازن ج2 ص273، وتفسير الزمخشري ج2 ص490

[3] جامع البيان في تأويل القرآن ج13 ص34، وانظر تفسير الزمخشري ج2 ص490،وتفسير البحر المحيط ج4 ص365

[4] تفسير أبي السعود ج6 ص29، وانظر تفسير البيضاوي ج2 ص52

[5] معالم الصراع الإيماني في قصة موسى ص118بتصرف يسير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وقوله: (وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النخل) أي أعلقنكم ممدودة أيديكم لتصيروا على هيئة الصليب أو حتى يتقاطر صليبكم وهو الدهن الذي فيكم لأجعلكم نكالاً لغيركم "[1] .

والذي يراه الباحث أنه لا مانع من الجمع بين الأمرين بل هو الأنسب للسياق .

والمعروف أن التَّصلْيب يكون على الجذوع؛ لا في الجذوع فلماذا استخدم فرعون في بدل على[2] ؟

والجواب: للدلالة على المبالغة في الصَّلْب تصليباً قوياً، بحيث يدخل المصلوب في المصلوب فيه، فيبدو وكأنه ليس عليه، بل داخل فيه[3] .

يقول عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني:

" الأقرب أن يكون الكلامُ جَارياً على طريقة التَّضْمِين، وهو هنا تضمين فعل: (لأُصَلّبنكم) معنى فعل آخر يتعدّى بحرف الجرّ "في" فعُدِّي تعديته، وأصل الكلام: لأصلبنكم عَلَى جذوع النَّخْل ولأُثَبّتَنَّكُمْ فيها بالْمَسَامِير التي تَدْخُل في الجذوع، فَنَابَتِ التعدية بحرف الجرّ "في" مناب ذكر الفعل الذي حُذِف، وَضُمِّنَ الْفِعْلُ المذكُورُ معناه "[4].

وخص جذوع النخل من بين سائر جذوع الشجر، لأن جذع النخلة هو أخشن جذوع الشجر، والتصليب عليه أشدّ من التصليب على غيره من الجذوع كما هو معروف "[5]

كما أن جذع النخلة يتميز بارتفاعه[6]، والصلب عليه أظهر للعيان، وبذلك يحقق الطاغية نوعين آخرين من العذاب، الأول: أنه يجعل المصلوب محلاً للاعتبار، مُشَاهَداً من قبل الناس وكأنه من المجرمين .

الثاني: إرهاب الناس من الإتيان بما أتى به المصلوب، وفي ذلك إغلاق لباب الإيمان وهذا شديد على النفس المؤمنة، فقد يختار الداعية الموت إن رأى في ذلك سبباً لإيمان قومه كما

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج3 ص85

[2] حاول بعض المفسرين الخروج من هذا الإشكال فقالوا: (في) هنا بمعنى (على) لكن هذا تفسير لا يليق بالأسلوب الأعلى للبيان القرآنيّ:انظر الجامع لأحكام القرآن ج11ص224، الكشف والبيان ج6 ص253، بحر العلوم ج2 ص405، تفسير البغوي ج5 ص284، تفسير الخازن ج4 ص274، زاد المسير في علم التفسير ج5 ص307

[3] انظر تفسير الشعراوي: ج1 ص5719 نقلاً عن الشاملة لأن تفسير الجزء المتعلق بسورة طه غير موجود

[4] البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ج1 ص643

[5] انظر أضواء البيان ج4 ص63

[6] انظر تفسير النسفى ج3 ص55

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

فعل الغلام في قصة الملك والساحر[1] .

كما أن الصلب على جذوع النخل يلقي في روع السامع أن المصلوب سيبقى في هذا الوضع مدة طويلة، إذ لو أراد فرعون التخلص من السحرة بمجرد موتهم لما أمر بصلبهم على جذوع النخل .

" وصيغة التفعيل في الفعلين (لَأُقَطِّعَنَّ) وَ(لَأُصَلِّبَنَّكُمْ) للتكثير "[2] والمبالغة في القطع والصلب .

ثم قال عليه لعائن الله: (وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى) فجمع في العذاب شدته من حيث الكيفية، ودوامه وبقاءه من حيث الزمن[3] .

وهكذا تكتمل صورة مشهد العذاب الذي صورته هذه الكلمات القليلات، وللذهن أن يتخيل هذه الصورة، صورة مجموعة من الناس وقد قطعت أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى، ثم صلبوا علي جذوع النخل وثبتوا عليها بالمسامير، وتركوا معلقين تسيل دماؤهم، ليعانوا من الموت البطيء على مرأى الناس، فلما قَضَوْا تُرِكُوا معلقين حتى تقاطر دهنهم ...

ويبقى بعد ذلك سؤال هل نفذ فرعون وعيده ؟

يقول الشيخ السعدي في الإجابة على هذا السؤال: " وجميع ما أتى من قصص موسى - عليه السلام - مع فرعون يذكر الله فيه إذا أتى على قصة السحرة: أن فرعون توعدهم بالقطع والصلب، ولم يذكر أنه فعل ذلك، ولم يأت في ذلك حديث صحيح، والجزم بوقوعه أو عدمه يتوقف على الدليل والله أعلم بذلك وغيره، ولكن توعده إياهم بذلك مع اقتداره دليل على وقوعه، ولأنه لو لم يقع لذكره الله، ولاتفاق الناقلين على ذلك "[4].

ولهذا القول يميل الباحث، إذ إن سيرة موسى - عليه السلام - ومسيره ببني إسرائيل تدل دلالة قاطعة على أنه لم يكن فيهم من يحمل مثل إيمان السحرة باستثناء موسى وأخيه هارون - عليهما السلام - يدل على ذلك قول موسى - عليه السلام - عندما دعا بني إسرائيل لدخول الأرض المقدسة بعد خروجهم من مصر فرفضوا: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** ﴾{المائدة25}، فلو كان السحرة أحياءً ما حل لهم أن يتخلفوا عن رسول الله موسى - عليه السلام - .

---

[1] سيأتي تفصيل هذه القصة في المبحث التالي إن شاء الله

[2] تفسير أبي السعود ج6 ص29

[3] انظر تفسير الشعراوي: ج1 ص5719 نقلاً عن الشاملة لأن تفسير الجزء المتعلق بسورة طه غير موجود

[4] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج1 ص508

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

"عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: " كَانَتِ السحرة سبعين رجلا أصبحوا سحرة، وأمسوا شهداء "[1].

النموذج الثالث:

حـــرق النـــاس وهـــم أحيـــاء:

ويواصل الطغيان جنونه ويبلغ في ذلك الذروة[2]، حين يعتلي الطغاة عروشـــهم، وقـــد خـــدَّت الأرض من أمامهم أخاديد[3] أجِّجَت فيها النيران حتى تعالت منها ألسنة اللهب[4] تحـــاول عبثـــاً الاقتراب من السماء؛ وجيء بالناس أطفالاً وشيوخاً، نساءً ورجالاً، مرضى وأصحاء، ولكـــن لماذا ؟!

لِيُخَيَّرُوا بين الدخول في دين الطاغية أو الإلقاء في النار والموت حرقاً، فمـــن اختـــار ديـــن الطاغية نجا، ومن أبى ألقي في النار، لا فرق في ذلك بين شيخ كبير وطفل صغير، بين سقيم وصحيح، بين رجل وامرأة، فالنار لا تفرق وكذلك أنظمة الطواغيت .

" ويرفض المؤمنون أصحاب القلوب الخيرة الرفيعة الكريمة أن تهزم عقيـــدتهم، ويفـــضلون الإلقاء في النار، ويجلس الطغاة أصحاب الجِبِلَّات الجاحدة الشريرة المجرمة اللئيمة يـــشهدون كيف يتعذب المؤمنون ويتألمون؛ جلسوا يتلهون بمنظر الحياة تأكلها النار، والأناســـي الكـــرام يتحولون وقوداً وتراباً، وكلما ألقي فتىً أو فتاة، صبيةٌ أو عجوز، طفلٌ أو شيخ من المـــؤمنين الخيرين الكرام في النار، ارتفعت النشوة الخسيسة في نفوس الطغاة، وعربد السعار المجنـــون بالدماء والأشلاء!

هذا هو الحادث البشع الذي انتكست فيه جِبِلَّات الطغاة وارتكست في هذه الحمأة فراحت تَلْتَـــذُ مشهد التعذيب المروع العنيف، بهذه الخساسة التي لم يرتكس فيها وحش قط، فالوحش يفترس ليقتات، لا لِيَلْتَذَّ بآلام الفريسة في لؤم وخسة!"[5]

كل ذلك يحدث بأمر الطغاة وعلى مرأىً ومسمعٍ منهم، وكلما ارتفع صراخ المحَـــرَّقين فـــي النار تعالت ضحكاتهم، وكلما تطايرت في الهواء رائحة اللحـــم البـــشري المـــشوي ازدادت

---

[1] تفسير القرآن العظيم ج5 ص305،وانظر اللباب في علوم الكتـــاب ج13 ص321، وتفـــسير النـــسفي ج3 ص150، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيـــزج2 ص440، تفـــسير الزمخـــشري ج4 ص392، زاد المسير في علم التفسير ج3 ص241، البحر المديدج5 ص249

[2] الذُّرْوَةُ: بالكسر والضمّ من كلّ شيء أعلاه، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ج1 ص208

[3] والخَدُّ: الشَّقّ، والأخاديد: الشُّقوق في الأرض، معجم مقاييس اللغة ج2 ص149

[4] انظر البحر المديد ج 8 ص423، تفسير البيضاوي ج1 ص473، تفسير النـــسفى ج4 ص266، تفـــسير السراج المنير ج4 ص374

[5] معالم في الطريق ص174 بتصرف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

نشوتهم، وكأن سعادتهم في شقاء الآخرين، وكأن لذتهم في آلام الآخرين، وكأن راحتهم في تعذيب الآخرين .

في أولئك الضحايا المؤمنين، وفى السفاحين من أصحاب الأخدود، نزلت آيات البروج:

﴿ **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۞ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۞ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۞ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۞ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۞ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۞ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۞ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۞ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۞ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ** ﴾{البروج1-11}

يقول سيد قطب - رحمه الله -:

وتلتقي السماء ذات البروج، واليوم الموعود، وشاهد ومشهود، تلتقي جميعاً في إلقاء ظلال الاهتمام والاحتفال والاحتشاد والضخامة على الجو الذي يعرض فيه بعد ذلك حادث الأخدود، فالحادث جلل والأمر جد خطير، ولذلك جاء القسم من الله - ﷻ - على هذا النحو لتهيئة النفس البشرية وتحفيزها لتلقي ما سيلقى عليها من نبأ عظيم، وتبدأ الإشارة إلى الحادث بإعلان النقمة على أصحاب الأخدود: (قتل أصحاب الأخدود) وهي كلمة تدل على الغضب، غضب الجبار على الفِعْلة وفاعليها، كما تدل على شناعة الذنب الذي يثير غضب الحليم، ونقمته، ووعيده بالقتل لفاعليه ..... قتل أصحاب الأخدود، واستحقوا هذه النقمة وهذا الغضب، في الحالة التي كانوا عليها وهم يرتكبون ذلك الإثم، ويزاولون تلك الجريمة: (إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) وهو تعبير يصور موقفهم ومشهدهم، وهم يوقدون النار، ويلقون بالمؤمنين والمؤمنات فيها وهم قعود على النار، قريبون من عملية التعذيب البشعة، يشاهدون أطوار التعذيب، وفعل النار في الأجسام في لذة وسعار، كأنما يثبتون في حسهم هذا المشهد البشع الشنيع![1] .

وقد اختلف المفسرون في أصحاب الأخدود إلى عدة أقوال نذكر أهمها:

- عن صهيب قال: قال رسول الله - ﷺ -: (كان فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مَلِكٌ، وَكَانَ لَهُ ساحِرٌ، فَأَتَى السَّاحِرُ الْمَلِكَ فَقَالَ: قَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَدَنَا أَجَلِي، فَادْفَعْ لِي غُلامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، قال: فَدَفَعَ إِلَيْهِ غُلامًا يُعَلِّمُهُ السِّحْرَ، قَالَ: فَكَانَ الغُلامُ يَخْتَلِفُ إِلى السَّاحِرِ، وكَانَ بَيْنَ السَّاحِرِ وَبَيْنَ المَلِكِ رَاهِبٌ، قال: فَكَانَ الغُلامُ إِذَا مَرَّ بالرَّاهِبِ قَعَدَ إِلَيْهِ فَسَمِعَ مِنْ كَلامِهِ، فَأُعْجِبَ

[1] انظر في ظلال القرآن ج6 ص3873

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

بِكَلامِهِ، فَكَانَ الغُلامُ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ وَقَالَ: مَا حَبَسَكَ؟ وَإِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَعَدَ عِنْدَ الرَّاهِبِ يَسْمَعُ كَلامَهُ، فَإِذَا رَجَعَ إِلى أَهْلِهِ ضَرَبُوهُ وَقَالُوا: مَا حَبَسَكَ؟ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: إِذَا قَالَ لَكَ السَّاحِرُ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا قَالَ أَهْلُكَ: مَا حَبَسَكَ؟ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ مَرَّ فِي طَرِيقٍ وَإِذَا دَابَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي الطَّرِيقِ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ لا تَدَعُهُمْ يَجُوزُونَ، فَقَالَ الْغُلامُ: الآنَ أَعْلَمُ: أَمْرُ السَّاحِرِ أَرْضَى عِنْدَ اللهِ أَمْ أَمْرُ الرَّاهِبِ؟ قَالَ: فَأَخَذَ حَجَرًا، قَالَ: فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فَإِنِّي أَرْمِي بِحَجَرِي هَذَا فَيَقْتُلُهُ وَيَمُرُّ النَّاسُ، قَالَ: فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَجَازَ النَّاسُ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّاهِبَ، قَالَ: وَأَتَاهُ الْغُلامُ فَقَالَ الرَّاهِبُ لِلْغُلامِ: إِنَّكَ خَيْرٌ مِنِّي، وَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلا تَدُلَّنَّ عَلَيَّ؛ قَالَ: وَكَانَ الْغُلامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ[1] وَالأَبْرَصَ وَسَائِرَ الأَدْوَاءِ، وَكَانَ لِلْمَلِكِ جَلِيسٌ، قَالَ: فَعَمِيَ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَاهُنَا غُلامًا يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَسَائِرَ الأَدْوَاءِ فَلَوْ أَتَيْتَهُ؟ قَالَ: فَاتَّخَذَ لَهُ هَدَايا؛ قَالَ: ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: يَا غُلامُ، إِنْ أَبْرَأْتَنِي فَهَذِهِ الهَدَايَا كُلُّهَا لَكَ، فَقَالَ: مَا أَنَا بِطَبِيبٍ يشْفِيكَ، وَلَكِنَّ اللهَ يَشْفِي، فَإِذَا آمَنْتَ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يَشْفِيَكَ، قَالَ: " فَآمَنَ الأَعْمَى، فَدَعَا اللهَ فَشَفَاهُ، فَقَعَدَ الأَعْمَى إِلَى الْمَلِكِ كَمَا كَانَ يَقْعُدُ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: أَلَيْسَ كُنْتَ أَعْمَى؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَنْ شَفَاكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: نَعَمْ رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، قَالَ: فَأَخَذَه بِالْعَذَابِ فَقَالَ: لَتَدُلَّنِي عَلَى مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا، قَالَ: فَدَلَّ عَلَى الغلامِ، فَدَعَا الغُلامَ فَقَالَ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، قَالَ: فَأَبَى الْغُلامُ؛ قَالَ: فَأَخَذَهُ بِالْعَذَابِ، قَالَ: فَدَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَأَخَذَ الرَّاهِبَ فَقَالَ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، قَالَ: فَوَضَعَ المِنْشَارَ عَلَى هَامَتِهِ[2] فَشَقَّهُ حَتَّى بَلَغَ الأَرْضَ، قَالَ: وَأَخَذَ الأَعْمَى فَقَالَ: لَتَرْجِعَنَّ أَوْ لأَقْتُلَنَّكَ، قَالَ: فَأَبَى الأَعْمَى، فَوَضَعَ المِنْشَارَ عَلَى هَامَتِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى بَلَغَ الأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ لِلْغُلامِ: لَتَرْجِعَنَّ أَوْ لأَقْتُلَنَّكَ، قَالَ: فَأَبَى، قَالَ: فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ حَتَّى تَبْلُغُوا بِهِ ذِرْوَةَ الْجَبَلِ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلا فَدَهْدِهُوهُ[3]، فَلَمَّا بَلَغُوا بِه ذِرْوَةَ الْجَبَلِ فَوَقَعُوا فَمَاتُوا كُلُّهُمْ، وَجَاءَ الغُلامُ يَتَلَمَّسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ: أَيْنَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ. قَالَ : فَاذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ[4] فَتَوَسَّطُوا بِهِ البَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلا فَغَرِّقُوهُ، قال: فَذَهَبُوا بِهِ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ قَالَ الْغُلامُ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ، وَجَاءَ الغُلامُ يَتَلَمَّسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ،

---

[1] كمه:الكاف والميم والهاء كلمةٌ واحدة، وهو الكَمَه، وهو العَمَى يُولَدُ به الإنسان، وقد يكون من عَرَض يَعرِضُ، معجم مقاييس اللغة ج5 ص136

[2] الهامَةُ: الرَّأْس، والجمع هامٌ وهامات، معجم مقاييس اللغة ج6 ص27

[3] دهده الحجر دحرجه، المعجم الوسيط ج1ص299

[4] القُرْقُور: السفينة الطويلة العظيمة يجمع على قراقير انظر المعجم الوسيط ج2 ص729

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

فَقَــالَ المَلِكُ: أَيْنَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: دَعَوْتُ اللهَ فَكَفَانِيهِمْ، قَالَ: لأَقْتُلَنَّكَ، قَالَ: مَا أَنْتَ بِقَاتِلِي حَتّى تَصْنَــعَ مَا آمُــرُكَ، قَــالَ: فَقَالَ الْغُلامُ لِلْمَلِكِ: اجْمَعِ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ[1] وَاحِدٍ، ثُمَّ اصْلُبْنِي، ثُمَّ خُــذْ سَهْمًا مِــنْ كِنَانَتِي فَارْمِنِي وَقُــلْ: باسْمِ رَبِّ الْغُلامِ فَإِنَّكَ سَتَقْتُلُنِي، قَالَ: فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيــدٍ وَاحِــدٍ، قَــالَ: وَصَلَبَهُ وَأَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَوَضَعَهُ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ رَمَى، فَقَالَ: باسْــمِ رَبِّ الغُــلامِ، فَوَقَــعَ السَّهْــمُ فِــي صُدْغِ الْغُلامِ، فَوَضَعَ يَدَهُ هَكَذَا عَلَى صُدْغِهِ وَمَاتَ الْغُلامُ، فَقَــالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ، فَقَالُوا لِلْمَلِكِ: مَا صَنَعْتَ، الَّذِي كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَقَعَ، قَدْ آمَــنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِأَفْوَاهِ السِّكَكِ فَأُخِذَتْ، وَخَدَّ الأُخْدُودَ وضَرَّمَ فِيهِ النِّيرَانَ، وَأَخَذَهُمْ وَقَالَ: إِنْ رَجَعُــوا وَإِلا فَأَلْقُــوهُمْ فِــي النَّــارِ، قَــالَ: فَكَانُــوا يُلْقُونَهُــمْ فِي النَّارِ، قَالَ: فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَــا صَبِــيٌّ لَهَــا، قَالَ: فَلَمَّا ذَهَبَتْ تَقْتَحِمُ وَجَدَتْ حَرَّ النَّارِ، فَنَكَصَتْ، قَالَ: فَقَالَ لَهَا صَبِيُّهَا يَا أُمَّاهُ امْضِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ، فَاقْتَحَمَتْ فِي النَّارِ[2]"[3].

- عن عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه -: أنهم كانوا أهل كتاب – يقصد المجــوس -، وقــد كانت الخمــر أُحلَّــت لهم، فشربها ملك من ملوكهم حتى ثمل منها، فتناول أخته فوقــع عليهــــا، فلمــا ذهــب عنــه السكــر قال لها: ويحك، فما المخرج مما ابتليتُ به ؟ فقالت: اخطــب الناس، فقــل: يأُيها الناس إن الله قد أحــلّ نكاح الأخوات، فقام خطيبًا، فقال: يأيُّهــا الناس إن الله قــــد أحلّ نكاح الأخوات، فقال الناس: إنا نبرأ إلى الله من هذا القول، ما أتانــا به نبــيٌّ، ولا وجدنــاه فــي كتــاب اللــه، فرجــع إليهــا نادمًــا، فقــال لها: ويحــك، إن النــاس قد أبوا عليّ أن يقــرّوا بذلــك، فقالت: ابسط عليهم السِّياط، ففعل، فبــسـط علــيهم السياط، فأبَوا أن يقرّوا، فرجع إليها نادمًــا، فقال: إنهم أبوا أن يقرّوا، فقالت: أخطبهــم، فإن أبوا فجرّد فيهم السيف، ففعل، فأبى عليـــــه الناس، فقال لها: قد أبى عليّ الناس، فقالت: خدّ لهــم الأخدود، ثم اعرض عليهــا أهــل مملكتك، فمــن أقرّ، وإلا فاقذفه في النار، ففعل، ثم عرض عليها أهل مملكته، فمــن لم يقرّ منهم قذفه في النار، فأنزل الله فيهم: (قُتِلَ أَصْــحَابُ الأُخْــدُودِ النَّــارِ ذَاتِ الْوَقُــودِ) إلــى(أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنَّ الَّذِيــنَ فَتَنُــوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) حرّقوهم (ثُمَّ لَمْ

---

[1] الصَّعِيدُ: الطريقُ يكون واسعاً وضَيِّقاً والصَّعيدُ الموضعُ العريضُ الواسعُ، لسان العرب

[2] انظر صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق باب قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُــلَامِ،ح3005 وذكره النسائي في سننه الكبرى تفسير سورة البروج ج6ص510،511

[3] تفسير الطبري ج24 ص337-340، وانظر زاد المسير في علم التفسير ج9 ص74، وتفسير الزمخشري ج6 ص347، والبحر المديد ج8 ص422، و الجامع لأحكام القرآن ج19 ص287، والكشف والبيــان ج10 ص168، واللباب في علوم الكتاب ج20 ص248

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) فلم يزالوا منذ ذلك يستحلون نكاح الأخوات والبنات والأمهات "[1].

وللمفسرين في أصحاب الأخدود أقوال أخري غير تلك التي ذكرناها، وفي رأي الباحث أن الاختلاف في تحديد زمان ومكان هذه الواقعة ناشئ عن تعدد الواقعة واختلاف زمانها ومكانها، ولعل هذا التعدد والاختلاف في الزمان والمكان هو سر الإبهام في قوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) وذلك ليشمل كل من فعل هذا الفعل في كل زمان ومكان.

وإذا كانت سورة البروج قد أشارت إلى إحدى الكيفيات التي يُحَرِّق بها الطغاة معارضيهم، فقد أشارت سورة الصافات إلى كيفية أخرى، يقول المولى - ﷻ -:﴿ **وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۞ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ۞ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۞ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۞ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۞ فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۞ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ۞ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ۞ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ۞ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۞ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۞ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ** ﴾{الصافات93-98}

" قيل إنهم بنوا له حائطاً من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وملؤوه من الحطب وأوقدوا عليه النار وطرحوه فيها "[2]

وهذا الذي ذكره الباحث مجرد أمثلة ونماذج ذكرها القرآن الكريم أو أشارت إليها السنة النبوية الشريفة، ما زال الطغاة يستخدمونها بعد أن طوروها واستحدثوا أدواتها لتصبح أكثر فتكاً وأشد إيلاما، وأوسع دماراً وخراباً .

والخلاصة أن الطغاة لا يتورعون ولا يترددون في ارتكاب أشد الفظائع وأقبح المنكرات لتحقيق غاياتهم، غير مكترثين بحياة الإنسان رجلاً كان أو امرأة، طفلاً صغيراً أو شيخاً كبيراً فقانونهم في الحياة الغاية تبرر الوسيلة .

---

[1] تفسير الطبري ج24 ص337، وانظر زاد المسير في علم التفسير ج9 ص74-75، وتفسير الزمخشري ج6 ص348، والجامع لأحكام القرآن ج19 ص290

[2] تفسير الخازن ج6 ص25، معالم التنزيل ج7 ص45، وانظر الجامع لأحكام القرآن ج15 ص97

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المطلب الثاني نهاية الطغاة:

جرت سنة الله - ﷻ - في خلقه أنه ما من شيء في هذه الحياة يبلغ تمامه إلا أتى عليه النقصان يقول المولى - ﷻ -:﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾{يونس24}

يقول الشيخ السعدي: " وهذا المثل من أحسن الأمثلة، وهو مطابق لحالة الدنيا، فإن لذاتها وشهواتها وجاهها ونحو ذلك يزهو[1] لصاحبه إن زها وقتًا قصيرًا، فإذا استكمل وتم اضمحل[2]، وزال عن صاحبه، أو زال صاحبه عنه، فأصبح صفر اليدين منها، ممتلئ القلب من همها وحزنها وحسرتها "[3].

وكذلك الأمر بالنسبة للطغاة فلكل طاغية مهما استعلى وطغى وبغى نهاية، فالطغاة قد تخدعهم قوتهم وسطوتهم المادية، فينسون قوة الله وجبروته، ولكن الله - ﷻ - لهم بالمرصاد ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۞ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۞ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۞ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۞ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ** ﴾{الفجر6-14}

" فالله راصد لهم ومسجل لأعمالهم، فلما أن كثر الفساد وزاد صب عليهم سوط عذاب، وهو تعبير يوحي بلذع العذاب حين يذكر السوط، وبفيضه وغمره حين يذكر الصب، حيث يجتمع الألم اللاذع والغمرة الطاغية، على الطغاة الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد .

فالله - ﷻ - للشر والفساد والطغيان بالمرصاد، لا يغفل ولا ينام، راصد لا يفوته شيء، مراقب لا يند عنه شيء "[4] .

" ففي الظاهر أن الباطل هو الذي يطارد الحق، ولكن الحقيقة تخالف ذلك، والدليل يكمن في نتيجة المطاردة، من انتصر على من؟ إن الباطل مهما طالت أيامه، وكثر جنده، واشتد ساعده، محارب، والذي يحاربه هو الله، ولا بقاء لشيء يحاربه الله ﴿ **بل نقذف بالحق على**

---

[1] (الزَّهو) المنظر الحسَن: مقاييس اللغة ج3 ص30

[2] اضْمَحَلَّ الشيء (اضمِحَلالا) ذَهَبَ و فَنِي:المصباح المنيرج2 ص358

[3] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج1 ص361

[4] انظر في ظلال القرآن ج6 ص3904

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾{الأنبياء18} إن الباطل طارئ لا أصالة فيه، أما الحق فهو أصيل في الوجود، والحق لا يخفى بأي وجه وعلى أي تقدير وهو من أبده البديهيات، وليس في الوجود أي محبوب أو مطلوب أعز وأشرف وأغلى من الحق، لهذا فالحق هو الذي يطارد الباطل، ودائما وأبدا تكون نهاية هذه المطاردة أن الحق هو المنتصر في الدنيا ظاهرا وباطنا، لقد كان كفار قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب وفرعون وقومه في خندق الباطل، فماذا كانت عاقبة المفسدين الذين ملئوا القلوب رعبا، والنفوس دهشة، وخربوا الديار، ونهبوا الأموال، وسفكوا الدماء، وأفنوا الجموع، واستعبدوا العباد وأذلوا الرقاب؟! لقد مهلهم الله في عتوهم واعتدائهم، حتى إذا بلغوا أوج قدرتهم، واستووا على أريكة شوكتهم وغرتهم الدنيا بزينتها، واجتذبتهم الشهوات إلى خلاعتها، واشتغلوا بملاهي الحياة والعيش، واتخذوا إلههم هواهم، جاءتهم الضربة القاصمة، فلم يبق منهم إلا أسماء إن لم تنس، ولم يتبق من هيمنتهم إلا أحاديث!"[1] يقول الله - ﷻ -: ﴿ **وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ۞ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ۞ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾{العنكبوت38-40}

" هؤلاء الذين ملكوا القوة والمال وأسباب البقاء والغلبة، قد أخذهم الله جميعاً، بعد ما فتنوا الناس وآذوهم طويلاً:

فعاد أخذهم حاصب: وهو الريح الصرصر[2] التي تتطاير معها حصباء الأرض فتضربهم وتقتلهم، وثمود أخذتهم الصيحة، وقارون خسف به وبداره الأرض، وفرعون وهامان غرقا في اليم، وذهبوا جميعاً مأخوذين بظلمهم، (وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)"[3]

هذه هي النتيجة المنطقية لطغيان الطاغية وأعوانه، وفساد البيئة التي يعيشون فيها معا، الهلاك المحقق، فما من طاغية إلا ووصل بجماعته إلى الهاوية فضاع وضاعوا معه ﴿ **فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۞ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ**

---

[1] الانحرافات الكبرى ص 190 بتصرف يسير

[2] الصرصر: شديدة البرد، أو شديدة الصوت، انظر تاج العروس ج12 ص302

[3] في ظلال القرآن ج5 ص 2735-2736

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾{هود97-98} ﴿ **فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ** ﴾{القصص40} .

والهلاك ليس فقط في الآخرة وإنما يسبقه هلاك في الدنيا، وهلاك منظومة الطغيان ليس قائماً فقط علي اعتبارات منطقية وعقلية، وإنما هو سنة قرآنية وقانون حياة، قانون حياة لأن الطغيان يسير ضد تيار الحياة الإنسانية، وهو تشويه للفطرة، لفطرة الطاغية ولفطرة من وقع عليهم الطغيان، ولذلك فلا يمكن أن يستمر طالما قُدِّر للحياة أن تستمر وتنمو وتتطور، فالطاغية مثل أي ميكروب أو فيروس يدخل الخلية ويوجه نشاطها لخدمته، وفى حالة عجز الخلية عن اكتشافه ومقاومته بجهاز المناعة لديها فإن المآل الحتمي هو ضد قانون تطور الحياة ونموها.

وهو سنة قرآنية لأن الله - ﷻ - ذكر لنا مصارع الطغاة وأعوانهم في الأمم الغابرة، وجعلهم سلفاً ومثلاً لمن يأتي بعدهم ﴿ **فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ** ﴾{الزخرف56} "جعلناهم متقدمين في الهلاك"[1]، "ليعتبر بهم المعتبرون، ويتعظ بأحوالهم المتعظون "[2].

والحديث في القرآن عن نهاية الطغاة يطول، ولكن ليس من الحكمة لأي باحث يتناول هذه المسألة أن يتجاهل النهاية لإمام الطغاة وداعيتهم الأول إلى النار - فرعون مصر -،" وذلك أن فرعون وقومه إنتاج حقيقي لعالم الانحراف بجميع رموزه وأعلامه، لقد حملت الدولة الفرعونية شذوذ وانحراف قوم نوح وقوم عاد وقوم ثمود وأهل مدين، ففرعون إمام دولة له مجموعة عمل قادرة على التأثير، ولديه الإمكانيات الهائلة التي يمكن أن ينفذ بها سياسته التي دق الكفر أوتادها على امتداد زمن طويل "[3] " ولأن فرعون مدخل للصد عن سبيل الله ومدخل إلى النار أفاض القرآن في قصة نهايته وأطال الحديث فيها فذكرها في سبع عشرة سورة، وحذر تعالى الإنسانية كلها من طرق وخطوط فرعون فقال تعالى:﴿ **فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى** ﴾{النازعات25-26} قال المفسرون[4]: إن في حديث موسى وقصته

---

[1] البحر المديد ج7 ص33، وانظر جامع البيان في تأويل القرآن ج21 ص623، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج7 ص39

[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج1 ص767

[3] الانحرافات الكبرى ص250

[4] انظر جامع البيان في تأويل القرآن ج24 ص205، وتفسير البحر المحيط ج5 ص261، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج8 ص317

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

لعبرة لمن كان له خشية، وكان من غريزته أن يخشى الشقاء والعذاب والإنسان من غريزته ذلك، ففيه عبرة لمن كان إنسانا مستقيما على طريق الفطرة "[1].

وفي كل مرة يعرض فيها القرآن لهذه القصة يسلط عليها الضوء من زاوية مختلفة عن سابقاتها، وكأن القرآن وهو يسلط الأضواء على هذه النهاية من كل الزوايا أراد لها أن تحيى في الأذهان على مر الأزمان واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، لا يحول دون رؤيتها شيء، وبذلك تقام الحجة على الناس وقد أعذر من أنذر .

لذلك اختار الباحث نهاية فرعون وأعوانه نموذجاً لكل نهايات الطغاة الذين ينتهجون نهجهم، ويقتفون أثرهم،ويستنون بسنتهم، ويسيرون سيرهم .

فكيف انتهى الحال بفرعون وأعوانه؟ وكيف طويت صفحتهم؟ وما الذي حل بهم في الدنيا والآخرة وما بينهما؟ هذا ما سنعرفه من خلال آيات القرآن الكريم؟

أولا مصيرهم في الدنيا:

يخبر المولى - ﷻ -: أنه بعدما كان من فرعون وَمَلَئِهِ ما كان - من تكذيب للرسل، وانحراف عن منهج الله ﷻ، واستعباد للناس، واستكبار وظلم وطغيان – أنه ﷻ أهلكهم، يقول الله - ﷻ -: ﴿ **ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ۞ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ۞ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ** ﴾{المؤمنون45-48} .

وأن هذا الإهلاك كان على سبيل الانتقام ﴿ **فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ** ... ﴾{الزخرف55}، ويصف هذا الانتقام فيقول - ﷻ -: ﴿ **فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا** ﴾{المزمل16}، أي ثقيلاً شديداً[2]،ثم يبين لنا كيفية هذا الأخذ والإهلاك فيقول: ﴿ **فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ** ﴾{الأعراف136}، ويقول: ﴿ **فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا** ﴾{الإسراء103}، " لم ينج أحد لقد غرق الكهنة صناع الآلهة التي من ذهب والتي من طين، وغرق الأمراء الذين أفنوا حياتهم في الارتعاش أمام كل فرعون، لينالوا بارتعاشهم كل شيء يرجونه من متاع رخيص، وغرق

---

[1] الانحرافات الكبرى ص250-251 بتصرف

[2] زاد المسير في علم التفسير ج2 ص426، وانظر تفسير الطبري ج23 ص693،تفسير النسفي ج4 ص237

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الجنود الذين أفنوا حياتهم خدماً للطاغية، لقد أصبح الجميع فريسة للأمواج وسقط فرعون معهم، والذي كان يتباهى منهم بالقصور أصبح أرخص من أي شئ في الوجود "[1]

" ضربة واحدة، فإذا هم هالكون، ومن التعالي والتطاول والاستكبار، إلى الهوي في الأعماق والأغوار، جزاء وفاقاً "[2]، " لقد غرقوا وقت شروق الشمس التي طالما سبحوا بحمدها! ودخل الطين في أفواههم القذرة "[3]

وقد ترتب على هذا الإهلاك عدة صنوف من العذاب منها:

1- **تدمير ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون:** ﴿ **وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ** ﴾{الأعراف137} وانتهى ذلك النظام الذي أفنى فرعون وأعوانه حياتهم لإقامته، ودُمِّرت مؤسساته التي على الكفر والإلحاد والظلم قامت .

يقول محمد رشيد رضا رحمه الله: " وَالْمُرَادُ بِمَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ أَوَّلًا، وَبِالذَّاتِ مَا لَهُ تَعَلُّقٌ بِظُلْمِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْكَيْدِ لِمُوسَى - عليه السلام - .... وَمِنْهَا الصَّرْحُ الَّذِي أُمِرَ هَامَانُ بِبِنَائِهِ؛ لِيَرْقَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ فَيَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى، ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۞ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ** ﴾{غافر36-37} وَالتَّبَابُ بِمَعْنَى الدَّمَارِ، وَالثَّانِي: كَالْمَكَايِدِ السِّحْرِيَّةِ وَالصِّنَاعِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَصْنَعُهَا السَّحَرَةُ؛ لِإِبْطَالِ آيَاتِهِ أَوِ التَّشْكِيكِ فِيهَا كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿ **إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ..** ﴾{طه69}"[4].

وقد بدأت إرهاصات ذلك الهلاك والتدمير، في حياة فرعون، وذلك بتوالي المعجزات التي أيد الله ﷻ بها موسى عليه السلام، وانتهت بغرق القائمين على تلك المؤسسات من أعوان فرعون، فنهاية مؤسسات الطغيان يكون بالقضاء على القائمين على تلك المؤسسات، لا بتدمير الأبنية والجدران .

2- **حرمانهم من النعمة والكنوز والمقام الكريم:** ﴿ **فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ** ﴾{الشعراء57-58} وفي موضع آخر ﴿ **كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۞ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ** ﴾{الدخان25-27} .

---

[1] الانحرافات الكبرى ص244 بتصرف

[2] في ظلال القرآن ج 3 ص1360

[3] الانحرافات الكبرى ص244-245

[4] تفسير المنار ج9 ص88

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

3- **توريث تلك النعمة والكنوز والمقام الكريم لأعدائهم**[1]: ﴿ **كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۞ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۞ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ** ﴾{الدخان25-28}، فبعد أن كانوا يتقلبون في النعيم فيأكلون ما شاؤوا متفكهين، ويلبسون ما أحبوا متزينين، مع الأموال والجاهات والحكم في البلاد، سلبوا ذلك جميعه في صبيحة واحدة، وفارقوا الدنيا، وصاروا إلى جهنم وبئس المصير، واستولى على البلاد المصرية وتلك الحواصل الفرعونية والممالك القبطية بنو إسرائيل أشد الناس عداءً لفرعون ونظامه، كما قال - تعالى -: ﴿ **فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۞ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾{الشعراء57-59 } "[2]

4- **حرمان فرعون رأس الطغيان من قبول توبته عند الموت**: ﴿ **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾{يونس90-91}، ﴿ **فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ** ﴾{غافر85}، " وهذا حكم الله في جميع مَنْ تاب عند معاينة العذاب أنه لا يقبل؛ ولهذا جاء في الحديث: (**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**)[3]، **فإذا غرغر وبلغت الروح الحلقوم، وعاين المَلَك، فلا توبة حينئذ**) "[4].

" إن التجارة لها ميدانها، وحساب الربح والخسارة له موائده، أما التجارة في العقيدة والبيع والشراء في آيات الله فكل هذه جرائم لا يفلت مرتكبها من تحت السماء! ولقد تاجر فرعون في حياته بكل شئ، وعندما ضربه الموج لم يجد في جعبته إلا أوراق الإيمان والإسلام، ولكن هيهات هيهات، لقد امتلأت بزته الحربية بالماء وغاصت به في الأوحال"[5]

---

[1] وهنا قد يطرأ سؤال وهو كيف يكون هذا صنفاً من صنوف العذاب بعد أن مات الإنسان ولم يعد يعلم من ورث ما كان له ؟ والجواب قد يكون هذا صحيحاً بالنسبة لفرعون وأعوانه، ولكن لما جعل الله عز وجل فرعون وأتباعه سلفاً ومثلاً للآخرين من أمثالهم، فإن هذا ولاشك يمثل صنفاً من أصناف العذاب، لأن الإنسان مفطور على حب أن يرثه أبناؤه من بعده، بل إن الكثيرين يجهدون في الحياة غير مبالين بالحلال والحرام لتأمين مستقبل أبنائهم، فإذا علموا أن ثمرة جهدهم ستذهب إلى غير أبنائهم، بل إلى أعدائهم فإن ذلك ولا شك سيكون رادعاً لهم .

[2] تفسير القرآن العظيم ج7 ص253 بتصرف

[3] سنن الترمذي: كتاب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار، ح3537 قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ

[4] تفسير القرآن العظيم ج7 ص160 بتصرف يسير

[5] الانحرافات الكبرى ص246

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

5- **تنجية فرعون ببدنه ليكون لمن خلفه آية:** ﴿ **فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ** ﴾{يونس92}،" لا تأكلك الأسماك، ولا تذهب منكراً مع التيار لا تُعْرف للناس، ذلك ليدرك من وراءك من الطغاة والجماهير كيف كان مصيرك لعلهم يتعظون بها ويعتبرون، ويرون عاقبة التصدي لقوة الله ووعيده بالتكذيب "[1] .

" دفعت الأمواج بالبدن ليكون للأجيال عبرة وليعلموا أن الله تعالى هو القادر الذي ناصية كل دابة بيده، وأنه لا يقوم لغضبه شئ (وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) أي لا يتعظون بها ولا يعتبرون "[2] .

" دفعه الموج إلى الضفة التي بلغها يوما وهو مزهو بالنصر، بعد أن راوده الأمل في اللحوق بموسى - عليه السلام -، لقد قذف به البحر إلى الشاطئ ليكون عبرة لنهاية طريق، وهو الذي التقط يوما صندوقا قذف به البحر إلى الشاطئ ليكون الذي بداخله آية لجميع الظالمين: ﴿ **فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ** ﴾{القصص8} لقد قذف اليم في أول الرحلة صندوقا به موسى - عليه السلام - وقذف اليم في آخر الرحلة الفرعون! قذفه لهدف، ومن وراء هذا الهدف حكمة، فبعد مصرع الفرعون قال تعالى: (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) "[3]

" لقد كان فرعون وقومه: ﴿ ... **أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ**... ﴾{القصص41}فعلى القمة وعلى القاعدة أئمة يدعون إلى النار، إن الآمر مجرم والمنفذ مجرم، ولما كانت الفرعونية خطرا على الجنس البشري، ضرب الله تعالى رأسها، ليكون في ضرب الرأس عبرة لمن خلفه، سواء أكان في القمة أو في القاع، تماما كما ضرب سبحانه عادا وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة، فكل قوم من هؤلاء نسج خيامه من الشذوذ، وأقامها في معسكر الانحراف ليصد عن سبيل الله، فجعلهم الله عبرة، لأنه تعالى الرحمن الرحيم بعباده الذين في بطن الغيب، فاستئصال الذين ظلموا يكون أمام أبناء المستقبل دليل، ليحذروا من الوقوع فيما وقع فيه أبناء الماضي، واستئصال الذين ظلموا في الماضي، وفي الحاضر، وفي المستقبل، هو لأتباع الصراط المستقيم - في كل زمان ومكان - دعوة للتمسك بالهدى، لأن النجاة والفوز في رحابه "[4].

---

[1] في ظلال القرآن ج3 ص1818 بتصرف

[2] الانحرافات الكبرى ص248

[3] المصدر السابق ص 246

[4] المصدر نفسه ص197

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

6- **تنصيب فرعون وقومه أئمة يدعون إلى النار**: يقول الله - ﷻ -:﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ**... ﴾{القصص41} وهذا يقتضي أن سجل ذنوبهم وآثامهم لم يطوَ بعد، وأنه مفتوح إلى يوم القيامة، فما من طاغية يفعل فعلهم أو يستن بسنتهم إلا نال فرعون وأعوانه من الوزر ما نال ذلك الطاغية، فقد جاء في الحديث: (**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**)[1]

يقول الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ...): " جعلناهم زعماء يتبعون على الكفر، فيكون عليهم وزرهم ووزر من اتبعهم حتى يكون عقابهم أكثر"[2]، " وهذا يترتب عليه مضاعفة عذابهم أضعافا كثيرة "[3] .

7- **جعلهم الله ﷻ محلاً للَّعن في الدنيا**: يقول الله - ﷻ -:﴿ **وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً**... ﴾{القصص42}، وفي آية أخرى ﴿ **وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً**... ﴾{هود99} "أي: ألزمنا فرعون وقومه في هذه الدنيا خزيا وغضبا منا عليهم، فحتمنا لهم فيها بالهلاك والبوار والذكر السَّيِّئ"[4] يقول الإمام القرطبي رحمه الله: " أي أمرنا العباد بلعنهم فمن ذكرهم لعنهم "[5]، ويقول الإمام ابن كثير - رحمه الله -: " أي: وشرع الله لعنتهم ولعنة مَلكهم فرعون على ألسنة المؤمنين من عباده المتبعين رسله، وكما أنهم في الدنيا ملعونون على ألسنة الأنبياء وأتباعهم كذلك "[6]، ويقول الإمام الألوسي رحمه الله: "(وأتبعناهم في هذه الدنيا) التي فتنتهم (لَّعْنَةُ) طرداً وإبعاداً، أو لعناً من اللاعنين حيث لا تزال الملائكة عليهم السلام تلعنهم وكذا المؤمنون خلفاً عن سلف وذلك إما بدخولهم في عموم من يلعنونهم من الظالمين وإما بالتنصيص عليهم نحو لعن الله تعالى فرعون وجنوده "[7]

---

[1] رواه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب العلم باب من سن سنة حسنة ح2674

[2] الجامع لأحكام القرآن ج13ص289

[3] معالم الصراع الإيماني في قصة موسى عليه السلام ص189

[4] جامع البيان في تأويل القرآن ج19 ص583

[5] الجامع لأحكام القرآن ج 13 ص290

[6] تفسير القرآن العظيم ج6 ص238

[7] تفسير الألوسي ج20 ص83

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

هذا ما لحق بأولئك الطغاة المجرمين في الدنيا، وللطغاة المجرمين في كل زمان ومكان أمثالها[1].

ثانياً مصيرهم في البرزخ: يقول الله - ﷻ -:﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾{غافر46} أي " صباحاً ومساءً، قال ابن مسعود: أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين، تغدو وتروح إلى النار، ويقال: يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة "[2]

وقال ابن تيمية - رحمه الله -: " وهذا إخبار عن فرعون وقومه : أنه حاق بهم سوء العذاب في البرزخ، وأنهم في القيامة يدخلون أشد العذاب، وهذه الآية أحد ما استدل به العلماء على عذاب البرزخ "[3]، فليس لهم راحة أبدا، وهم الذين حاربوا الله وقتلوا أوليائه،

---

[1] وهنا قد يطرأ على ذهن البعض سؤال: وهو أننا نسمع بوعيد الله للطغاة ولكننا نرى بعض الطغاة لا يؤخذون بمثل ذلك الوعيد بل يتمتعون بدنياهم فإذا حضر أجلهم حملوا فوق الرؤوس وبحت الحناجر في نعيهم والترحم عليهم ؟ يقول الباحث : إن الله ﷻ هو صاحب الميزان وهو جل في علاه يقدر الأمور ويحكم بالعدل، فلعل هؤلاء الطغاة لهم بعض الأعمال الصالحة تمنعهم من أن يُؤخذوا بوعيد الله في هذه الدنيا، ولكن هذا لا يمنع عنهم بطش الله ﷻ وانتقامه منهم بعد موتهم، يقول الله ﷻ: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ**﴾{إبراهيم42}، يقول سيد قطب رحمه الله: فهذه الصيغة تكشف عن الأجل المضروب لأخذهم الأخذة الأخيرة، التي لا إمهال بعدها، ولا فكاك منها، أخذهم في اليوم العصيب الذي تشخص فيه الأبصار من الفزع والهلع، فتظل مفتوحة مبهوتة مذهولة، مأخوذة بالهول لا تطرف ولا تتحرك، ثم يرسم مشهداً للقوم في زحمة الهول، مشهدهم مسرعين لا يلوون على شيء، ولا يلتفتون إلى شيء، رافعين رؤوسهم لا عن إرادة ولكنها مشدودة لا يملكون لها حراكاً، يمتد بصرهم إلى ما يشاهدون من الرعب فلا يطرف ولا يرتد إليهم، وقلوبهم من الفزع خاوية خالية لا تضم شيئاً يعونه أو يحفظونه أو يتذكرونه، فهي هواء خواء .

هذا هو اليوم الذي يؤخرهم الله إليه، حيث يقفون هذا الموقف، ويعانون هذا الرعب، الذي يرتسم من خلال المقاطع الأربعة مذهلاً آخذاً بهم كالطائر الصغير في مخالب الباشق الرعيب :(إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم، وأفئدتهم هواء)، فالسرعة المهرولة المدفوعة، في الهيئة الشاخصة المكرهة المشدودة، مع القلب المفزع الطائر الخاوي من كل وعي ومن كل إدراك، كلها تشي بالهول الذي تشخص فيه الأبصار، هذا هو اليوم الذي يؤخرهم الله إليه، والذي ينتظرهم بعد الإمهال هناك . في ظلال القرآن ج4ص2111-2112

[2] معالم التنزيل ج7 ص150، وانظر زاد المسير ج7 ص228

[3] دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ج2 ص255، وانظر مفاتيح الغيب27 ص64، لباب التأويل في معاني التنزيل ج6 ص96

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

فالعذاب حل بهم في الدنيا، وعاينوه قبل أن تلفظهم الحياة ملعونين، وها هو العذاب يحل عليهم في قبورهم لا يفارقهم إلى يوم القيامة، وما ينتظرهم من العذاب في الآخرة أشد وأبقى.

يقول أبو الأعلى المودودي رحمه الله: " وليس هذا أمراً خاصاً بفرعون وآله دون غيرهم، بل إن جميع المجرمين منذ موتهم حتى قيام الساعة يعرضون على النار صباحاً ومساءً ويرون جهنم التي تنتظرهم، فقد جاء في الحديث الصحيح عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: (**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**[1])[2]

والباحث لا يؤيد هذا الرأي، إذ لو كان الأمر كذلك لدخلوا – فرعون وآله - في عموم قول النبي ﷺ، ولما كان لتخصيصهم بالعرض على النار في الآية أية فائدة، ويذهب الباحث في هذه المسألة إلى ما قاله الإمام البقاعي - رحمه الله -: " وكأن عليهم في هذا العرض زيادة نكد فوق ما ورد عاماً مما روى مالك والشيخان وغيرهم عن أن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله - ﷺ - قال: (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة).

ولعل زيادة النكد أنهم هم المعرضون، فَيُذْهَب بهم في الأغلال يُساقون لينظروا ما أعد الله لهم، وعامة الناس يقتصر في ذلك على أن يكشف لهم - وهم في محالّهم - عن مقاعدهم، ففي ذلك زيادة إهانة لهم، وهو مثل: عرض الأمير فلاناً على السيف إذا أراد قتله، هذا دأبهم إلى أن تقوم الساعة"[3].

إلا أن يقصد المودودي - رحمه الله - من فَعَلَ فِعْلَ فرعون، واستن بسنته، وسار سيرته، فليس هناك ما يمنع من أن يعاقبوا بمثل عقابه، كونه إمامهم ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ**... ﴾{القصص41}، والمأموم يتبع الإمام، فإن قصد هذا فإن استدلاله بالحديث السابق لا يخدمه في هذه المسألة .

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، ح1379

[2] فرعون في القرآن الكريم ص146

[3] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج6 ص521، وانظر تفسير العز بن عبد السلام ج1 ص1030

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

ثالثا عذابهم في الآخرة:

يقول الله- ﷻ -: ﴿ **وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ** ﴾{القصص42}

" يعني من الممقوتين المهلكين، ويقال (من المقبوحين) يعني من المعذبين، ويقال إنه يقبح صورتهم، ويقال (من المقبوحين) يعني من المشوهين "[1] ويقال (من المقبوحين) يعني "من المطرودين المبعدين"[2]، ولا مانع من الجمع بين الأقوال السابقة ما دام اللفظ يحتملها، ولما كان فرعون وقومه من الممقوتين المطرودين من رحمة الله - ﷻ -، فقد صب الله عليهم ألواناً من العذاب لا يشاركهم فيها إلا أشد الناس عذاباً يوم القيامة،وسيتتبع الباحث المنازل التي سينقلب إليها فرعون وقومه من المحشر حتى يستقروا في قعر جهنم .

أولاً في أرض المحشر: سبق وأن أشار الباحث في مبحث صفات الطغاة إلى أن الكبر صفة ملازمة للطغاة - كل الطغاة - ومنهم فرعون وقومه، يقول الله - ﷻ -: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۞ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ** ﴾{القصص38-39} .

وفي المتكبرين يقول الرسول - ﷺ -: (**يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ، فِي صُوَرِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ، طِينَةَ الْخَبَالِ**[3])[4]

" (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ) أي في الصغر والحقارة، (فِي صُوَرِ الرِّجَالِ) من جهة وجوههم، أو من حيثية هيئتهم من انتصاب القامة (يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ) يأتيهم (مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) من كل جانب، والمعنى أنهم يكونون في غاية من المذلة والنقيصة يطأهم أهل الحشر بأرجلهم من هوانهم على الله، والذر النمل الأحمر الصغير، واحدها ذرة (يُسَاقُونَ) بضم القاف أي يسحبون ويجرون، (إِلَى سِجْنٍ) مكان حبس مظلم مضيق منقطع فيه عن غيره،

---

[1] بحر العلوم ج2 ص609، وانظر النكت والعيون ج4 ص254، ولباب التأويل في معاني التنزيل ج5 ص174

[2] الكشاف ج4 ص508، وتفسير روح البيان ج6 ص296، وتفسير النسفي ج3 ص191

[3] الخَبالُ: صَدِيدُ أهلِ النّارِ وقال ابنُ الأعرابي: عُصارَةُ أهلِ النارِ، تاج العروس ج28 ص388

[4] سبق تخريجه ص93

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

(يُسَمَّى) ذلك السجن (بَوْلَسَ) بفتح باء وسكون واو وفتح لام سجن جهنم وقال الحافظ المنذري هو بضم الموحدة وسكون الواو وفتح اللام انتهى .

(تَعْلُوهُمْ) تحيط بهم وتغشاهم كالماء يعلو الغريق، (نَارُ الْأَنْيَارِ) وجمع نار على أنيار وهو واوي لئلا يشتبه بجمع النور، وإضافة النار إليها للمبالغة كأن هذه النار لفرط إحراقها وشدة حرها تفعل بسائر النيران ما تفعل النار بغيرها، أو لأنها أصل نيران العالم لقوله – تعالى -: ﴿ **الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى** ﴾{الأعلى12} ولقوله - ﷺ -: (**نَارُكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**)[1] .

(وَيُسْقَوْنَ) بصيغة المجهول (مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ) بضم العين المهملة وهو ما يسيل منهم من الصديد والقبح والدم (طِينَةِ الْخَبَالِ) بالجر بدل من عصارة أهل النار والخبال بفتح الخاء المعجمة وهو في الأصل الفساد ويكون في الأفعال والأبدان والعقول"[2].[3]

وهكذا تتبدل أحوال الطغاة، فمن الحمل على الرؤوس إلى المصير تحت الأقدام، جزاءً وفاقاً .

---

[1] سنن الترمذي: كتاب صفة جهنم، باب ماجاء أن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ح2590، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ

[2] تحفة الأحوذي: ج7 ص206 بتصرف

[3] تَنْبِيهٌ: حَمَلَ بَعْضُ العلماء قَوْلَهُ ﷺ: (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ) عَلَى الْمَجَازِ دُونَ الْحَقِيقَةِ، أَيْ أَذِلَّاءَ مُهَانِينَ يَطَؤُهُمْ النَّاسُ بِأَرْجُلِهِمْ، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ بِقَوْلِهِ ﷺ: (يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) واحتجوا بحديث الرسول ﷺ في صحيح البخاري كتاب الرقاق باب كيف الحشر والذي يقول فيه: (تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً) - أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب كيف الحشر،ح6527 - ومعنى غرلا انه يُعَادُ مِنْهُمْ مَا اِنْفَصَلَ عَنْهُمْ مِنْ الْقُلْفَةِ، وهذا يقتضي أَنَّ الْأَجْسَادَ تُعَادُ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ الْأَجْزَاءِ .

والتَّحْقِيقُ أَنَّ اللَّهَ يُعِيدُهُمْ عِنْدَ إِخْرَاجِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ عَلَى أَكْمَلِ صُوَرِهِمْ وَجَمْعِ أَجْزَائِهِمْ الْمَعْدُومَةِ تَحْقِيقًا لِوَصْفِ الْإِعَادَةِ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ فِي مَوْقِفِ الْجَزَاءِ عَلَى الصُّورَةِ الْمَذْكُورَةِ إِهَانَةً وَتَذْلِيلًا لَهُمْ، جَزَاءً وِفَاقًا، أَوْ يَتَصَاغَرُونَ مِنْ الْهَيْبَةِ الْإِلَهِيَّةِ عِنْدَ مَجِيئِهِمْ إِلَى مَوْضِعِ الْحِسَابِ وَظُهُورِ أَثَرِ الْعُقُوبَةِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّتِي لَوْ وُضِعَتْ عَلَى الْجِبَالِ لَصَارَتْ هَبَاءً مَنْثُورًا اِنْتَهَى .تحفة الأحوذي ج7 ص164

قال الشيخ المباركفوري رحمه الله: الظَّاهِرُ هُوَ الْحَمْلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَلَا مُخَالَفَةَ بَيْنَ هَذَا الْحَدِيثِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَجْسَادَ تُعَادُ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ الْأَجْزَاءِ حَتَّى إِنَّهُمْ يُحْشَرُونَ غُرْلًا، أنظر تحفة الأحوذي ج7 ص164

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

ثانياً الطريق إلى النار: يقول الله - ﷻ -:﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۞ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ۞ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ**﴾{هود96-99} لما كان فرعون دليل القوم في الدنيا، فسيكون هو نفسه دليل أتباعه يوم القيامة[1]، وكما كان له موكب في الدنيا فسيكون له موكب يوم القيامة[2](يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ولكن مع بعض الفروق الجوهرية ومنها: أن يداه اللتان كان يلوح بهما للجماهير المستخفة المخدوعة ستكبلان بالأصفاد ﴿ **وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ** ﴾{إبراهيم 49} ومنها: أنه سيستبدل ثيابه الفاخرة المطرزة بخيوط الذهب ثياباً جديدة من القطران المشتعل ﴿ **سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ** ﴾{إبراهيم 50}، وبقدر ما كان زهو الكبرياء علامة لموكبه أثناء حياته في الدنيا، سيكون ذل الانكسار أبرز علامات موكبه في الآخرة ﴿ **يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا** ﴾{الطور13}، وبدلاً من أن يُساق الناس أمامه، سيساق هو مع الإهانة والتحقير ﴿ **وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا** ... ﴾{الزمر71} وبدلاً من أن تُفْتَح له الأبواب احتفالا بقدومه وتكريماً له، ستُفْتَحُ له الأبواب ولكن لِيَلِجَ منها ذليلاً منكسراً إلى جهنم يتجرع فيها ألوان العذاب ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا** ﴾{الزمر71} .

نعم يقدم فرعون قومه: " لأنهم اتبعوا أمره، فكان إماما لهم من أئمة الضلال، يمشون خلفه، ويتبعون خطواته الضالة بلا تدبر ولا تفكر، ودون أن يكون لهم رأي، مستهينين بأنفسهم، متخلين عن تكريم الله لهم بالإرادة والعقل وحرية الاتجاه واختيار الطريق، ولما كانوا كذلك فإن السياق يقرر أن فرعون سَيَقْدُمُهُم يوم القيامة ويكونون له تبعاً: (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فأوردهم النار) "[3] فيوردهم النار، ذُكِرَ الورود بلفظ الماضي لتحقق وقوعه[4] (وبئس الورد المورود) والورد هو الماء الذي يرده العطاش من الحيوان والإنسان للشرب، والورود أصله قصد الماء[5]، وقد يستعمل في غيره، وفي هذا استعارة لطيفة، بتشبيه الغاية التي يقصدها

---

[1] انظر البحر المديد ج3 ص328، والجامع لأحكام القرآن ج9 ص93، تفسير البيضاوي ج1 ص469، والكشاف ج3 ص233

[2] انظر تفسير ابن كثير ج4 ص348، و بحر العلوم ج2 ص169، وتفسير بن أبي حاتم ج6 ص2080، تفسير السراج المنير ج2 ص63

[3] انظر في ظلال القرآن ج4 ص1924، وانظر الكشاف ج3 ص233

[4] انظر الكشاف ج3 ص233، ومفاتيح الغيب ج18 ص44، والتحرير والتنوير ج12 ص156، وفتح القدير ج2 ص756، وتفسير النسفي ج2 ص172، وتفسير البيضاوي ج1 ص259

[5] انظر التحرير والتنوير ج12 ص156

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الإنسان في الحياة لمساعيه المبذولة، بالماء الذي يقصده العطشان، وسعادة الإنسان الأخيرة هي رضوان الله والجنة، لكن قوم فرعون لما غووا باتباع أمر فرعون، وأخطأوا سبيل السعادة الحقيقية، تبدلت غايتهم إلى النار، فكانت النار هي الورد الذي يردونه، وبئس الورد المورود، لأن الورد هو الذي يطفئ لهيب الصدر ويروي العطشان[1]، فإذا تبدل إلى عذاب النار، فبئس الورد المورود[2] (وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود) أي هم اتبعوا أمر فرعون، فأتبعتهم لعنة من الله في هذه الدنيا، وإبعاد من رحمته وطرد من ساحة قربه، وبئس الرفد رفدهم يوم القيامة، وهو النار التي يسجرون فيها[3]

ثالثاً في النار:

يقول الله - ﷻ - مخبراً عن مستقرهم يوم القيامة: ﴿ **وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۞ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾{غافر45-46}، " أي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب، عذاب جهنم فإنه أشد مما كانوا فيه، أو أشد عذاب جهنم "[4]، وقال ابن عباس: " ألوان من العذاب غير الذي كانوا يعذبون بها منذ أغرقوا "[5].

يقول الإمام الشنقيطي رحمه الله: " وذكر في موضع آخر أنه يعذب من كفر من أصحاب المائدة عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين، وهو قوله - تعالى -: ﴿ **إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ** ﴾{المائدة115}، فهذه الآيات تبين أن أشد أهل النار عذابا المنافقون وآل فرعون ومن كفر من أصحاب المائدة، كما قاله ابن عمر رضي الله عنهما "[6].

" وقال ابن الأنباري - رحمه الله -: إنه تعالى قال في صفة المنافقين: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** ﴾{النساء145} وقال في آل فرعون (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) فأيهما أشد عذاباً المنافقون أم آل

---

[1] انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسرر ج3 ص573، وفتح القدير ج2 ص756، وتفسير النسفي ج2 ص172، وتفسير البيضاوي ج1 ص259

[2] انظر الكشاف ج3 ص233، و التحرير والتنوير ج12 ص156

[3] انظر مفاتيح الغيب ج18 ص44، وتفسير النسفي ج2 ص172، والنكت والعيون ج2 ص502

[4] تفسير البيضاوي ج2 ص342، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ج7 ص279، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج24 ص74، السراج المنير ج3 ص389

[5] لباب التأويل في معاني التنزيل ج6 ص97

[6] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج1 ص321

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

فرعــون؟ وأجــاب: بأنه يحتمل أن أشد العذاب إنما يكون في الدرك الأسفل، وقد اجتمع فيه الفريقان "[1].

وحتى نقرب صورة العذاب الذي يقاسيه فرعون وقومه للذهن نذكر الحديث التالي: عَنْ ابْــنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: (**أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُــو طَــالِبٍ وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**)[2]

فإذا كان هذا حال أبي طالب وهو الذي دافع عن رســول الله - ﷺ -بكــل مــا أوتــي مــن قوة،وقال للرسول - ﷺ - يوم جاءه قومه يساومونه[3]:

والله لــن يــصلوا إليــك بجمعهــم	حتــى أوســد فــي التــراب دفينــا
فاصدع بأمرك ما عليــك غــضاضة	وابــشر وقــر بــذاك منــك عيونــاً
ودعــوتني وعرفــت أنــك ناصــحي	ولقــد صــدقت وكنــت ثــم أمينــاً
وعرضــت دينــاً قــد عرفــت بأنــه	مــن خيــر أديــان البريــة دينــاً
لــولا الملامــة أو حِــذار مــسبَّة	لوجــدتني ســمحاً بــذاك مبينــاً

وحوصر مع النبي - ﷺ - في الشعب ثلاث سنوات، ولم يجرؤ أحد علــى أن يمــس النبــي - ﷺ - في حياته بسوء.

فإذا كان أبو طالب أهون أهل النار عذاباً وهذا حاله في العذاب - يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَــا دِمَاغُهُ -، " فكيف بمن كان أشد أهل النار عذاباً ؟ "[4] .

ويواصل القرآن تسليط الأضواء على فرعون وقومه وهم يعذبون في النار، ولكن هذه المــرة من زاوية الأتباع، يقول الله - ﷻ -: ﴿ **وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّــارِ فَيَقُــولُ الــضُّعَفَاءُ لِلَّــذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ** ﴾{غافر47} .

الضعفاء إذن في النار مع الذين استكبروا، لم يشفع لهم أنهم كانوا ذيولاً وإمعات، ولم يخفــف عنهم أنهم كانوا غنماً تساق، لا رأي لهم ولا إرادة ولا اختيار.

لقــد منحهم اللــه الكرامــة، كرامــة الإنسانيــة، وكرامــة التبعة الفردية، وكرامة الاختيار والحــرية، ولكنهــم تنازلــوا عــن هــذا جميــعاً، تنازلــوا وانساقوا وراء الكبراء والطغاة

---

[1] مفاتيح الغيب ج11 ص69

[2] صحيح مسلم كتاب الإيمان باب أهون أهل النار عذاباً ح212

[3] انظر السيرة النبوية لابن كثير ج1 ص464، و مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم: لمحمــد بــن عبد الوهاب بن سليمان التميمي ج1 ص92

[4] مفاتيح الغيب ج7 ص162

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

والملأ والحاشية، لم يقولوا لهم ولو لمرة واحدة: لا، بل لم يفكروا أن يقولوها، وانساقوا خلف الطاغية دون تفكر أو تعقل أو روية، فهم لا يجيدون في هذه الحياة إلا تنفيذ الأوامر، غير مبالين بالحلال والحرام ما دامت هذه الأوامر تصدر إليهم من الأعلى، ونسوا أو تناسوا أن الله هو الأعلى، هاهم الآن في النار ساقهم إليها قادتهم كما كانوا يسوقونهم في الحياة سوق الشياه، ثم هاهم أولاء يسألون كبراءهم (إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار)، فيجيبونهم (إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد) إنا كل ضعاف لا نجد ناصراً ولا معيناً، إنا كل في هذا الكرب والضيق سواء، فما سؤالكم لنا وأنتم ترون الكبراء والضعاف سواء؟

لقد أوهم الطغاة أتباعهم في الدنيا أنهم يقودونهم في طريق الرشاد، وأنهم يحمونهم من الفساد، وأنهم يمنعونهم من الشر والضر وكيد الأعداء.

وها هم يتخلون عنهم في أشد الأوقات حرجاً ويتركونهم لمصيرهم المحتوم يقاسون ألوان العذاب، (إن الله قد حكم بين العباد) فلا مجال لمراجعة الحكم، ولا مجال لتغيير فيه أو تعديل، وقد قضي الأمر، وما من أحد من العباد يخفف شيئاً من حكم الله[1] .

" لقد انتهت الرحلة بالنار، نار في عالم البرزخ ونار يوم القيامة، كما انتهت بلعن في الدنيا، وفي الآخرة هم من المقبوحين، لقد انتهت الرحلة في الدنيا بالغرق وتدمير ما يعرشون، ويوم القيامة بئس الرفد المرفود، ..... ففرعون مجموعة من الجرائم ساعده قومه على ارتكابها، تحت شعار الحفاظ على سنة الآباء، التي لا يستفيد منها سوى فرعون وطابور كهنته الذين يطبخون له الفتوى التي يريد! لقد أجرى فرعون الدماء على جذوع النخل وفي البيوت وفي القصور وجحد بآيات الله، وكل ذلك من أجل حماية شذوذه ...، ولكن هيهات هيهات، لقد انهالت على السهل أعاصير الشتاء فدمرت ما كانوا يعرشون، وقلب البحر الهائج سطحه، وهبط فرعون وقومه إلى الجحيم ليصبحوا عبرة لأصحاب المداخل المسدودة الذين يدونون أوراق الفقه الواحد، الذي يعبر عن وجهة نظر فرعونية، قادرة على امتصاص جميع الأهواء وصهرها في قالب ذهبي واحد"[2]

وهذه النهاية هي نهاية كل جبار عنيد، وكل طاغوت يريد أن يبطش بعباد الله، ويريد أن يستذل من أعزه الله، وأن يعز من أذله الله، ولربما تطول الجولة لطغاة ووحوش البشر، ولكن الله - ﷻ - كما قال عن نفسه: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ** ﴾{الفجر14} .

---

[1] انظر في ظلال القرآن ج5 ص3084

[2] الانحرافات الكبرى ص250-251

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المطلب الثالث:

معالم على طريق النهاية:

ولكن على طريق النهاية - نهاية الطغاة – علامات تحدد الطريق، وتضبط السير، وتمنع من الانحراف، علامات تمثل سنن الله وقوانينه في الخلق، هذه السنن وهذه القوانين لابد للشعوب المقهورة بالطغيان أن تتنبه لها وأن تُرَاعِيَهَا إذا أرادت أن تتخلص من الطغيان وأن تحيى حياة كريمة عزيزة .

المَعْلَمُ الأول:

الشعوب الميتة لا تستحق النصر.

وبيان ذلك أن يد القدرة الإلهية لا تتدخل للقضاء على الطغاة مادامت الشعوب خانعة ذليلة .

يقول سيد قطب - رحمه الله - : " إنه حين كان بنو إسرائيل يؤدون ضريبة الذل لفرعون وهو يُقَتِّل أبناءهم ويستحيي نساءهم لم تتدخل يد القدرة لإدارة المعركة، فهم لم يكونوا يؤدون هذه الضريبة إلا ذلاً واستكانة وخوفاً، فأما حين استعلن الإيمان، في قلوب الذين آمنوا بموسى - عليه السلام -، واستعدوا لاحتمال التعذيب وهم مرفوعوا الرؤوس، يجهرون بكلمة الإيمان في وجه فرعون دون تلجلج ودون تحرج، ودون اتقاء للتعذيب، فأما عند ذلك فقد تدخلت يد القدرة لإدارة المعركة، وإعلان النصر الذي تم قبل ذلك في الأرواح والقلوب "[1]

وهذا الذي ذكره سيد قطب يلحظه كل متدبر للقرآن الكريم في الأقوام التي تعرضت للطغيان، ابتداءً بطاغية العراق النمرود، وعاد قوم هود، وثمود قوم صالح، وفرعون مصر، كل هؤلاء وغيرهم طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، ولم يوضع لطغيانهم حد إلا عندما وُجِدَ من أهل الحق من يقف في وجوههم، فطاغية العراق واجهه إبراهيم - عليه السلام -، وطغاة عاد واجههم هود - عليه السلام - وأصحابه، وطغاة ثمود واجههم صالح - عليه السلام - وأتباعه، وطاغية مصر واجهه موسى - عليه السلام - وأنصاره .

" فسنة الله في تدمير الباطل، أن يقوم في الأرض حق يتمثل في أمة، ثم يقذف الله بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، فلا يقعدنّ أهل الحق كسالى يرتقبون أن تجري سنة الله بلا عمل منهم ولا كد، فإنهم حينئذ لا يمثلون الحق، ولا يكونون أهله وهم كسالى

[1] في ظلال القرآن ج4 ص2345

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

قاعدون، والحق لا يتمثل إلا في أمة تقوم لتقر حاكمية الله في الأرض، وتدفع المغتصبين لها من الذين يدعون خصائص الألوهية "[1] .

المَعْلَمُ الثاني:

إن قاعدة المعركة للقضاء على الطغيان هي وجود الجماعة المؤمنة إيماناً حقيقياً والمستعدة للبذل والتضحية في سبيل ما تؤمن به .

فليس بين المؤمنين وبين النصر في أي زمان وفي أي مكان، إلا أن يستكملوا حقيقة الإيمان، ويستكملوا مقتضيات هذه الحقيقة في حياتهم وواقعهم كذلك ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾{الروم47} .

ومن حقيقة الإيمان: أن ندرك ومنذ البداية أن العاقبة للمتقين ﴿ **وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾{القصص37} . يقول سيد قطب - رحمه الله -: " وهو رد مؤدب مهذب، يلمح فيه ولا يصرح، وفي الوقت ذاته ناصع واضح، مليء بالثقة والطمأنينة إلى عاقبة المواجهة بين الحق والباطل، فربه أعلم بصدقه وهداه، وعاقبة الدار مكفولة لمن جاء بالهدى، والظالمون في النهاية لا يفلحون، سنة الله التي لا تتبدل، وإن بدت ظواهر الأمور أحياناً في غير هذا الاتجاه، سنة الله يواجه بها موسى قومه ويواجه بها كل نبي قومه "[2] .

ومن حقيقة الإيمان: أن نثق بوعد الله - ﷻ - ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾{النور55} فمن ارتفع منا شهيداً فله الجنة، ومن عاش فسينتصر حتماً ﴿ **قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ** ﴾{التوبة52} .

ولذلك نري موسى - عليه السلام - يطمئن قومه: ﴿ **قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾{الأعراف128} .

---

[1] في ظلال القرآن ج2 ص1091-1092

[2] المرجع السابق ج5 ص2694

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

" فالعاقبة دائماً للمتقين، طال الزمن أم قصر، فلا يخالج قلوب الداعين إلى رب العالمين قلق على المصير، ولا يخايل لهم تقلب الذين كفروا في البلاد فيحسبونهم باقين "[1]

ومن حقيقة الإيمان: بذل الوسع في إعداد العدة واستكمال القوة ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ** ﴾{الأنفال60} .

ومن حقيقة الإيمان: ألا نركن إلى الأعداء ﴿ **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ** ﴾{هود113} .

ومن حقيقة الإيمان: ألا نطلب العزة إلا من الله ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ** ﴾{فاطر10} .[2]

" غير أنه يجب أن نفرق دائماً بين حقيقة الإيمان ومظهر الإيمان، **إن** حقيقة الإيمان قوة حقيقية ثابتة ثبوت النواميس الكونية، ذات أثر في النفس وفيما يصدر عنها من الحركة والعمل، وهي حقيقة ضخمة هائلة كفيلة حين تواجه حقيقة الكفر المنعزلة المبتوتة المحدودة أن تقهرها، ولكن حين يتحول الإيمان إلى مظهر، فإن حقيقة الكفر تغلبه، إذا هي صدقت مع طبيعتها وعملت في مجالها، لأن حقيقة أي شيء أقوى من مظهر أي شيء، ولو كانت هي حقيقة الكفر وكان هو مظهر الإيمان!

إن الإيمان الحقيقي صلة بالقوة الكبرى، التي لا تضعف ولا تفنى، وإن الكفر انقطاع عن تلك القوة وانعزال عنها، ولن تملك قوة محدودة مقطوعة منعزلة فانية، أن تغلب قوة موصولة بمصدر القوة في هذا الكون جميعاً "[3] .

المَعْلَمُ الثالث:

حتمية الصراع.

فإذا وجدت الجماعة المؤمنة المستعدة للتضحية في سبيل ما تؤمن به، فإن الطغيان لن يقف مكتوف الأيدي وسيتقدم بخيله ورَجِله للقضاء على هذه الجماعة، فهي بالنسبة له تمثل خطراً حقيقياً يُنْذِرُ باجتثاث جذوره، ومن ثَم لن يهدأ للطغيان بال حتى يزيل هذه الجماعة عن إيمانها فإن أبت واستمسكت بإيمانها عمل جاهداً على إزالتها من الوجود .

---

[1] في ظلال القرآن ج3 ص1355

[2] انظر المرجع السابق ج2 ص783

[3] المرجع نفسه ج2 ص783 بتصرف

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

هذا ما حدث مع كل الدعاة إلى الله من الأنبياء والمرسلين ابتداءً بنوح - عليه السلام - ومروراً بإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الرسل والأنبياء – عليهم السلام -، وانتهاءً بمحمد - ﷺ -، يقول الله - عز وجل -: ﴿ **وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ** ﴾{الأنعام34} .

" إن موكب الدعوة إلى الله موغل في القدم، ضارب في شعاب الزمن، ماض في الطريق اللاحب[1]، ماض في الخط الواصب[2]، مستقيم الخطى، ثابت الأقدام، يعترض طريقه المجرمون من كل قبيل، ويقاومه التابعون من الضالين والمتبوعون، ويصيب الأذى من يصيب من الدعاة، وتسيل الدماء وتتمزق الأشلاء، والموكب في طريقه لا ينحني ولا ينثني ولا ينكص ولا يحيد، والعاقبة هي العاقبة، مهما طال الزمن ومهما طال الطريق، إن نصر الله دائماً في نهاية الطريق "[3] وما زال الطغاة يطاردون أصحاب دعوات الحق من المؤمنين في كل زمان ومكان، يدرك ذلك أصحاب البصائر من أتباع الأنبياء عليهم السلام .

جاء في صحيح البخاري أن ورقة بن نوفل قال للنبي - ﷺ - عندما جاءه مستفسراً عمَّا رآه في الغار: (**هذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى - ﷺ -، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ قَالَ نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا**)[4].

يقول الإمام البنا - رحمه الله – مخاطباً إخوانه الدعاة: " أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لا زالت مجهولة عند كثير من الناس، ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقى منهم خصومة شديدة، وعداوة قاسية، وستجدون أمامكم كثيراً من المشقات، وسيعترضكم كثير من العقبات وفي هذا الوقت وحده تكونون قد بدأتم تسلكون سبيل أصحاب الدعوات..... سيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان، وستقف في وجهكم كل الحكومات على السواء، وستحاول كل حكومة أن تُحِدَّ من نشاطكم، وأن تضع العراقيل في طريقكم، وسيتذرع الغاصبون بكل طريق لمناهضتكم وإطفاء نور دعوتكم، وسيستعينون في ذلك بالحكومات الضعيفة، والأخلاق الضعيفة، والأيدي الممتدة إليهم بالسؤال وإليكم بالإساءة والعدوان،

---

[1] اللاحب: الواضح انظر تهذيب اللغة ج5 ص88

[2] وصب: الواو والصاد والباء: كلمةٌ تدلُّ على دَوامِ شيء، معجم مقاييس اللغة ج6 ص117

[3] في ظلال القرآن ج2 ص1077

[4] صحيح البخاري كتاب بدء الوحي، باب3، ح3

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وسيثير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات، وظلم الاتهامات، وسيحاولون أن يلصقوا بها كل نقيصة، وأن يظهروها للناس في أبشع صورة، معتمدين على قوتهم وسلطانهم، ومعتدِّين بأموالهم ونفوذهم "[1] .

وقد لاحظنا كيف جُنَّ جنون فرعون عندما وُجِدَ من أهل الإيمان من يجهر في وجهه بكلمة الحق، وكيف أخذ يخطط للتخلص منهم سراً وعلانية .

المَعْلَمُ الرابع:

الصراع صراع عقيدة.

وهذا ما يجب أن يستيقنه المؤمنون حيثما واجهوا عدواً لهم، يقول الله - ﷻ -: ﴿ **وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾{البروج8} .

وهذا ما أدركه السحرة بعد إيمانهم ونطقت به ألسنتهم ﴿ **وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا** ... ﴾{الأعراف126} .

والطغاة يدركون شراسة معارك العقيدة فيعملون جاهدين لرفع راية للمعركة غير راية العقيدة، راية سياسية أو اقتصادية أو عنصرية أو أي راية أخرى ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾{الأعراف123}، والهدف من ذلك التمويه على المؤمنين وصرفهم عن حقيقة المعركة، وأن يطفئوا في أرواحهم شعلة العقيدة، فمن واجب المؤمنين ألا يخدعوا، ومن واجبهم أن يدركوا أن هذا تمويه لغرض مبيت، وأن الذي يُغَيِّر راية المعركة إنما يريد أن يخدعهم عن سلاح النصر الحقيقي فيها[2] .

المَعْلَمُ الخامس:

الابتلاء سنة الله في الدعوات.

فإذا تحرك الطغيان لمواجهة الإيمان، فسيدخل المؤمنون ولا شك طور الابتلاء والاختبار فيعتقلون ويسجنون، ويُقْتَلون ويُشَرَّدُون وتُصادَر مصالحهم وتُعَطَّل أعمالهم، وقد يطول بهم مدى هذا الاختبار[3] ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** ﴾{العنكبوت2}، ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ** ﴾{آل عمران142}، ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ**

---

[1] مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ص143

[2] انظر معالم في الطريق ص186

[3] انظر مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ص 143

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾{البقرة214} .

يقول سيد قطب – رحمه الله -

" هكذا خاطب الله الجماعة المسلمة الأولى، وهكذا وجهها إلى تجارب الجماعات المؤمنة قبلها، وإلى سنته - سبحانه - في تربية عباده المختارين، الذين يكل إليهم رايته، وينوط بهم أمانته في الأرض ومنهجه وشريعته، وهو خطاب مطرد لكل من يُخْتَار لهذا الدور العظيم "[1].

المَعْلَمُ السادس:

النصر في الدنيا للدعوة .

فإذا دارت رحى الصراع بين الطغيان والإيمان فإنها ستطحن العظام، وستُجْري الدماء، ويرتفع البعض من الصف المؤمن إلى الله شهداء، دون أن يروا النصر والتمكين لدعوتهم في الدنيا، لذلك يقص الله - ﷻ - قصة سحرة فرعون بعد إيمانهم، وقصة الفتية في سورة الكهف، وقصة أصحاب البروج، والعبرة من ذلك أن النصر والتمكين يكون في الدنيا للدعوة لا للأفراد يقول الله - ﷻ - ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا** ﴾{الأحزاب23}، ﴿ **قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ** ... ﴾{التوبة52} .

" إن على المؤمنين أن يؤدوا واجبهم ثم يذهبوا، وواجبهم أن يختاروا الله، وان يُؤْثِرُوا العقيدة على الحياة، وان يستعلوا بالإيمان على الفتنة، وان يَصْدُقوا الله في العمل والنية، ..... فلا يلتفتون في أثناء الطريق الدامي المفروش بالجماجم والأشلاء، وبالعرق والدماء، إلى نصر أو غلبة، أو فيصل بين الحق والباطل في هذه الأرض، ولكن إذا أراد الله أن يصنع بهم شيئاً من هذا لدعوته ولدينه فسيتم ما يريده الله، لا جزاءً على الآلام والتضحيات، فالأرض ليست دار جزاء، وإنما تحقيقاً لقدر الله في أمر دعوته ومنهجه على أيدي ناس من عباده يختارهم لِيُمْضِي بهم من الأمر ما يشاء، وحسبهم هذا الاختيار الكريم، الذي تهون إلى جانبه وتصغر هذه الحياة وكل ما يقع في رحلة الأرض من سراء أو ضراء "[2] بهذه العقيدة وهذا المنطق واجه السحرة بعد إيمانهم طغيان فرعون ﴿ **قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا**

---

[1] في ظلال القرآن ج1ص218

[2] معالم في الطريق ص 181 و ص184 بتصرف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

خَطَايَانَا وَمَـــا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۞ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّـــمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۞ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِـــكَ جَـــزَاءُ مَـــنْ تَزَكَّـــى ﴾ {طه72-76}

المَعْلَمُ السابع:

الصبـــر هـــو الـــزاد .

وفي هذه المرحلة – مرحلة الابتلاء – الصبر هو الزاد، درس نتعلمه على أيدي أولئك الـــذين تعرضوا لتلك المحنة فصبروا، يقول الله - ﷻ - مخبراً عن السحرة المؤمنين وهم يواجهون طغيان فرعون: ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَـــةِ لِتُخْرِجُـــوا مِنْهَـــا أَهْلَهَـــا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِيـــنَ ۞ قَالـــوا إِنَّـــا إِلَـــى رَبِّنَـــا مُنْقَلِبُـــونَ ۞ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَـــا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ** ﴾{الأعراف123-126} .

ويوجه موسى - عليه السلام - قومه إلى الصبر فيقول: ﴿ **...اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْـــأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾{الأعراف128} .

وفي قصة المؤمنين الذين أحرقوا بالنار يقول الطفل الرضيع لأمه اصبري يا أماه فإنك علـــى الحق .

ويمر النبي - ﷺ - على آل ياسر وهم يعذبون، فيقول لهم (**صبراً آل ياسر فـــإن موعـــدكم الجنة**)[1]

" إن الصراع والصبر عليه يهب النفوس قوة، ويرفعها على ذواتها، ويطهرها في بوتقة الألم، فيصفـــو عنصرها ويضيء، ويهب العقيدة عمقاً وقوة وحيوية، فتتلألأ حتى في أعين أعدائها وخصومهـــا، وعندئذ يدخلون في دين الله أفواجاً كما وقع، وكما يقع في كل قضية حق، يلقى أصحابهـــا ما يلقون في أول الطريق، حتى إذا ثبتوا للمحنة انحاز إليهم من كانوا يحاربونهم، وناصرهم أشد المناوئين وأكبر المعاندين "[2]

المَعْلَمُ الثامن:

عندما يبلغ الطغيان الذروة ويظن أنه قد انتصر، ويبلغ المؤمنون غاية الشدة والكرب يـــأتي النصر من الله - ﷻ - .

---

[1] السيرة النبوية لابن كثير ج1 ص494

[2] في ظلال القرآن ج1 ص219

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

فكلما اشتد بطش الطغاة بالمؤمنين وزاد فرحهم بتعذيبهم، وظنوا أن مقاليد الأمور قد آلت إليهم، وفرحوا بما أوتوا من نعيم الدنيا، أتاهم عذاب الله بغتة فانتزعهم مما هم فيه وألقى بهم في قعر جهنم ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ** ﴾{الأنعام44} .

ولا يفرح الطغاة بشيء مثل فرحهم برؤية معارضيهم وهم في غاية الشدة والكرب، لا حول لهم ولا قوة، قد أغلقت في وجوههم جميع الأبواب، يتوسلون أثناء تجرع العذاب إلى الله يرجون عونه ونصرته، ويظن الطغاة عندما يرون ذلك أن الله - ﷻ - قد تخلى عن عباده، وأنهم لا ناصر لهم ولا معين، فيوغلون في الطغيان ويزيدون في التضييق على المؤمنين حتى إذا بلغ الضر بالمؤمنين غايته وقالوا من شدة الكرب متى نصر الله؟ جاءهم من الله الفرج يقول الله - ﷻ - ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** ﴾{البقرة214} .

﴿ **حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ** ﴾{يوسف110} .

يقول سيد قطب - رحمه الله -:

" إنها صورة رهيبة، ترسم مبلغ الشدة والكرب والضيق في حياة الرسل، وهم يواجهون الكفر والعمى والإصرار والجحود، وتمر الأيام وهم يدعون فلا يستجيب لهم إلا قليل، وتكر الأعوام والباطل في قوته، وكثرة أهله ، والمؤمنون في عدتهم القليلة وقوتهم الضئيلة .

إنها ساعات حرجة، والباطل ينتفش ويطغى ويبطش ويغدر، والرسل ينتظرون الوعد فلا يتحقق لهم في هذه الأرض، فتهجس في خواطرهم الهواجس، تراهم كُذِبوا؟ ترى نفوسهم كذبتهم في رجاء النصر في هذه الحياة الدنيا؟

وما يقف الرسول هذا الموقف، إلا وقد بلغ الكرب والحرج والضيق فوق ما يطيقه بشر، ..... في هذه اللحظة التي يستحكم فيها الكرب، ويأخذ فيها الضيق بمخانق الرسل، ولا تبقى ذرة من الطاقة المدخرة، في هذه اللحظة يجيء النصر كاملاً حاسماً فاصلاً: (جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)

تلك سنة الله في الدعوات، لا بد من الشدائد، ولا بد من الكروب، حتى لا تبقى بقية من جهد ولا بقية من طاقة، ثم يجيء النصر بعد اليأس من كل أسبابه الظاهرة التي يتعلق بها الناس .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

يجيء النصر من عند الله، فينجو الذين يستحقون النجاة، ينجون من الهلاك الذي يأخذ المكذبين، وينجون من البطش والعسف الذي يسلطه عليهم المتجبرون،ويحل بأس الله بالمجرمين، مدمراً ماحقاً لا يقفون له، ولا يصده عنهم ولي ولا نصير "[1] .

ولعل الحكمة من ذلك:

" ألا يكون النصر رخيصاً فتكون الدعوات هزلاً، فلو كان النصر رخيصاً لقام في كل يوم دعيٌّ بدعوة لا تكلفه شيئاً، أو تكلفه القليل، ودعوات الحق لا يجوز أن تكون عبثاً ولا لعباً، فإنما هي قواعد للحياة البشرية ومناهج ، ينبغي صيانتها وحراستها من الأدعياء "[2] .

[1] في ظلال القرآن ج4 ص2035- 2036

[2] المرجع السابق ج4 ص2036

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الفصل الثاني

خفة الشعوب في ضوء القرآن الكريم

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

التمهيد وفيه: دور الشعوب في صناعة الطغيان

المبحث الأول: الفسوق سبب طاعة المُستَخَفِ بهم للطغاة

المبحث الثاني: الاستخفاف في ضوء القرآن الكريم

المبحث الثالث: وسائل استخفاف الطغاة للشعوب

المبحث الرابع: نماذج تطبيقية على الخفة والاستعلاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

التمهيد:

دور الشعوب في صناعة الطغيان:

تناول الباحث في الفصل الأول الجانب المتعلق بالطغاة، وما يمكن أن يحدثوه من خراب ودمار على مستوى الأفراد والشعوب، وفي هذا الفصل يحاول الباحث أن يجيب عن سؤال كبير ومُلِحْ! أين الشعوب من كل هذا؟ وبصيغة أخرى هل الشعوب بريئة، ولا علاقة لها بقيام الطغيان وانتصاب الطاغية؟ أم أن الشعوب هي التي تصنع الطغاة، وتشكل من مجموع أفرادها التربة والبيئة التي تنموا فيها بذرة الطغيان؟

ربما ما كان هذا السؤال لِيُطْرَح لولا أن كثيراً من الخطباء والوعاظ، وأصحاب الأقلام من الكتاب والصُحُفِيين يُلْقُون بالتبعة واللوم فيما آلت إليه أحوال المسلمين من ظلم وطغيان على كاهل الحكام والمتنفذين؛ دون الإشارة من قريب أو بعيد لدور الشعوب، وكأن هذه الشعوب منزهة وبريئة، وهي في كل الأحوال الضحية والحاكم هو الجلاد .

يقول الكاتب الليبي صالح السنوسي:

" ينصب الاتجاه العام للنقد الذاتي العربي على طرفين، هما السلطة والمثقف بينما لا نكاد نقع على نقد صريح للطرف الثالث، والذي نعتقد أنه هو الأهم والمتمثل في الشعب أو الجماعة أو الجماهير وذلك بحسب المصطلح الذي يختاره الباحث.

ففي كل الأحوال إذا ما جرى الحديث عن هذه الجماهير فإن النقد يقدمها على أنها الضحية فقط، سواء كانت ضحية للسلطة، أو للمثقف، أو للغرب، بينما يغض الطرف أو ينسى أن موقف الضحية لا يعفيها من مسؤولية المحاولة للخروج من هذا الوضع "[1] .

إن العقل[2] والنقل يشيران بوضوح إلى دور الشعوب في صناعة الطغيان، وتمكين الطغاة، وأنه لولا الشعوب ما كان طغيان ولا كان طغاة .

فالعقل يطرح مجموعة من التساؤلات المنطقية تفضي في النهاية إلى دور مركزي للشعوب في صناعة الطغيان، من هذه الأسئلة:

- أيهما أسبق الحاكم أم الشعب؟ وبصيغة أخرى: أيهما يُوْجِد الآخر؟ الحاكم يُوْجِد الشعب أم أن الشعب هو الذي يُوْجِد الحاكم؟ .

---

[1] من مقال بعنوان نقد تبرئة الشعوب للكاتب صالح السنوسي انظر- http://aljazeera.net/NR/exeres/9C0186EA-7CC1-47C2-8DBE-7586929F20B2.htm

[2] ليس الباحث ممن يقدمون العقل على النقل، ولكن لما كان البحث دراسة قرآنية أحب الباحث أن يشير إلى موقف العقل سريعاً ثم يترك الحيِّز الأكبر للنقل .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

- ألم يخرج الحكام من بين ظهراني الشعوب وفيهم أخلاق الشعوب وطباعهم؟ فإذا وصلوا إلى الحكم عززوا هذه الأخلاق وهذه الطباع لأنها تخدمهم ؟ .

- أليس من سنة الله في خلقه انه لابد لكل مخلوق من بيئة تناسبه لينمو ويتكاثر فيها، فإن لم تكن الشعوب هي البيئة التي تحتضن الطغيان فمن تكون؟

- أليس الطغيان كالبنيان لا يعلو ويرتفع شامخاً إلا على أرض صلبة؟ - والشعوب هي أرضه- ومادامت الأرض مستقرة ثابتة بقي البنيان قائماً شامخاً، فإذا مارت الأرض من تحته وتزلزلت استحال إلى ركام؟ .

- أيهم الأقوى الحاكم أم الشعب؟ لنتخيل ما الذي يمكن أن يحدث لأي نظام سياسي التزم شعبه البيوت وامتنع عن العمل مدة أسبوع أو شهر؟

لنتخيل ما الذي يمكن أن يحدث لأي نظام سياسي لو أن شعبه سار في طوابير نحو الحدود طالباً الهجرة ؟

إن أدوات التغير التي تملكها الشعوب أقوى بكثير من وسائل البطش والتعذيب التي يملكها الطغاة .

ولكن إذا انحرف الشعب عن منهاج الله - ﷻ - ، وتخلى عن دوره في محاسبة الحاكم، وتسابق المفكرون والمثقفون والأدباء والشعراء يتزلفون للحاكم، ويلقون بأنفسهم على أعتابه، رغبة في ثوابه، أو خوفاً من عقابه، وتبعتهم العوام في ذلك، فإن هذا ولا شك سينحرف به من الفضيلة إلى الرذيلة ومن العدل إلى الظلم، ومن مهابة الشعب إلى الاستخفاف به .

روى ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان هذه القصة التي تدل على إسهام الشعراء والأدباء قبل غيرهم في صناعة الطغاة، يقول: " قال أشجع السلمي[1] الشاعر المشهور: أَذِنَ الخليفة المهدي للناس في الدخول عليه فدخلنا، فأمرنا بالجلوس، فاتفق أن جلس بجانبي بشار بن برد وسكت المهدي فسكت الناس، فسمع بشار حساً فقال لي: من هذا فقلت: أبو العتاهية، فقال: أتراه ينشد في هذا المحفل فقلت: أحسبه سيفعل، فقال: فأمره المهدي أن ينشد، فأنشد:

ألا ما لسيدتي ما لها أدلت فأجمل إدلالها

قال: فنخسني بشار بمرفقه وقال: ويحك! أرأيت أجسر من هذا؟ ينشد مثل هذا الشعر في مثل هذا الموضع، حتى بلغ إلى قوله:

---

[1] أشجع بن عمرو السلمي، أبو الوليد، من بني سليم، من قيس عيلان: شاعر فحل، كان معاصرا لبشار. ولد باليمامة ونشأ في البصرة، وانتقل إلى الرقة واستقر ببغداد. الأعلام للزركلي ج1 ص331

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

أتتـــــه الخلافـــــة منقـــــادة إليـــــه تجرجـــــر أذيالهـــــا
فلـــم تـــك تـــصلح إلا لـــه ولـــم يـــك يـــصلح إلا لهـــا
ولـــو رامهـــا أحـــد غيـــره لزلزلـــــت الأرض زلزالهـــــا
ولـــو لـــم تطعـــه بنـــات القلـــوب لمـــــا قبـــــل الله أعمالهـــــا

فقـــال لـــي بشـــار: انظر ويحك يا أشجع، هل طار الخليفة عن عرشه؟ قال أشجع: فوالله ما انصرف أحد عن هذا المجلس بجائزة غير أبي العتاهية "[1].

نعم حُقَّ للخليفة أن يطير عن عرشه، ولم لا وقد أنزله هذا الشاعر منزلة الرسل الكرام الذين لا تجوز مخالفتهم، ولو لم تطعه بنات القلوب ... لمـــا قبـــل اللـــه أعمالها

بل إن الشاعر الأندلسي محمد بن هاني[2] قد جاوز في مدح المعز الفاطمي حتى مدحه بقوله:

ما شـــئت لا مـــا شـــاءت الأقـــدار فـــاحكم فأنـــت الواحـــد القهـــار

" فالشعوب التافهة في كل زمان ومكان هـــي التـــي تـــصنع المـــستبدين وتغـــريهم بـــالأثرة والجبروت"[3]

يقول الشيخ عبد الرحمن الكواكبي - رحمه الله -: " الطاغية يتجاوز لأنه لا يـــرى حـــاجزاً، فلو رأى الظالم على جنب المظلوم سيفاً لما أقدم على الظلم، كما قيل الاستعداد للحرب يمنـــع الحرب "[4] .

ويقول في موضع آخر: " الطاغية إنسان، والإنسان أكثر ما يألف الغنم والكـــلاب، فالطاغيـــة يود أن تكون رعيته كالغنم ذلاً وطاعة، وكالكلاب تذللاً وتملقاً، وعلـــى الرعيـــة أن تكـــون

---

[1] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بـــن خلكـــان ج1 ص221

[2] ابن هاني شاعر العصر أبو الحسن، محمد بن هاني الأزدي المهلبي الأندلسي، يقال: إنه من ذرية المهلب وكان أبوه شاعرا أيضا، ويكنى محمد أبا القاسم أيضا، مولده بإشبيلية، وكان ذا حظوة عند صاحب إشبيلية. ونظمه بديع في الذروة، وكان حافظا لأشعار العرب وأيامها، لكنه فاسق .... ، اتصل بالمعز العبيدي، فأنعم عليه، وشرب عند قوم، فخنق في رجب سنة اثنتين وستين وثلاث مائة، وهو في عشر الخمسين. سير أعلام النبلاء ج16 ص131

[3] الفساد السياسي في المجتمعات الإسلامية ص61

[4] طبائع الاستبداد ص34 بتصرف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

كالخيل إن خُدمت خَدمت، وإن ضُرِبت شرست[1]، بل عليها أن تعرف مقامهـا، هـل خُلِقَـت خادمة للطاغية؟ أم هي جاءت به ليخدمها فاستخدمها؟ والرعية العاقلة تقيد وحـش الطغيـان بزمام تستميت دون بقائه في يدها، لتأمن من بطشه، فإن شمخ هزت به الزمـام، وإن صـال ربطته "[2] .

ويقول مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله -: " لا كبير إلا بصغير، ولا قوي إلا بضعيف، ولا طاغية إلا بذليل "[3] .

ويقول في موضع آخر: " إن كل صحيح يكون فاسداً، إذا لم يكن الجمهور صحيحاً "[4] .

ويقول الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله -: " يوم تقوم سياسة أمـة علـى كتمـان الحـق، وهجران المعروف وإهمال المنكر، وترك الأباطيل تستشري وتستعلن، والـسفاهات تطفـوا وتنمو، فأنى تفلح أو تنجو!؟ "[5] .

ويقول في موضع آخر: " لو أن سوط الظلم إذا مس جسد مسكين تأوه له ألوف، وسرى الألم إلى جلودهم فلسعها، فبدلا من أن يصرخ للعدوان صوت فذ، تجاوبـت بـالوجع والغـضب أصوات جمهور غفير، إذاً لفكر الظالم ألف مرة ومرة قبل أن يفكر فـي الإنفـراد بمخلـوق لينهشه!"[6] .

ومن أقواله أيضاً:

- " بعض الناس طغاة لأننا نركع لهم "[7] .
- " إن الفراعنة والأباطرة تألهوا لأنهم وجدوا جماهير تخدمهم بلا وعي "[8] .
- " إنما استكبر من استكبر من الفراعنة والجبابرة لأنهم وجدوا من الرعاع من يسارع إلـى إجابة أهوائهم وإطاعة نزواتهم دون تبصر أو حذر، فعتوا في الأرض وعلو علواً كبيراً، ولو

---

[1] هذه حال الخيول العربية الأصيلة

[2] طبائع الاستبداد ص34 بتصرف

[3] من وحي القلم ج2 ص223

[4] المرجع السابق ج2 ص313

[5] الإسلام والاستبداد السياسي ص151

[6] المرجع السابق ص166

[7] الفساد السياسي في المجتمعات الإسلامية ص67

[8] المرجع السابق ص61

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

أنهم عندما أصدروا أوامر يمليها الغرور، وتنكرها الحكمة، وجدوا من يردها عليهم ويناقشهم الحساب، لتريثوا طويلاً قبل أن يأمروا بباطل "[1] .

أما النقل فقد تظافرت الأدلة من القرآن والسنة على الإشارة إلى مسؤولية الشعوب عما أصابها .

يقول الله - ﷻ -: ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ** ﴾{الشورى30} .

وأيُّ مصيبة أعظم من أن يُسَلَّط على الأمة شرارها، وأن يتحكم في شؤونها طغاتها؟

يقول مصطفى السباعي - رحمه الله -: " أكبر عقاب للأمة المتخاذلة وجود الطاغية فيها، ومن علامة انحدار الأمة أن يتمكن أشرارها من حكمها، ثم يتسلط هؤلاء الأشرار بعضهم على بعض فيشغلوها بأحقادها ومطامعها عن علاج مشكلاتها المحدقة بها "[2]

" فالله - ﷻ - يعاقب على المعصية في الدنيا قبل الآخرة، ومن عقوبته للمجتمع الذي تفشو فيه المظالم أن يسلّط عليه الأشرار والظالمين: ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا** ﴾{الإسراء16}"[3]

" فإذا قدر الله لقرية أنها هالكة لأنها أخذت بأسباب الهلاك، فكثر فيها المترفون، فلم تدافعهم ولم تضرب على أيديهم، سلط الله هؤلاء المترفين ففسقوا فيها، فعم فيها الفسق، فتحللت وترهلت، فحقت عليها سنة الله، وأصابها الدمار والهلاك، وهي المسئولة عما يحل بها لأنها لم تضرب على أيدي المترفين، ولم تصلح من نظامها الذي يسمح بوجود المترفين، فوجود المترفين ذاته هو السبب الذي من أجله سلطهم الله عليها ففسقوا، ولو أخذت عليهم الطريق فلم تسمح لهم بالظهور فيها، ما استحقت الهلاك، وما سلط الله عليها من يَفْسُق فيها ويُفْسِد فيقودها إلى الهلاك .

إن إرادة الله قد جعلت للحياة البشرية نواميس لا تتخلف، وسنناً لا تتبدل، وحين توجد الأسباب تتبعها النتائج فتنفذ إرادة الله وتحق كلمته، والله لا يأمر بالفسق، لأن الله لا يأمر بالفحشاء، لكن وجود المترفين في ذاته، دليل على أن الأمة قد تخلخل بناؤها، وسارت في طريق الانحلال، وأن قدر الله سيصيبها جزاء وفاقاً، وهي التي تعرضت لسنة الله بسماحها للمترفين بالوجود والحياة ..... وهنا تبرز تبعة الجماعة في ترك النظم الفاسدة تنشئ آثارها

---

[1] الفساد السياسي في المجتمعات الإسلامية ص60

[2] هكذا علمتني الحياة: لمصطفى السباعي ص207 بتصرف

[3] المرجع السلبق ص27

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

التي لا مفر منها، وعدم الضرب على أيدي المترفين فيها كي لا يفسقوا فيها فيحق عليها القول فيدمرها تدميراً .

هذه السنة قد مضت في الأولين من بعد نوح، قرناً بعد قرن، كلما فشت الذنوب في أمة انتهت بها إلى ذلك المصير "[1]

ويقول الله - ﷻ -: ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾{الأنفال25}

" رَوَى جُمْهُورُ المفسرين عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَمَرَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَّا يُقِرُّوا الْمُنْكَرَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ فَيَعُمَّهُمُ اللهُ بِالْعَذَابِ "[2] .

يقول سيد قطب - رحمه الله -:

" والفتنة: الابتلاء أو البلاء، والجماعة التي تسمح لفريق منها بالظلم في صورة من صوره - وأظلم الظلم نبذ شريعة الله ومنهجه للحياة - ولا تقف في وجه الظالمين؛ ولا تأخذ الطريق على المفسدين، جماعة تستحق أن تؤخذ بجريرة الظالمين المفسدين، فالإسلام منهج تكافلي إيجابي، لا يسمح أن يقعد القاعدون عن الظلم والفساد والمنكر يشيع - فضلا على أن يروا دين الله لا يتبع؛ بل أن يروا ألوهية الله تتكر وتقوم ألوهية العبيد مقامها - وهم ساكتون، ثم هم بعد ذلك يرجون أن يخرجهم الله من الفتنة لأنهم هم في ذاتهم صالحون طيبون "[3]

ويقول الله - ﷻ -: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾{الأنفال53}

" فالله - تعالى - برحمته قد وضع لسير الأمم سننا مُتَّبَعَةً ﴿ **وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا** ﴾{الأحزاب62}

وأرشدنا سبحانه في محكم آياته إلى أن الأمم ما سقطت من عرش عزها، ولا بادت ومُحِيَ اسمها من لوح الوجود، إلا بعد نكوبها عن تلك السنن التي سنها الله على أساس الحكمة البالغة، إن الله لا يغير ما بقوم من عزة وسلطان ورفاهة وخفض عيش وأمن وراحة، حتى يغير أولئك ما بأنفسهم من نور العقل، وصحة الفكر، وإشراق البصيرة، والاعتبار بأفعال الله في الأمم السابقة، والتدبر في أحوال الذين جَارُوا عن صراط الله فهلكوا، وحل بهم الدمار، ثم

---

[1] في ظلال القرآن ج4 ص2217-2218

[2] تفسير المنار ج9 ص530

[3] في ظلال القرآن ج3 ص1496

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

لعدولهم عن سنة العدل، وخروجهم عن طريق البصيرة والحكمة، حادوا عن الاستقامة في الرأي، والصدق في القول، والسلامة في الصدر، والعفة عن الشهوات، والحمية على الحق، والقيام بنصره، والتعاون على حمايته، خذلوا العدل، ولم يُجْمِعُوا هممهم على إعلاء كلمته، واتبعوا الأهواء الباطلة، وانكبوا على الشهوات الفانية، وأتوا عظائم المنكرات، خارت عزائمهم، فشحوا ببذل مهجهم في حفظ السنن العادلة واختاروا الحياة في الباطل على الموت في نصرة الحق، فأخذهم الله بذنوبهم، وجعلهم عبرة للمعتبرين .

هكذا جعل الله بقاء الأمم ونماءها في التحلي بالفضائل التي أشرنا إليها، وجعل هلاكها ودمارها في التخلي عنها سنة ثابتة لا تختلف باختلاف الأمم، ولا تتبدل بتبدل الأجيال، كسنته - تعالى - في الخلق والإيجاد، وتقدير الأرزاق، وتحديد الآجال"[1] .

وهكذا أدرك الصِّديق - ﷺ - هذه الحقيقة فوقف في الناس محذراً: يَا أيّها النَّاس، إنّكم لتَقرؤُون هذِهِ الآية:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ** ﴾{المائدة105} وإني سمعت رَسُول الله - ﷺ -، يقول: (**إنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يأخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أوشَكَ أنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ**)[2] .

وفي إشارة واضحة من الرسول - ﷺ - إلى مسؤولية الأمة عمَّا يحل بها يقول - ﷺ -: (**يوشكُ الأُمَمُ أنْ تَدَاعَى عليكم كما تَدَاعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها، فقال قائل: من قِلَّة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنَّكم غُثَاء كَغُثَاءِ السَّيْلِ، ولَيَنْزِعَنَّ الله مِنْ صدور عدوِّكم المهابةَ منكم، وليقذفنَّ في قُلُوبكم الوَهْنَ، قيل: وما الوَهْنُ يا رسول الله؟ قال: حُبُّ الدُّنيا، وكراهيَةُ الموتِ**)[3] .

وهكذا تتضافر الأدلة من الكتاب والسنة على بيان مسؤولية الأمة عمَّا يحل بها من طغيان، سواءً كان هذا الطغيان من أحد أفرادها، أو من غريب عنها سُلِّط عليها، فمنهج الإسلام يجعل من الطاغية كالقابل بالطغيان، والظالم كمن ارتضى الظلم، في وحدة المصير، وإن اختلفت الدرجة، وتفاوتت المدة، فكلاهما ينتهي به الأمر إلى النار، يقول الله - ﷻ - في حق

---

[1] تفسير المنار ج10 ص38

[2] سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ح4338، والترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يُغَيَّر المنكر، ح2168، قال الألباني حديث صحيح .

[3] سنن أبي داود: كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام ح4297، قال أيمن صالح شعبان: إسناده حسن، انظر جامع الأصول في أحاديث الرسول، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ج10 ص28 ح7481

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الطاغية: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۞ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى** ﴾ {النازعات37-39} .

ويقول في حق من يركن إلي الطغاة ويرتضي الظلم: ﴿ **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ... ﴾{هود113}"[1]

ويقول: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾{النساء97}

وقد سبق وأن أشار الباحث بإيجاز إلى قوله تعالى: ﴿ **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** ﴾{الزخرف54} وهو ما سيتناوله الباحث بالتفصيل في هذا الفصل .

[1] انظر مقدمة كتاب طبائع الاستبداد لأسعد السحمراني ص10

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المبحث الأول

الفسوق سبب طاعة المُسْتَخَفِ بهم للطغاة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الفسوق لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: أسباب الفسوق

المطلب الثالث: العلاج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الفسوق سبب طاعة المُسْتَخَفِ بهم للطغاة:

علل المولى - ﷻ - طاعة قوم فرعون لفرعون بكونهم فاسقين ﴿ **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** ﴾{الزخرف54}

يقول سيد قطب - رحمه الله -: " وما كان فرعون بقادر على أن يستخف قومه فيطيعوه، لو لم يكونوا فاسقين عن دين الله؛ فالمؤمن بالله لا يستخفه الطاغوت، ولا يمكن أن يطيع له أمراً، وهو يعلم أن هذا الأمر ليس من شرع الله "[1]

ويقول في موضع آخر: " ولا يملك الطاغية أن يفعل بالجماهير هذه الفعلة إلا وهم فاسقون لا يستقيمون على طريق، ولا يمسكون بحبل الله، ولا يزنون بميزان الإيمان، فأما المؤمنون فيصعب خداعهم واستخفافهم واللعب بهم كالريشة في مهب الريح "[2] .

المطلب الأول الفسوق لغة واصطلاحاً:

الفسوق لغة: " فسق: الفاء والسين والقاف كلمة واحدة، وهي الفِسْق، وهو الخروج عن الطَّاعة، تقول العرب: فَسقَتِ الرُّطَبَةُ عن قِشْرها: إذا خرجَتْ "[3] .

وفي معجم الألفاظ والأعلام القرآنية:

" فسق كل ذي قشر، خرج عن قشره، ويقال فسقت الرطبة عن قشرها: أي خرجت عن قشرتها، وأصل الفسق في اللغة الخروج عن الشيء، وفسق فلان يفسق: عصى وجاوز الشرع فهو فاسق، والفسق والفسوق: العصيان، والضلال، والكفر، والنفاق، وكل ما فيه خروج عن الإسلام "[4].

يقول الراغب الأصفهاني: فسق فلان عن حَجْرِ الشرع وذلك من قولهم فسق الرطب إذا خرج عن قشره، وهو أعم من الكفر، والكفر والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير، لكن تُعُورِفَ فيما كان كثيراً، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقر به ثم أخل بجميع أحكامه أو ببعض، وإذا قيل للكافر الأصلي فاسق فلأنه أخل بحكم ما ألزمه العقل، واقتضته الفطرة، قال تعالى: ﴿ ... **فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ** ... ﴾{الكهف50}، ﴿ ... **فَفَسَقُوا فِيهَا** ... ﴾{الإسراء16}

---

[1] في ظلال القرآن ج3 ص1354

[2] المرجع السابق ج5 ص3194

[3] معجم مقاييس اللغة ج4 ص502

[4] معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص298

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

﴿ ... **وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾{آل عمران110}، ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ** ﴾{السجدة18}، فقابل به الإيمان، فالفاسق أعم من الكافر، والظالم أعم من الفاسق"[1]

الفسوق اصطلاحاً: ومما سبق نستخلص أن الفسوق في الاصطلاح هو الخروج عن حدود الشرع .

وفي كتاب الله ذُكِرَ الفسوق على نوعين: مفرد مطلق، ومقرون بالعصيان .

فالمقرون بالعصيان: كقوله تعالى: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ** ﴾{الحجرات7} .

والمفرد نوعان: فسوق كفر يخرج عن الإسلام، وفسوق لا يخرج عن الإسلام .

الأول: فسوق كفر يخرج عن الإسلام (فسوق الاعتقاد):

كقوله - ﷻ -:﴿ **وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ** ﴾{البقرة99} .

وقوله: ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ** ﴾{السجدة20}، فهذا فسوق كفر .

الثاني : الفسوق الذي لا يخرج عن الإسلام (فسوق العمل):

فكقوله - تعالى -:﴿ ... **وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾{البقرة 282} .

وقوله:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾{الحجرات6}[2] .

" وقد وردت مشتقات الفسق في القرآن أربعاً وخمسين مرة "[3].

المطلب الثاني أسباب الفسوق:

بتتبع الآيات التي وردت فيها مشتقات كلمة الفسق، وجد الباحث أن أجمع الآيات وأكثرها وضوحاً في بيان أسباب الفسق، هي قوله – تعالى -: ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾{الحشر19}[4]، وذلك أنها الآية الوحيدة التي ذكرت أسباب الفسوق بشكل عام وشامل، وما ذُكِرَ فيما سواها يندرج تحتها .

---

[1] المفردات في غريب القرآن ص380

[2] انظر مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، ج1 ص359

[3] معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص298

[4] وردت جملة (هم الفاسقون) في مواضع ستة من القرآن الكريم: الأول في سورة آل عمران (فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)82، والثاني في سورة المائدة (وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

نماذج من أقوال المفسرين في معنى النسيان:

قوله - تعالى -: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ) " ولا تكونوا كالذين تركوا أداء حقّ الله الذي أوجبه عليهم "[1]، " تركوا أمره "[2]، " تركوا عبادة الله وامتثال ما أمر واجتناب ما نهى "[3] " نسوا دين الله وميثاقه الذي واثقهم به "[4]، " تركوا ذكر الله - ﷻ - وما أمرهم به "[5] .

والملاحظ على أقوال المفسرين أن الخلاف بينها لفظي مع المحافظة على المعنى، وبناءً عليه يقرر الباحث أن المقصود بنسيان الله - ﷻ - نسيان منهاجه الذي أوحى به إلى رسله، والذي يحدد الكيفية التي يذكر بها الله - ﷻ - في كل حالة من الحالات التي تَعْرِض للإنسان في حياته، فمثلاً إذا أمر الله - ﷻ - أمراً فَذِكْر الله - ﷻ - في هذه الحالة يكون بالتزام أمره، وإذا نهى - ﷻ - عن أمر يكون ذكره - ﷻ - بالانتهاء عن هذا الأمر، وإذا انعم الله - ﷻ - على إنسان بنعمة فإن ذكر الله - ﷻ - يكون بالشكر على هذه النعمة وهكذا، فإذا لم يفعل الإنسان ذلك كان ناسياً لله - ﷻ - ويؤيد ذلك ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: (**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**)[6]

يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)47، والثالث في سورة التوبة (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)67، والرابع والخامس في سورة النور(وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)4، (...وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)55، والسادس في سورة الحشر (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)19.

[1] جامع البيان في تأويل القرآن ج23 ص300، وانظر الكشاف ج6 ص84، ومفاتيح الغيب ج29 ص253، ولباب التأويل في معاني التنزيل ج1 ص323، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ج8 ص232

[2] زاد المسير في علم التفسير ج8 ص224، وانظر الجامع لأحكام القرآن ج18 ص43، والنكت والعيون ج5 ص511، ولباب التأويل في معاني التنزيل ج7 ص71، وبحر العلوم ج3 ص409

[3] تفسير البحر المحيط ج8 ص249، وانظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج7 ص535

[4] التحرير والتنوير ج28 ص113

[5] تفسير النسفي ج4 ص192، وانظر تفسير القرآن العظيم ج8 ص77

[6] أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب قول الله - تعالى -: (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان) ح5878، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله، ح57

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

عقوبة نسيان الله - ﷻ -:

لما كان الله - ﷻ - هو العدل فقد جعل جزاء من ينساه من جنس عمله، فقال - جل في علاه -: ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ** ... ﴾{الحشر19} .

وهذه طائفة من أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى: (**فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ**)

أي " حظّ أنفسهم "[1] .

" فجعلهم ناسين حق أنفسهم بالخذلان، حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده، أو فأراهم يوم القيامة من الأهوال ما نسوا فيه أنفسهم "[2]، " أنساهم حالهم حتى لم يعملوا لأنفسهم ولم يقدموا لها خيرا "[3] .

يقول ابن قيِّم الجوزية: " فتأمل هذه الآية تجد تحتها معنى شريفًا عظيمًا، وهو: أن من نسي ربه أنساه ذاته ونفسه، فلم يعرف حقيقته ولا مصالحه، بل نسي ما به صلاحه وفلاحه في معاشه ومعاده، لأنه خرج عن فطرته التي خُلِقَ عليها، فنسي ربه فأنساه نفسه وصفاتها وما تكمل به وتزكو به وتسعد به في معاشها ومعادها، قال – تعالى -: ﴿ **وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾{الكهف28} فغفل عن ذكر ربه فانفرط عليه أمره وقلبه، فلا التفات له إلى مصالحه، وكماله وما تزكو به نفسه وقلبه، بل هو مشتت القلب مضيعه، مفرط الأمر حيران لا يهتدي سبيلاً.

فالعلم بالله أصل كل علم، وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله ومصالح دنياه وآخرته، والجهل به مستلزم للجهل بنفسه ومصالحها وكمالها وما تزكو به وتفلح به، فالعلم به سعادة العبد والجهل به أصل شقاوته "[4]

ولكن يطرأ هنا سؤال لابد من الإجابة عليه وهو: كيف ينسى الإنسان نفسه؟

وللإجابة على هذا السؤال لابد من الوقوف على حقيقة ذات الإنسان، ومن القرآن ذاته .

حقيقة ذات الإنسان:

" خلق الله - ﷻ - هذا الإنسان جسماً كثيفاً وروحاً شفافاً، جسماً يشده إلى الأرض لأنها أصله، وروحاً يتطلع إلى السماء لأنها مصدره، جسماً له دوافعه وشهواته، وروحاً له آفاقه وتطلعاته، جسماً له مطالب أشبه بمطالب الحيوان، وروحاً له أشواق كأشواق الملائكة .

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن ج23 ص300، وتفسير البحر المحيط ج8 ص249، وانظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج5 ص291، ولباب التأويل في معاني التنزيل ج7 ص71

[2] الكشاف ج6 ص84، مفاتيح الغيب ج29 ص253، وانظر تفسير البيضاوي ج1 ص323

[3] بحر العلوم ج3 ص409

[4] مفتاح دار السعادة ج1 ص178

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

هذه الطبيعة المزدوجة ليس أمراً طارئاً على الإنسان، ولا ثانوياً فيه، بل هي فطرته التي فطره الله عليها، وأهَّله بها للخلافة في الأرض، منذ خلق آدم خلقاً جمع بين قبضة الطين ونفخة الروح ﴿ **ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ** ﴾{السجدة6-9}"[1]، ومنهج الإسلام يتعامل مع الإنسان على هذا الأساس أنه - ذو طبيعة مزدوجة – فلم يغفل الروح من أجل الطين، ولم يغفل الطين من اجل الروح، بل زاوج بينهما في وحدة متسقة ملتئمة، أعطى فيها الروح حقه، والجسد حقه، في غير إفراط ولا تفريط "[2]

لذلك نلاحظ أنه لما عصى آدم - عليه السلام - ربه، وأكل من الشجرة التي نهاه الله - عز وجل - عنها، كان عقابه من جنس معصيته ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۞ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** ﴾{البقرة35-36}، أي أن تكون الأرض موضع قراره[3]، والمتاع ما يستمتع به من أكل ولبس وحياة وحديث وأُنْس وغير ذلك، ومنه سميت متعة النكاح لأنه يتمتع بها[4] .

فلما تاب وأناب، وعده الله - عز وجل - بأمر آخر؛ وهو إرسال الرسل وإنزال الكتب للهداية ﴿ **فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾{البقرة37-39} .

والذي يمعن النظر في الموضعين، يلاحظ ما يأتي:

- جُعِلَ غذاء الجسد في الأرض، لأن أصل الجسد من الأرض (وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)

- جُعِلَ غذاء الروح من عند الله، لأن أصل الروح من عند الله - عز وجل - (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى)

---

[1] الإيمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوي ص72 بتصرف يسير

[2] انظر الإيمان والحياة ص72

[3] انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج1ص49

[4] الجامع لأحكام القرآن ج1 ص321

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

- رتب المولى - ﷻ - سعادة الإنسان أو شقاءه على اتباع هداه الذي هو غذاء الروح (فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) .

وفي موضع آخر: ﴿ **قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۞ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى** ﴾{طه123-126}

ولا يختلف اثنان على أن المقصود بهدى الله - ﷻ - في الموضعين السَّابِقَيْن: منهاج الله - ﷻ - المتمثل في رسالاته التي أوحى بها إلى رسله ليبلغوها إلى عباده، وقد سمى الله - ﷻ - هذا الهدى روحاً في أكثر من موضع في كتاب الله، يقول الله - ﷻ -: ﴿ **رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ** ﴾{غافر15}، ويقول - جل في علاه -: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾{الشورى52}، فسمى وحيه روحاً، لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح التي هي الحياة في الحقيقة، ومن عَدِمَها فهو ميت لا حي، والحياة الأبدية السرمدية[1] في دار النعيم، هي ثمرة حياة القلب بهذا الروح الذي أوحى إلى رسوله، فمن لم يحيا به في الدنيا، فهو ممن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا، وأعظم الناس حياة في الدور الثلاث دار الدنيا ودار البرزخ ودار الجزاء أعظمهم نصيبا من الحياة بهذه الروح ..... وسماه نورا لما يحصل به من استنارة القلوب وإضاءتها، وكمال الروح بهاتين الصفتين بالحياة والنور، ولا سبيل إليهما إلا على أيدي الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم –، والاهتداء بما بعثوا به، وتلقي العلم النافع والعمل الصالح من مشكاتهم، وإلا فالروح ميتة مظلمة، يقول الله - ﷻ -: ﴿ **أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾{الأنعام122}[2] وفي موضع آخر ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾{الأنفال24} فكما أن الإنسان لا حياة له حتى ينفخ فيه الملك الذي هو رسول الله

---

[1] السرمد: الدائم، تهذيب اللغة ج13 ص152

[2] انظر التفسير القيم لابن القيم ص434

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

مـــن روحـــه، فيصيـــر حيا بذلك النفخ، وإن كان قبل ذلك من جملة الأموات، فكذلك لا حياة لروحه وقلبه حتى ينفخ فيه الرسول - يقصد الرسول البشري - من الروح الذي ألقي إليه[1].

" ولذا فكل المحاولات لإسعاد الروح الشقية – عن غير طريـــق خالقهـــا – بـــاءت بالفـــشل، فالتعامل مع الروح بدون هدى من الله - ﷻ - كمن يتكلم مع عجوز صينية باللغـــة العربيـــة الفصحى، لن تفقه منه شيئاً، ولن تستفيد، وكذلك علاج الروح دون معرفة سر شقائها عبـــث وزيادة إشقاء لها، والروح لن ترتاح إلا بإشباعها، ولن تـــشبع إلا بمنهـــاج ربهـــا وعبادتـــه والاتصال به والأنس بحضرته وجلاله ﴿ **الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾{الرعد28}

إن أنعم إنسان في الأرض إذا جاعت معدته وأخذت تتلوى من ألم الجوع فلن يسكنها القناطير الذهبية؛ ولا الهتافات الشعبية، ولا الأبراج الشاهقة والسيارات الفارهة، لن يـــشبعها إلا قليـــل من الطعام يدخلها فيسكت الألم الذي يعتصرها، وذلك لأن منهاج ربهـــا فـــي إشـــباعها هـــو الطعام، وكذلك الروح الجائعة لن تشبعها الدنيا بكاملها لو عرضت عليها، لأن منهاج ربها في إشباعها هو ذكر ربها المتمثل في المنهاج الذي أوحى به إلى رسله "[2]

ومما سبق يمكن أن نستنتج أن غذاء الروح الذي به حياتها، ومن عدمه يكون موتها، وبحسبه تثقل أو تخف في ميزان ربها يوم القيامة، هو منهاج ربها المتمثل بالوحي الموحى إلى الرسل كلٌ حسب الزمان والمكان المرسل فيه .

إلا أن معرفة حقيقة الذات الإنسانية لا تقتصر على معرفة طبيعة الخلقة، بل تتعدى ذلك إلـــى معرفة مكانة الإنسان، وقيمة نفسه، عند الله - ﷻ - .

أولاً مكانة الإنسان عند الله - ﷻ -

سبق وأن أشار الباحث إلى أن الإنسان مخلوق مكرم عند الله - ﷻ - ومن مظاهر تكريم الله للإنسان:

- تولـــى اللـــه - ﷻ - بذاته التبشير بقدومه: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّـــي جَاعِـــلٌ فـــي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾{البقرة30} .

- خلقـــه اللـــه - ﷻ - بيديه: ﴿ **قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾{ص75}

- نفخ فيه من روحه:﴿ **ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ** ... ﴾{السجدة9} .

وقال - تعالى -: ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾{ص72} .

---

[1] التفسير القيم لابن القيم ص290

[2] الإسلام ومستقبل البشرية للدكتور عبد الله عزام ص9-10 بتصرف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

- خلقه في أحسن تقويم: ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾{التين4} .

- أمر الملائكة بالسجود لآدم: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾{البقرة34} .

- شرفه بتعليمه الأسماء دون الملائكة: ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾ {البقرة31-32} .

- جعل الإنسان خليفة في الأرض: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾{البقرة30} .

- تفضيل الإنسان على كثير من المخلوقات: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** ﴾{الإسراء70}

- تسخير المخلوقات للإنسان:﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾{الجاثية13} .

فهذه الآيات وغيرها تبين مكانة الإنسان عند الله - ﷻ - .

ثانياً قيمة الإنسان:

ويمكن أن نتبين قيمة الذات الإنسانية من خلال الثمن الذي حدده الله - ﷻ -، يقول الله - ﷻ -: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾{التوبة111} .

فالثمن الذي حدده الله - ﷻ - هو الجنة وليس ذلك فحسب بل يتعداه ليكون الله - ﷻ - هو المشتري .

إن استشعار الإنسان لهذه المعاني – غذاء الروح، مكانة الإنسان عند الله، قيمة الإنسان - يجعله يدرك حقيقة نفسه وقيمة ذاته، فيصبح إنساناً عزيزاً كريماً، كبير النفس، كبير الآمال، إنساناً لا يحني رأسه لمخلوق، ولا يطأطئ رقبته لجبروت أو طغيان أو مال أو جاه، إن شعاره هذه الكلمة: سيد في الكون، عبد لله وحده، وبذلك يتسامى عن جواذب الأرض

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

ومغريات المادة، ويأبى أن يبيع نفسه إلا بالثمن الذي حدده الله - ﷻ -[1]

ولا يمكن للإنسان أن يستشعر هذه المعاني إلا إذا كان ذاكراً لمنهاج ربه، عاملاً بـه، غيـر مفرطٍ ولا مضيع .

أما إذا فرَّط الإنسان وضيع، ونسي منهاج ربه ولم يعمل به أنساه الله حقيقة نفسه، وقيمة ذاته والمكانة التي أرادها الله له، فيأتي من الأعمال ما لا يتناسب مع تلك القيمة، وتلـك الحقيقـة، وذلك الغذاء، فيصبح بهذه الأعمال التي يأتيها فاسقاً .

ملاحظة: لما ذكر الله - ﷻ - أن نسيان العبد لربه بالكلية ينسيه ذاته بالكليـة - (فَأَنْـسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ)- أمكننا ذلك أن نستنتج أن نسيان الله - ﷻ - في أمر ما أو حادثة معينة – نـسيان جزئي – تكون عقوبته نسيان الذات جزئياً بقدر نسيان الإنسان لخالقه، وبناءً على هذا يتـسع معنى الفسوق ويضيق بحسب نسيان الإنسان لربه، فإذا نسي العبد ربه بالكلية اتـسع مفهـوم الفسوق ليكون معناه الكفر، وإذا نسي الإنسان ربه في حادثة معينة ضـاق مفهـوم الفـسوق ليكون معناه المعصية وهذا الاستنتاج يدعم رؤية الباحث في أن هذه الآية هي التـي تحـدثت عن معنى الفسوق بشكل عام وشامل .

وبناءً على ما سبق يمكن أن نرتب الأمور على النحو التالي:

- نسيان الله - ﷻ - يعني نسيان منهاجه المتمثل في رسالاته إلى رسله .

- يقصد بالنفس في قوله تعالى: (فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ) الروح، ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَـةِ إِنِّـي خَالِـقٌ بَشَـرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيـــــهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾{الحجر28-29} .

يقول الإمام أبو حامد الغزالي - رحمه الله -: " ولما كان ملاك الأمر معرفة النفس، عظم الله أمـره ونسبه إلى نفسه تخصيصاً وإكراماً، فقال – تعالى -: (إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طين، فإذا سَوّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحي) فنبـه علـى أن الإنسـان مخلـوق من جسم مدرك بالبصر ونفـس مدركـة بالعقل والبصيرة لا بالحواس، وأضاف جسده إلى الطين وروحه إلى نفسه، وأراد بالروح ما نعنيه بالنفس، منبهاً لأرباب البصائر أن النفس الإنسانية من الأمور الإلهيـة، ..... ولذلك- قال تعالى -: ﴿ **وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرّوح قُلِ الرّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبي** ﴾{الإسـراء85}، ..... وقال - تعالى -: (وَلاَ تَكُونُوا كَالّذِينَ نَسُـوا الله فأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ)، تنبيهاً على تـلازم الأمـرين، وأن نسيـان أحدهما مع نسيان الآخر، ولذلك قال – تعالى -: ﴿ **سَنُرِيهِـمْ آيَاتِنَا**

[1] الإيمان والحياة ص68 بتصرف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾{فصلت53}، وقال - تعالى -: ﴿ **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾{الذاريات21} وما أراد به ظاهر الجسد، فإن ذلك يبصره البهائم، فضلاً عن الناس "[1].

" قال القاشاني[2]: (نَسُوا اللَّهَ) أي بالاحتجاب بالشهوات الجسمانية، والاشتغال باللذات النفسانية (فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ) حتى حسبوها البدن وتركيبه ومزاجه فذهلوا عن الجوهرة القدسية، والفطرة النورية "[3] .

- منهاج الله - ﷻ - المتمثل في رسالاته إلى رسله هو غذاء الروح .

- نسيان المنهاج يعني نسيان الله - ﷻ - صاحب المنهاج، وهذا النسيان في حد ذاته نسيان لغذاء الروح .

- نسيان الروح بلا غذاء يجعل هذه الروح تتعرض للضمور والهزال والخفة ومن ثم الموت، يقول **ابن عجيبة**[4] - رحمه الله -: " غيّبهم عن إصلاحها وعلاجها - يقصد النفس - حتى ماتت في أودية الخواطر والشكوك "[5]، ويقول ابن القيم - رحمه الله -: " فحقيق بالعبد أن يُنْزِل ذكر الله منه بهذه المنزلة وأعظم، فأين هلاك الروح والقلب وفسادهما من هلاك البدن وفساده؟ هذا هلاك لا بد منه وقد يعقبه صلاح لابد، وأما هلاك القلب والروح فهلاك لا يُرْجَى معه صلاح ولا فلاح ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم "[6]

ويقول الشيخ القرضاوي: " إن النظرة المادية للإنسان تجعله يدور حول نفسه فقط، أي حول هواه وشهواته، حول جسده ومتطلباته، حول الجزء الحيواني فيه، وبذلك ينمو ويتضخم الجانب الحيواني المادي في الإنسان على حساب الجوانب التي تضمر وتنكمش، أو تذبل وتموت "[7]

---

[1] ميزان العمل المؤلف: محمد بن محمد أبو حامد الغزالي ج1 ص7

[2] عبد الرزاق بن أحمد ابن أبي الغنائم محمد الكاشي أو الكاشاني أو القاشاني: صوفي مفسر، من العلماء. له كتب، منها: كشف الوجوه الغر في شرح تائية ابن الفارض، واصطلاحات الصوفية، وشرح منازل السائرين للهروي الحنبلي، و السراج الوهاج في تفسير القرآن، و شرح فصوص الحكم لابن عربي، أنظر الأعلام للزركلي ج3ص350

[3] محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي ج16 ص575

[4] صاحب تفسير البحر المديد

[5] البحر المديد ج8 ص24

[6] الوابل الصيب من الكلم الطيب ج1 ص67

[7] الإيمان والحياة ص74-75

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

ويقول سيد قطب - رحمه الله -: " وهي حالة عجيبة، ولكنها حقيقة، فالذي ينسى الله يهيم في هذه الحياة بلا رابطة تشده إلى أفق أعلى، وبلا هدف لهذه الحياة يرفعه عن السائمة التي ترعى، وفي هذا نسيان لإنسانيته "[1] .

" فأي عقوبة أعظم من عقوبة من أهمل نفسه وضيعها ونسي مصالحها وداءها ودواءها وأسباب سعادتها وصلاحها وفلاحها وحياتها الأبدية في النعيم المقيم "[2]

- إذا تعرضت الروح للضمور والهزال أو الموت أصبح الإنسان مثل الحيوان تماماً يعيش بالجسد وللجسد، بل ربما يكون الحيوان خيراً منه .

يقول الإمام الرازي رحمه الله:

"ومن المعلوم أن من بقي مواظباً على طلب اللذات العاجلة، معرضاً عن السعادات الروحانية، فلا يزال يزيد في قلبه الرغبة في الدنيا والنفرة عن الآخرة، ولا تزال تتزايد هذه الأحوال إلى أن يتغير القلب بالكلية، فلا يخطر بباله ذكر الآخرة البتة، ولا يزول عن خاطره حب الدنيا البتة، فتكون حركته وسكونه وقوله وفعله لأجل الدنيا، وذلك يوجب تغيير الخلقة لأن الأرواح البشرية إنما دخلت في هذا العالم الجسماني على سبيل السفر، وهي متوجهة إلى عالم القيامة، فإذا نسيت معادها، وألفت هذه المحسوسات التي لا بدّ من انقضائها وفنائها، كان هذا بالحقيقة تغييراً للخلقة "[3]

يقول الله - ﷻ -: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** ﴾{الجمعة5} .

" فمَن حَمَّلَه سبحانه كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعوا إليه، ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب، فقراءته بغير تدبر ولا تَفَهُّم ولا اتباع له، ولا تحكيم له وعَمَلْ بموجبه، كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها، وحظه منها حملها على ظهره ليس إلا، فحظه من كتاب الله كحظ الحمار من الكتب على ظهره، فهذا المثل وإن كان ضرب لليهود، فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به، ولم يؤدي حقه، ولم يرعه حق رعايته "[4] .

---

[1] في ظلال القرآن ج6 ص3531

[2] كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لإبن قيم الجوزية ج1 ص72

[3] مفاتيح الغيب ج11 ص40

[4] إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية ج1ص165، والأمثال في القرآن لابن قيم الجوزية ج1 ص26

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

- إذا تحقق ذلك أصبح الإنسان فاسقاً، وهبط عن مستوى الإنسانية إلى مستوى الحيوانية، فأصبح كالحمار، ودور الحمار في الحياة بيَّنه الله - ﷻ - في قوله: ﴿ **وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾{النحل8} .

- إذا تحقق ذلك في الإنسان أصبح مطية لغيره، وكان أهلاً لأن يُستَخَفَّ به، فيركبه الآخرون، ويحملون عليه أثقالهم إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، كل ذلك مقابل حفنة من الشعير تُقَدَّم له في نهاية الأمر تُسَمَّى أحياناً مُرَتَّباً، أو منصباً، أو سيارة أو عمارة .... الخ، ﴿ **قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ** ﴾{الأعراف113-114}، كل ذلك يجري دون أن يفكر لحظة في حقيقة ذاته أو قيمة نفسه .

يقول الشيخ الراشد أمدَّ الله في عمره: " كل ذل يُصِيبُ الإنسان من غيره، ويَنَالُه من ظاهره، قريب شفاؤه، ويَسِير إزالته، فإذا نبع الذل من النفس وانبثق من القلب، فهو الداء الدَّويُّ، والموت الخفي "[1] .

والخلاصة أن من نسي منهاج الله، أنساه الله حقيقة نفسه وقيمة ذاته، ومن نسي حقيقة نفسه وقيمة ذاته أصبح فاسقاً، ومن أصبح فاسقاً أصبح مؤهلاً لأن يَستَخِفَّ به غيره ويَجْعَل منه حماراً يَمْتَطِي ظهره .

المطلب الثالث العلاج:

لا يمكن للإنسان أن يتخلص من داء الخفة – خفة الروح – إلا بتوفير الغذاء لها، والغذاء كما أوضح الباحث هو منهاج الله - ﷻ - ففيه يجد الإنسان حياة قلبه وروحه ﴿ **أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ** .... ﴾{الأنعام122} ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** ....﴾{الأنفال24} .

فَالْوَحْيُ – والوحي وحده -[2] هو الذي يعطي النفس ثقلها الحقيقي فلا يستطيع مخلوق بعد ذلك أن يستخف بها .

يقول الله - ﷻ -: ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** ﴾{المزمل5}

---

[1] المنطلق ص55،56

[2] يقصد الباحث بالوحي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فكلاهما وحي، ومن كليهما يتكون منهاج الله - ﷻ - .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

فالقول عينه ثقيلٌ محمله، عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - (كَانَ إِذَا أُوحِيَ إِلَيْهِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ وَضَعَتْ جِرَانَهَا[1]، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَتَحَرَّكَ، وَتَلَتْ قَوْلَ اللَّهِ - ﷻ -: (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا)[2].[3]

لذلك لم تأت الإشارة إلى القرآن بعد الآية محور البحث عبثاً يقول الله - ﷻ -: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۞ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ۞ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾{الحشر18-21} .

فمن تمثل هذا القول تصديقاً وقولاً وفعلاً فإن ذلك سيورثه ثقلاً حقيقياً، وإن كنا لا ندرك كنه هذا الثقل، ولكننا نلمس آثاره، كما في حديث مناقب ابن مسعود - ﷺ - فعن علي - ﷺ - قال: (**أمر رسول الله - ﷺ - ابن مسعود أن يصعد شجرة فيأتيه منها بشيء، فنظر أصحابه إلى حموشة[4] ساقيه فضحكوا منها، فقال رسول الله - ﷺ - ما يضحككم؟ لَرِجْلُ عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد**)[5] .

فإذا علمنا أن عبد الله بن مسعود أول الأربعة الذين أَمَرَ النبي - ﷺ - أمته أن تأخذ عنهم القرآن علمنا سر ثقله في الميزان، فعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَذَكَرْنَا حَدِيثًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ لَا أَزَالُ أُحِبُّهُ بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُهُ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: (**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ نَفَرٍ مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ فَبَدَأَ بِهِ وَمِنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَمِنْ سَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ وَمِنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ**)[6]

---

[1] جِرَانُ البعير: مُقَدَّم عُنُقه من مَذْبَحِهِ، معجم مقاييس اللغة ج1 ص447

[2] المستدرك على الصحيحين ح3865، قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ

[3] انظرجامع البيان في تأويل القرآن ج23 ص681

[4] (حمش) الحاء والميم والشين أصلان: أحدهما التهاب الشيء وهَيْجه، والثاني الدِّقّة. معجم مقاييس اللغة ج2 ص104، والمقصود بحموشة ساقيه في الحديث دقتهما .

[5] أخرجه أحمد ج2 ص243 ح920 من حديث أم موسى، قال شعيب الأرنؤوط صحيح لغيره وهذا إسناد حسن .

[6] صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله تعالى عنهما، ح2464، والمقصود بابن أم عبد: عبد الله بن مسعود ﷺ

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الاستخفاف في ضوء القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: الخفة لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: مظاهر استخفاف فرعون لقومه

المطلب الثالث: الطاغية مُستَخِفٌ بغيره مُستَخَفٍ به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المطلب الأول الخفة لغة واصطلاحاً:

يقول الله - ﷻ -: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ۞ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ۞ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ۞ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۞ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ۞ **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** ۞ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴾{الزخرف46-56}

الخفة لغة:

" خـف: الخاء والفاء أصلٌ واحد، وهو شيءٌ يخالف الثِّقَل والرَّزانة، يقال خَفَّ الشّيءُ يَخِفُّ خِفَّةً، وهو خفيف وخُفَافٌ، ويقال أَخَفَّ الرّجُل، إذا خَفّت حالُه، وأخَفَّ، إذا كانت دابّتُه خفيفةً، وخَفَّ القومُ: ارتحلوا،..... وَ الخِفُّ: الخَفِيف "[1].

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله:

" الخِفُّ: كلّ شيءٍ خَفَّ مَحْمَلُهُ، والخِفَّةُ: خِفَّةُ الوَزْنِ، وخِفَّةُ الحال، وخفّة الرَّجُل: طيشُه وخِفَّتُهُ في عمله، والفِعلُ من ذلك كُلِّه: خَفَّ يَخِفُّ خِفَّةً فهو خفيفٌ، فإذا كان خفيفَ القَلْب في تَوَقُّدِهِ فهو خُفافٌ، يُنْعَت به الرَّجل كالطَّويل والطُّوال، والعَجيب والعُجاب، وكأنّ الخُفافَ أخفّ من الخفيف ..... وأخَفَّ فلانٌ إذا خفّت حالُه أي: رَقَّتْ، وأَخَفَّ الرَّجلُ: قَلَّ ثَقَلُهُ في سَفَرٍ أو حَضَرٍ "[2]

وفي لسان العرب:

"الخَفَّةُ والخِفّةُ ضِدُّ الثِّقَلِ والرُّجُوحِ يكون في الجسم والعقلِ والعملِ،خفَّ يَخِفُّ خَفّاً وخِفَّةً صار خَفِيفاً فهو خَفِيفٌ وخُفافٌ بالضم وقيل الخَفِيفُ في الجسم والخُفاف في التَّوَقُّد والذكاء وجمعها خِفافٌ... والخِفُّ كل شيء خَفَّ مَحْمَلُه والخِفُّ بالكسر الخفيف وشيءٌ خِفٌّ خَفِيفٌ "[3]

---

[1] معجم مقاييس اللغة ج2 ص154

[2] كتاب العين ج4 ص144، وانظر تهذيب اللغة ج7 ص8

[3] لسان العرب ج9 ص79

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

قال الراغب الأصفهاني:

" خف: الخفيف بإزاء الثقيل ويقال ذلك تارة باعتبار المضايفة بالوزن وقياس شيئين أحدهما بالآخر نحو درهم خفيف، ودرهم ثقيل.

والثاني: يقال باعتبار مضايفة الزمان نحو فرس خفيف وفرس ثقيل إذا عدا أحدهما أكثر من الآخر في زمان واحد.

الثالث: يقال خفيف فيما يستحليه الناس، وثقيل فيما يستوخمونه، فيكون الخفيف مدحا والثقيل ذما ومنه قوله – تعالى -: ﴿ **الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ** ﴾{الأنفال66} - ﴿ **فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ** ﴾{البقرة86} وأرى أن من هذا قوله: ﴿ **حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا** ﴾{الأعراف189} .

الرابع: يقال خفيف فيمن يطيش، وثقيل فيما فيه وقار، فيكون الخفيف ذما، والثقيل مدحا .

الخامس: يقال خفيف في الأجسام التي من شأنها أن ترجحن إلى أسفل، كالأرض والماء[1]، يقال خف يخف خفا وخفة، وخففه تخفيفا، وتخفف تخففا، واستخففته وخف المتاع الخفيف، ومنه كلام خفيف على اللسان، قال – تعالى -: (فاستخف قومه فأطاعوه) أي حملهم أن يخفوا معه أو وجدهم خفافا في أبدانهم وعزائمهم .

نماذج من أقوال المفسرين في معنى الاستخفاف:

" (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ) قال ابن الأعرابي: المعنى فاستجهل قومه (فَأَطَاعُوهُ) لخفة أحلامهم وقلة عقولهم[2]؛ يقال: استخفه الفرح: أي أزعجه، واستخفه: أي حمله على الجهل؛ ومنه: ﴿ **وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ** ﴾{الروم60} وقيل: استفزهم بالقول فأطاعوه على التكذيب، وقيل: استخف قومه: أي وجدهم خفاف الأول[3]، وهذا لا يدل على أنه يجب أن يطيعوه، فلابد من إضمار بعيد، تقديره وجدهم خفاف العقول فدعاهم إلى الغواية فأطاعوه، وقيل: استخف قومه وقهرهم حتى اتبعوه؛ يقال : استخفه خلاف استثقله، واستخف به أهانه "[4]

---

[1] من الواضح أن في العبارة خطأ، إذ أن المعنى وفق هذا التركيب لا يستقيم، ولعل الصحيح الذي أراده المصنف: خفيف في الأجسام التي من شأنها أن ترجَحنّ إلى أعلى كالنار والهواء، والثَّقيل في الأجسام التي من شأنها أن ترجحِن إلى الأسفل كالأرض والماء.

[2] انظر تفسير القرآن العظيم ج7 ص232

[3] الأول: الرجوع، تهذيب اللغة ج15 ص437

[4] الجامع لأحكام القرآن ج16 ص101

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

" قوله – تعالى -: (فاستخف قومه) قال الفراء: استفزهم وقال غيره: استخف أحلامهم وحملهم على خفة الحلم بكيده وغروره فأطاعوه في تكذيب موسى - عليه السلام - "[1] .

" (فاستخف قومه) فاستفزهم، وحقيقته حملهم على أن يخفوا له ولما أراد منهم، وكذلك استفز من قولهم للخفيف فز "[2] .

" (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ) استجهلهم لخفة أحلامهم[3]، قاله ابن الأعرابي، وقال غيره: حملهم على أن يخفوا لما يريد منهم، فأجابوه لفسقهم "[4] .

" ثم أخبر – تعالى – عن فرعون أنه استخف قومه بهذه المقالة، أي طلب خفتهم وإجابتهم إلى غرضه، فأجابوه إلى ذلك، وأطاعوه في الكفر لفسقهم، ولما كانوا بسبيله من الفساد "[5]

" (فاستخف قومه) فطلب منهم الخفة في مطاوعته، على أن السين للطلب على حقيقتها، كما يقال هم خفوف إذا دعوا، وهو مجاز مشهور وقال ابن الأعرابي: استخف أحلامهم، أي وجدهم خفيفة أحلامهم، أي قليلة عقولهم فصيغة الإستفعال للوجدان، كالأفعال، كما يقال: أحمدته وجدته محموداً، وفي نسبته ذلك للقوم تجوز فأطاعوه فيما أمرهم به إنهم كانوا قوما فاسقين "[6]

" أي فتفرع عن نداء فرعون قومَه، أن أثَّر بتمويهه في نفوس ملئِه، فعجَّلوا بطاعته بعد أن كانوا متهيئين لاتباع موسى لما رأوا الآيات، فالخفة مستعارة للانتقال من حالة التأمل في خلع طاعة فرعون والتثاقل في اتباعه، إلى التعجيل بالامتثال له، كما يخِف الشيء بعد التثاقل.

والمعنى يرجع إلى أنه استخف عقولهم، فأسرعوا إلى التصديق بما قاله بعد أن صدّقوا موسى في نفوسهم لمّا رأوا آياته ..... والسين والتاء في (استخف) للمبالغة في أخَفّ مثل قوله – تعالى -: ﴿**إنّما استْزَلَّهُمْ الشيطان**﴾{آل عمران155} وقولهم: هذا فِعلُ يستفزّ غضَب الحليم"[7]

---

[1] زاد المسير في علم التفسير ج7 ص322، وانظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج7 ص38

[2] الكشاف ج5 ص450، وانظر مفاتيح الغيب ج27 ص188، وتفسير مقاتل بن سليمان ج3 ص193، تفسير النسفي ج4 ص 98

[3] الكشف والبيان ج8 ص339

[4] تفسير البحر المحيط ج8 ص24

[5] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج5 ص60، وانظر البحر المديد ج7 ص33

[6] روح المعاني ج25 ص91، وانظر البحر المديد ج7 ص33

[7] التحرير والتنوير ج25 ص233

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

" (فاستخف قومه) يعني فاستذل قومه (فأطاعوه) يعني حملهم على الخفة فانقادوا له "[1] .

وبالنظر والتأمل في أقوال المفسرين نلاحظ ما يلي:

- أن بعض المفسرين يرى أن السين والتاء في قوله - تعالى - (فاستخف) للطلب على حقيقتها وبناءً على ذلك فسر الخفة: على أنها تعني السرعة لإجابته ومتابعته.

- ورأى آخرون أن السين والتاء للمبالغة في أخَفّ، وفسروا قوله تعالى: (فاستخف) أن فرعون استذلهم وقهرهم وحملهم على أن يخفوا له ولما أراد منهم .

- ورأى فريق ثالث أن السين والتاء للوجدان أي وجد فيهم خفة، وحملوا ذلك على خفة العقول والأحلام، أو خفة العزائم والأبدان .

وإلى هذه الرؤى الثلاث ترجع كل أقوال المفسرين .

مناقشة آراء المفسرين:

أما الرأيان الأول والثاني القائلان: إن السين والتاء في قوله تعالى (فاستخف) للطلب على حقيقتها، أو أن السين والتاء للمبالغة في أخَفّ، فإن سياق الآيات لا يخدمهما، وذلك أن قوله تعالى: (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) ورد في سياق التعقيب على نداء فرعون لقومه: (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ)، فما الذي دعا فرعون إلى هذا النداء، يجيب معظم المفسرين على أن الداعي إلى هذا النداء هو خشية فرعون أن يتأثر قومه بما ظهر على يد موسى - عليه السلام - من المعجزات، يقول الإمام البقاعي رحمه الله: " ولما كان كأنه قيل: لم نادى؟ أجاب بقوله: (قال) أي خوفاً من إيمان القبط، لِمَا رأى من أن ما شاهدوا من باهر الآيات مثله يزلزل ويأخذ بالقلوب: (يا قوم) مستعطفاً لهم، بإعلامهم بأنهم لُحْمَة واحدة، ومستنهضاً بوصفهم بأنهم ذوو قوة على ما يحاولونه، مقررا لهم على عذره في نكثه بقوله: (أليس لي) أي وحدي (ملك مصر) أي كله، فلا اعتراض عَلَيَّ في بني إسرائيل ولا غيرهم، لِيُنْتِج له ذلك على زعمه: أن غلبته على بني إسرائيل، ومقاهرته على إخراجهم من تحت يده، بَغْى على من له الملك، فتكون فساداً، فلا بأس عليه إذا خدع من فعل به ذلك، بما عاهده عليه عند مس الضر "[2]

يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله: " خشِي فرعون أن يَتْبَع قومُه دعوةَ موسى - عليه السلام -، ويؤمنوا برسالته، فأعلن في قومه تذكيرهم بعظمة نفسه، لِيُثَبِّتَهُم

---

[1] بحر العلوم ج3 ص248

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج7 ص36

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

على طاعته، ولئلا يُنْقَل إليهم ما سأله من موسى - عليه السلام -، وما حصل من دَعوته بكشف العذاب، وليحسبوا أن ارتفاع العذاب أمر اتفاقي، إذ قومه لم يطلعوا على ما دار بينه وبين موسى - عليه السلام - من سؤال كشف العذاب "[1] .

ويقول سيد قطب - رحمه الله -: " ولكن الجماهير قد تؤخذ بالخوارق المعجزة، وقد يجد الحق سبيلاً إلى قلوبها المخدوعة، وهنا يبرز فرعون في جاهه وسلطانه، وفي زخرفه وزينته، يخلب عقول الجماهير الساذجة بمنطق سطحي، ولكنه يروج بين الجماهير المستعبدة في عهود الطغيان، المخدوعة بالأبهة والبريق "[2] .

وهذا الذي قاله المفسرون يتناسب مع سياق الآيات، فإذا كان هذا هو الدافع لنداء فرعون، فإن ذلك يعني انه ليس في موقف القهر والغلبة لقومه، ودليل ذلك قوله في بداية كلامه (يا قوم) مستعطفاً لهم، كما أشار لذلك الإمام البقاعي - رحمه الله -، وبناءً على ذلك يصبح قول من قال إن السين والتاء في قوله فاستخف للمبالغة، وفسر الاستخفاف على أن فرعون استذل قومه وقهرهم وحملهم على أن يخفوا له ولما أراد منهم، قولاً غير وجيه وبحاجة إلى إعادة نظر .

أما من قال أن السين والتاء في قوله تعالى (فاستخف) للطلب على حقيقتها وبناءً على ذلك فسر الخفة على أنها تعني السرعة لإجابته ومتابعته.

فإن سياق الآيات يدل على أن قوم فرعون عند هذا النداء كانوا ما زالوا على طاعته، ويسارعون إلى إجابته، لكنه خشي أن يتأثروا كلهم أو بعضهم بما ظهر على يد موسى - عليه السلام - من معجزات، فكان هدفه من النداء إبقاءهم على حالهم الأول، وسياق الآيات يوضح أن فرعون لا يطلب وهذه عادته – أي أنه تعود أن يأمر – ولكنه هنا يستعيض عن ذلك بالخداع والتمويه وليس الطلب، وبناءً على ذلك يصبح القول بأن السين والتاء للطلب على حقيقتها وتفسير (فاستخف) على أن فرعون طلب منهم السرعة لإجابته ومتابعته، ليس وجيهاً أيضاً وبحاجة إلى إعادة نظر .

وبناءً على ذلك يؤيد الباحث الرأي القائل: أن السين والتاء للوجدان، ولكن دلالات كلمة (فاستخف) أعمق غوراً وأبعد مدىً مما ذهب إليه المفسرون القائلون بهذا الرأي من قصر الخفة على العقول والأحلام، أو العزائم والأبدان، ويرى أنه للوصول إلى دلالات هذه اللفظة

---

[1] التحرير والتنوير ج25 ص229

[2] في ظلال القرآن ج5 ص3193

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

– استخف - علينا أن نتتبع المواضع التي وردت فيها في القرآن الكريم، ونتعرف على دلالات الكلمات من خلال القرآن ذاته، ثم الانطلاق من المتفق عليه إلى المختلف فيه .

وبالتتبع نجد أن هذه اللفظة – استخف – وردت في القرآن ثلاث مرات:

مرة بصيغة المضارعة بتاء التأنيث، وذلك في قوله – تعالى -: ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ** ﴾{النحل 80} .

ومرة بصيغة المضارعة بياء المضارعة وذلك في قوله – تعالى -: ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ** ﴾{الروم60} .

ومرة بصيغة الماضي وذلك في قوله – تعالى -: ﴿ **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾{الزخرف54} .

ملاحظات على الآيات:

أما الآية الأولى: ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ** ﴾ فنلاحظ فيها ما يأتي:

1- إن معنى تستخفونها: تجدونها خفيفة المحمل فيخف عليكم نقضها وحملها ونقلها لأنها مصنوعة من الأدم[1] وهذا أمر متفق عليه .

2- إن الخفة صفة ذات لتلك البيوت، بمعنى أن ذات البيوت المصنوعة من الأدم خفيفة الوزن، لذلك يستخفها الناس لينتفعوا بها أثناء سفرهم وإقامتهم، وهذا أمر لا أظن أن أحداً يخالف فيه .

يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله: " والسين والتاء في (تستخفونها) للوجدان، أي تجدونها خفيفة، أي خفيفة المحمل حين ترحلون، إذ يسهل نقضها من مواضعها وطيّها وحملها على الرواحل، وحين تنيخون إناخة الإقامة في الموضع المنتقل إليه، فيسهل ضربها وتوثيقها في الأرض "[2] .

وبناءً على ما سبق يتضح لنا:

- أن خفة هذه البيوت المصنوعة من الأدم خفة ذاتية، لكونها مصنوعة من مادة خفيفة، لا من فعل الناس الواقع عليها .

---

[1] انظر جامع البيان في تأويل القرآن ج17 ص267، والكشاف ج3 ص459

[2] التحرير والتنوير ج14ص238

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

- كون البيوت المصنوعة من الأدم خفيفة في ذاتها، يحملها الناس وينتفعون بها لخفتها استخدم المولى - ﷻ - كلمة تستخفونها والتي تحتمل المعنيين، معنى حمل الناس وانتفاعهم بتلك البيوت، وخفة البيوت في ذاتها، وعليه يمكن أن يقرر الباحث ما يأتي: أن لفظ الاستخفاف في الآية يدل ويحتمل معنى الخفة في الشيء محل الفعل .

أما الآية الثانية: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ) فنلاحظ فيها ما يأتي: أن معنى الآية كما ذكره المفسرون (ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) " ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعاً مما يقول الذين لا يوقنون بالله واليوم الآخر، فإنهم قوم ضالون، وأثبت على ما بعثك الله به، فإنه الحق الذي لا محيد عنه، بل الحق كله منحصر فيه، وفي هذا إشارة إلى وجوب مداومة النبي - ﷺ - على الدعوة إلى الإيمان "[1] وفي الآية إشارة واضحة لنهي الله - ﷻ - لرسوله - ﷺ - أن يتصف بصفة الخفة، فيجد الكفار منه ذلك فيستخفونه، أي يستغلون صفة الخفة فيه، فيسهل عليهم استيعابه وصرفه عما هو عليه من الحق؛ إذ إن من تحققت فيه صفة الخفة سهل حمله على الباطل، وسهل استيعابه، وفي الآية إشارة واضحة إلى أن عدم الصبر يؤدي إلى الخفة، لذلك جاء الأمر بالصبر في صدر الآية: (فَاصْبِرْ) أي " اثبت على ما بعثك الله به من الحق "[2] ، وفي الآية أيضاً تذكير للنبي - ﷺ - بوعد الله (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقّ) بنصرة دينه وتمكينه، وفي ذلك إيحاء مفاده وتذكر أنك رسول من عند الله صاحب الرسالة الذي وَعَد بنصرتها والتمكين لها .

ويمكن أن نرتب الأمور على الشكل التالي: أول خطوة على طريق الخفة أن ينسى الرسول - ﷺ - وعد الله بنصرة دينه، والتمكين لدعوته، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا إذا نسي النبي - ﷺ - حقيقة نفسه، وكونه نبياً مرسلا من عند الله الحق صاحب الوعد الحق: ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ** ﴾{الحشر19} لذلك جاء التذكير (إن وعد الله حق).

الخطوة الثانية: نسيان ذلك سيؤدي به إلى التنازل عن دعوته، أو بعض منها، أو التقاعس في أدائها لذلك جاء الأمر بالثبات (فَاصْبِرْ)، إذا حدث ذلك - نسي النبي - ﷺ - حقيقة كونه نبياً مرسلا، وتنازل عن دعوته، أو بعض منها، أو تقاعس في أدائها – تحققت فيه صفة الخفة، ويمكن للمشركين أن يعرفوا ذلك من خلال تنازله أو تقاعسه عن دعوته، عندئذ يستهين المشركون به وبدعوته، ويسهل عليهم استيعابه، وصرفه عن دعوته ورسالته .

---

[1] التفسير المنير ج21 ص122، وانظر الكشاف ج4 ص589، والبحر المديد ج33 ص26

[2] تفسير القرآن العظيم ج6 ص328

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وفي ضوء ما سبق يمكن أن يقرر الباحث الحقائق التالية:

1- ذهول الإنسان عن حقيقة نفسه وقيمة ذاته يورثه الخفة، ويجعله أهلا لأن يَستَخِف به الآخرون .

2- الخفة داء لا يقتصر على الجهلة فقط، بل قد تصيب أكثر الناس علما، بدليل النهي في قوله تعالى: (وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ) أي لا يجدون فيك خفةَ، فإذا كان النبي - ﷺ - يمكن أن يكون عرضة للإصابة بداء الخفة فغيره من العلماء أولى .

3- تأكيد ما قرره الباحث في الآية السابقة: من أن لفظ الاستخفاف يدل ويحتمل معنى الخفة في الشيء محل الفعل، بدليل النهي ولا يستخفنك فالكاف هنا في محل نصب مفعول به أي لا يجدون فيك خفة .

أما الآية الثالثة: (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) فنلاحظ فيها ما يأتي:

1- ذكر الله - ﷻ - لفظة (استخف) التي تدل على الفعل الواقع من فرعون على قومه، وفي الوقت نفسه تدل على وجود الخفة في قومه كما سبق تقريره، أي وجد فرعون في قومه خفة فاستخفهم .

2- كلمة قومه في الآية تشمل الملأ ومن نبغ في السحر من قوم فرعون، ومن المعلوم أن استخفاف فرعون بهم لم يكن لجهلهم، - يقصد الباحث الجهل المطلق - وقد سجل القرآن عليهم ذلك عندما قال: ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** ﴾{النمل14} فجحود الملأ من قوم فرعون كان بسبب الظلم والعلو لا بسبب الجهل .

أما السحرة فلم يكونوا جهلة أيضاً بالمعنى العام للجهل[1]، وذلك لأنهم نبغوا في السحر ولقد شهد الله لهم بذلك في قوله - تعالى -: ﴿ **فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ** ﴾{الأعراف116}، والسحر علمً له أصوله وله قواعده يُعَلَّم ويُتَعَلَّم، يقول المولى - ﷻ -: ﴿ **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا**

---

[1] قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ) يا أيها العالم، وكان الساحر فيهم عظيما يوقرونه؛ ولم يكن السحر صفة ذم، قيل : كانوا يسمون العلماء سحرة فنادوا موسى عليه السلام بذلك على سبيل التعظيم.انظر الجامع لأحكام القرآن ج16 ص97، والنكت والعيون ج5 ص229، والتحرير والتنوير ج25 ص227

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾{البقرة 102} ومع ذلك كان فرعون مستخفاً بهم، ولم يكن السبب الجهل بمعناه العام .

3- علل الله - ﷻ - استجابة قوم فرعون وطاعتهم له بكونهم فاسقين، فإذا علمنا أن الفسق يعني: الخروج من الطاعة، سواء كان ذلك بالمعصية، أو بالكفر، وعلمنا أيضا أن سبب الفسوق هو نسيان الإنسان لحقيقة نفسه وقيمة ذاته كما سبق بيانه في قوله - تعالى -: ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾{الحشر19} أمكننا ذلك أن نرتب الأمور على الشكل التالي:

1- نسي قوم فرعون الله - ﷻ -، وتجاهلوا رسالته التي جاء بها يوسف - عليه السلام -﴿ **وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ** ﴾{غافر34} نتيجة لذلك أنساهم الله - ﷻ - حقيقة ذواتهم وقيمة أنفسهم، فظنوا أنهم أفضل من سائر الناس، وأما الآخرون فهم عبيد ولا يستحقون إلا أن يكونوا عبيدا، يقول الله - ﷻ - مبيناً ذهول قوم فرعون عن حقيقة أنفسهم: ﴿ **ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ۞ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ** ﴾{المؤمنون45-47} هذا الذهول عن حقيقة الذات، أورثهم الخفة، والتي ظهرت أعراضها من خلال فسوقهم الذي لاحظه فرعون، فاستشعر معنى الخفة في قومه، فاستغل ذلك في صرفهم عن رسالة موسى - عليه السلام - مستخدماً في ذلك وسائل وأساليب متعددة، ما كان لها أن تؤتي ثمارها لولا وجود الخفة في قومه .

وفي ضوء ما سبق يمكن للباحث أن يقرر الحقائق التالية:

1- تأكيد ما قرره الباحث في الآيات السابقة من أن لفظ الاستخفاف يدل ويحتمل معنى الخفة في الشيء محل الفعل .

2- ذهول الإنسان عن حقيقة ذاته وقيمة نفسه يورثه الخفة، ويجعله أهلا لأن يستخف به الآخرون .

3- الخفة داء لا يقتصر على الجهلة فقط، بل قد يصيب أكثر الناس علما بدليل استخفاف فرعون للملأ والسحرة.

والذي يريد الباحث تقريره بعد هذا كله: أن تفسير العلماء للفظ الاستخفاف بأن معناه الاستجهال ليس دقيقاً، وأنه بحاجة إلى ضوابط، وذلك للأسباب الآتية:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

1- أن الجهل أنواع: فمن لا يحسن القراءة والكتابة يعد في نظر من يحسن ذلك جاهلاً، ومن لا يعرف عن الطب شيئاً يعد في نظر الطبيب جاهلاً، وكذا في سائر العلوم .

2- إن الجهل درجات فالذي يحسن القراءة ولا يحسن الكتابة يعد في نظر من يحسن القراءة والكتابة جاهلاً، لكن جهله أخف من جهل من لا يحسن القراءة والكتابة، وهكذا يتضح لنا أن الجهل درجات .

3- لا يتصور أن هناك شخصاً ما على وجه الأرض قد أتقن العلوم كلها؛ فإن من نبغ في علم من العلوم أو أكثر، يعد بالنسبة لباقي العلوم جاهلاً .

فأيُّ أنواع الجهل قصد المفسرون؟ وأي درجاته أرادوا؟، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد أثبت الباحث أن استخفاف فرعون لملئه ولسحرته لم يكن بسبب جهلهم؛ لذلك وجب تحديد ضابط معين نفهم من خلاله المقصود من الجهل، وقد تبين لنا من خلال استعراضنا للآيات التي وردت فيها كلمة الاستخفاف: أن الخفة ناتجة عن جهل الإنسان بحقيقة نفسه وقيمة ذاته[1]، وهذا في رأي الباحث هو الضابط الذي يحدد المراد من الجهل، فإن من جهل حقيقة نفسه وقيمة ذاته والمكانة التي أرادها له خالقه، هذا الإنسان لو حاز العلوم كلها سيبقى خفيفاً لكونه لا يدرك حقيقة نفسه وقيمة ذاته .

أما من أدرك حقيقة نفسه وعرف قيمة ذاته واستشعر المكانة التي أرادها له خالقه، فإن هذا الشخص وإن لم يحصل من العلوم شيئاً، فإن أحدا لا يستطيع استخفافه أو الاستهانة به .

أما مسألة قصر الخفة على خفة العقول والأحلام، أو خفة العزائم والأبدان، أو الطيش، وحمل ذلك على المجاز، فيرى الباحث أن هذا القصر بلا دليل، وان الحمل على المجاز فيه نظر، خاصة وقد وردت أثار صحاح تشعر أن الخفة التي تعرض للإنسان خفة حقيقية، وإن كنا لا ندرك حقيقة كنهها إلا من خلال آثارها التي قد تشمل خفة العقول والأحلام أو خفة العزائم والهمم أو الطيش .

ومن هذه الآثار: ما ورد في صحيح البخاري ومسلم من رواية أبي هريرة عن رسول الله - ﷺ - قال: " **إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال اقرؤوا إن شئتم " فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً** "[2] .

---

[1] سبق وأن أوضح هذه المسألة في المبحث السابق

[2] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير، سورة الكهف، باب أولئك الذين كفروا بآيات ربهم، ح4729 كما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ح 2785

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وعن علي - ﷺ - قال: " **أمر رسول الله - ﷺ - ابن مسعود أن يصعد شجرة فيأتيه منها بشيء، فنظر أصحابه إلى حموشة ساقيه فضحكوا منها، فقال رسول الله - ﷺ - ما يضحككم؟ لَرِجْلُ عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد** "[1] .

والذي يُلاحَظ من خلال الحديثين أن الإنسان يأتي يوم القيامة كما هو في الدنيا، ويوضع في الميزان؛ فيخف الميزان بالبعض رغم ثقله الظاهر – الرجل العظيم السمين – ويثقل بآخرين رغم الخفة الظاهرة – حموشة ساقيه – وفي ذلك ما يشعر أن الخفة والثقل لا علاقة لهما بالجسد، ومع ذلك فهما موجودان على الحقيقة بدليل تأثيرهما في الميزان، فثقل خفيف الجسم في الميزان لابد وأن يكون بأمر آخر غير ثقل الجسم، موجود فيه على الحقيقة، وإن كنا لا نستطيع إدراك كنهه، وكذا خفة الثقيل في الميزان لابد وأن تكون بسبب أمر آخر غير الجسم موجود فيه على الحقيقة، وإن كنا لا ندرك كنهه أيضاً[2] .

يقول ابن قيم الجوزية: " على أن للنفس من الكيفيات المختصة بها مالا يشاركها فيها البدن، ولها خفة وثقل، وحرارة وبرودة، ويبس ولين، بِحَسَبِهَا، وأنت تجد الإنسان في غاية الثقالة وبدنه نحيل جدا، وتجده في غاية الخفة وبدنه ثقيل، وتجد نفساً لينة وادعة، ونفساً يابسة قاسية، ومن له حس سليم يشم رائحة بعض النفوس كالجيفة المنتنة، ورائحة بعضها أطيب من ريح المسك، وقد كان رسول الله إذا مر في طريق بقي أثر رائحته في الطريق ويُعْرَف أنه مر بها، وتلك رائحة نفسه وقلبه، وكانت رائحة عرقه من أطيب شيء، وذلك تابع لطيب نفسه وبدنه، وأخبر وهو أصدق البشر: أن الروح عند المفارقة يوجد لها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض؛ أو كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض؛ ولولا الزكام الغالب، لشم الحاضرون ذلك، على أن كثيرا من الناس يجد ذلك، وقد أخبر به غير واحد، ويكفي فيه خبر الصادق المصدوق، وكذلك أخبر بأن أرواح المؤمنين مشرقة، وأرواح الكفار سود، وبالجملة فكيفيات النفوس أظهر من أن ينكرها إلا من هو من أجهل الناس بها "[3]

وما ينطبق على الفرد ينطبق على الجماعة، فالجماعة تثقل بثقل أفرادها، وتخف بخفتهم، لذلك أطلق النبي - ﷺ - لفظ الغثائية على الأمة بسبب ما يعرض لها من الخفة رغم كثرتها في زمن ما، جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داوود في سننه عن ثوبان - ﷺ - قال: قال

---

[1] سبق تخريجه ص174

[2] كثيرة هي الأشياء التي نوقن بوجودها مع عدم قدرتنا على إدراك كنهها، لكننا نوقن بوجودها من خلال آثارها، كالروح في الكائن الحي، وكالجاذبية في الأرض وفي المغناطيس، وكالكهرباء التي تضيء بيوتنا وتحرك آلاتنا ..... إلخ .

[3] كتاب الروح للإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية ص (257،256)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

رسول الله - ﷺ -: (**يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**)[1].

وبناءً على ما سبق يقرر الباحث ما يأتي :

الخفة اصطلاحاً : خفة حقيقية تصيب الإنسان من داخله، فتذهله عن حقيقة نفسه وقيمة ذاته[2] - وإن كنا لا ندرك كنه هذه الخفة إلا من خلال آثارها - والتي تظهر واضحة في هيئة فسوق عن منهج الله - ﷻ - .

فإذا تَمكَّن داء الخفة من الإنسان، ذُهِل عن حقيقة نفسه وقيمة ذاته، وانْحَطَّ عن مستوى الإنسانية إلى دَرْكِ البهيمية، وأصبح لا فرق بينه وبين الحيوان البهيم إلا في المظهر والصورة، بل إن الحيوان في ميزان الله - ﷻ - أفضل منه، يقول الله - ﷻ -: ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾{الأعراف179}، ويقول في آية أخرى: ﴿ **أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا** ﴾{الفرقان44}، وفي آية ثالثة: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾{الجمعة5}،

وعليه فإن الاستخفاف في رأى الباحث يعني: كل قول أو فعل يوقعه شخص ما على الآخرين - أفراداً كانوا أو جماعات – مستشعراً فيهم معنى الخفة من خلال فسوقهم عن منهج الله، قاصداً إبقاء هذا المعنى فيهم، وقبولهم لهذا القول أو الفعل .

وعلى هذا يصبح معنى الآية: غالطهم بقوله، وموَّه عليهم، مستشعراً الخفة فيهم، قاصداً إبقاء هذا المعنى – الخفة – فيهم، فاستجابوا له .

وبناءً على ما سبق يتبين وبكل وضوح:

- أن خفة الشعوب هي البيئة التي تحتضن بذرة الطغيان وترعاها حتى تنمو وتزدهر، وهي كذلك أرضه الصلبة التي يقوم عليها بنيانه .

---

[1] سنن أبي داود رقم 4297، قال أيمن صالح شعبان: إسناده حسن، انظر جامع الأصول في حديث الرسول ج10 ص28

[2] سبق بيان ذلك عند الحديث عن أسباب الفسوق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

- أن الطغيان حريص على بقاء هذه التربة خصبة تمده بأسباب البقاء، لذلك يعمل جاهداً على بقاء هذه التربة على ما هي عليه، بل هو دائم التفكير والسعي لزيادة خصوبة تلك التربة.

فقوله - تعالى -: ﴿ **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** ﴾{الزخرف54}، " عبارة إعجازية ضمت بين ثناياها قوانين سياسية واجتماعية عظيمة، فالله قد أوجز في هذه العبارة القليلة موضوعاً صُنِّفَتْ فيه كتب ومجلدات ألا وهو العلاقة بين القائد والمقود، أو علاقة القيادة بالشعب، وقد ذهب الناس فيها مذاهب، لكنها هنا واضحة تمام الوضوح في أنها علاقة ديناميكية متبادلة، فهي ليست ذات طرف واحد بل يتحرك فيها الطرفان، فالقائد يصنع شعبه، والشعب يصنع قيادته في حركة متبادلة، العبارة القرآنية هنا تجمع بين (الناس على دين ملوكهم) وبين (كما تكونوا يولى عليكم) "[1].

المطلب الثاني مظاهر استخفاف فرعون لقومه[2]:

لقد بلغ فرعون الغاية التي ليس بعدها غاية في استخفافه بقومه، سلب حريتهم، وصادر كرامتهم، واعتدي على إنسانيتهم، وتفرد هو بكل ذلك عندما قال: ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى** ﴾{النازعات24} ﴿ **... مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ...** ﴾{القصص38} .

وهاتان الآيتان تلقيان بظلالهما على النفس البشرية لتتخيل تلك المنزلة التي ادعاها فرعون لنفسه؛ وهي منزلة الأولوهية، ثم تتخيل ما يمكن أن يتفرد به صاحب هذه المنزلة، وما يمكن أن يتفرد به من حقوق؛ وفي المقابل تتخيل منزلة العبودية وما عليها تجاه الإله من واجبات، فأي حق للعبد أمام الإله؟ وهل يستطيع العبد أن يرد للإله أمراً؟ وهل يستطيع العبد أن يتصرف في نفسه أو ماله أو أهله بحرية دون تدخل الإله؟.

وهكذا أسئلة كثيرة تتوارد ملخصها إله مقابل عبد .

المطلب الثالث الطاغية مُسْتَخِفٌ بغيره، مُسْتَخَفٌ به:

وهنا يطرح سؤال: هل يمكن أن يكون الشخص الواحد مُسْتَخِفَّاً بغيره مُسْتَخَفَّاً به في آن واحد؟

---

[1] فرعون في القرآن ص160

[2] سبق وأن تحدث الباحث في الفصل الأول عن ملامح أنظمة الطغاة بالتفصيل وكل ملمح من تلك الملامح يعد مظهراً من مظاهر استخفاف فرعون بقومه، لذلك لا يرى الباحث داعياً لتكرار الحديث عن تلك الملامح في هذا الموضع

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

والجواب نعم، ويمكن أن نلمس ذلك في قوله – تعالى - مخبراً عن الملأ من قوم فرعون: ﴿ **وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ** ﴾{الأعراف127} .

فقد استشعر الملأ خفة فرعون وجهله بحقيقة نفسه حتى اعتقد أنه إله على الحقيقة، فاستغلوا ذلك للحفاظ على مصالحهم فأوغروا صدر فرعون على موسى - عليه السلام - فاستجاب فرعون لهم كما هو واضح من الآية.

يقول أبو الأعلى المودودي - رحمه الله -: " رجال فرعون في الحقيقة يدافعون عن سلطانهم أصلاً لكنهم يحرضون فرعون ويغرونه بالمؤمنين ويقولون له: أتتركهم ليفسدوا البلاد بإخراج الناس عن طاعتك ويؤلبوهم ضد نظامك وهو أصلح النظم "[1]

يقول د/ مصطفى السباعي - رحمه الله -: " إن أكثر الناس ضحكا على الطاغية في قرارة أنفسهم هم المنتفعون منه، ويوم يزول يكونون أكثر الناس لعنا له، إلا أن يكون فيهم ذماء من الوفاء والحياء، وقل أن يكون عند أعوان الطغاة أثر منهما "[2]، ويقول واصفاً حال طغاة العصر: " ووراء الطغاة قوى خارجية تدعمهم، ولكنها تشنق أمثالهم في بلادها "[3]

---

[1] فرعون في القرآن ص27

[2] هكذا علمتني الحياة: ص207

[3] هكذا علمتني الحياة ص205 بتصرف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المبحث الثالث

وسائل استخفاف الطغاة للشعوب

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الوسائل الإغوائية

المطلب الثاني: الوسائل الإعلامية

المطلب الثالث: الوسائل القهرية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المطلب الأول: الوسائل الإغوائية

"غـوي: الغيـن والـواو والحـرف المعتـلّ بعدهمـا أصـلانِ: أحدهما يدلُّ على خِلاف الرُّشد وإظلام الأَمْر، والآخرُ على فسادٍ في شيء "[1].

وأغـواه: أضلـه وأغـراه وفـي التنزيل العزيز ﴿ .... **رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا** ﴾{ القصص63} .

وسيتناول الباحث في هذا المطلب وسائل الاستخفاف التي يعتمد فيها الطغاة على الإغراء، أي استمالة البعض عن طريق الشهوات وما تميل إليه النفوس، وذلك في أربعة بنود:

البند الأول الإغراء بالمال والمنصب والجاه:

وهو أسلوب شائع ومعروف، يستميل به الطغاة ضعاف النفوس، فيسخرونهم لخدمتهم، وذلك أن الطغاة من الحكام يملكون المال والمنصب والجاه، ولا مانع لديهم مطلقاً من استقطاب ضعاف النفوس ممن لديه الاستعداد للبيع، بيع كل شيء حتى نفسه التي بين جنبيه، وكلما كان هؤلاء أكثر نفعا للطغاة، وأكثر ضررا للحق وأهله، كان الطغاة أكثر إغداقا عليهم بما يطمحون إليه، وبخاصة المال الذي تنشأ به مؤسسات متنوعة، يكون هدفُها الأسمى التمكين لحكم الطاغية ودرء الأخطار عنه .

" فمن خصائص حكم الطغاة السرف الشديد على شخص الفرد الحاكم، وعلى كل من يَمُتُّ إليه بنسب، أو يواليه بنصر، فترى شهوات الغي – في البطون والفروج مشبعة – ومضلات الهوى مسيطرة على المشاعر والنُّهَى، وعِبْءُ هذه النزوات يقع على عاتق الخزانة العامة وحدها، فإن الطغيان لايبالي من أين يأخذ المال ولا أين يضعه "[2] .

يقول الله - ﷻ -: ﴿ **وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ** ﴾{ الأعراف 113-114}

يقول الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - في تفسير هذه الآية:

" فلما جاءوا قالوا لفرعون: إن لنا لأجرا عظيما يكافئ ما يطلب منا من العمل العظيم إن كنا نحن الغالبين لموسى، ذكر قولهم هنا بأسلوب الاستئناف البياني كأنه جواب سائل ماذا قالوا ؟

وجاء في سورة الشعراء بصيغة الشرط والجزاء: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ** ﴾{41-42} ..... قال نعم وإنكم لمن المقربين أي: قال فرعون مجيبا لهم إلى ما طلبوا: نعم؛ إن لكم لأجرا عظيما وإنكم

---

[1] معجم مقاييس اللغة ج4 ص399

[2] الإسلام والاستبداد السياسي ص38

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

مع ذلك الأجر المالي والمادي لمن المقربين من جانبنا السامي، فيجتمع لكم المال والجاه، وذلك منتهى الدنيا ومجدها، أكد لهم نيل ما طلبوه منه، وما زادهم عليه تأكيدا بعد تأكيد؛ لاهتمامه بهذا الأمر، وخوفهم من عاقبته، فإنه لو قال لهم: نعم، ولم يزد عليها؛ لأفاد إجابة طلبهم، ولو قال في منحة القربى: وتكونون من المقربين، لكفى، ولكنه عبر عنها بالجملة الاسمية المؤكدة بـ (إن) وبتحلية الخبر باللام، وبعطف التلقين؛ أي عطف: (وإنكم لمن المقربين) على الجملة المقدرة التي دل عليها حرف الإيجاب " نعم " وهي(إن لكم لأجرا)الحالة وهي كونكم أنتم الغالبين دون موسى لمن المقربين "[1] .

فنحن أمام جماعة من المحترفين، " يحترفون السحر كما يحترفون الكهانة! والأجر هو هدف الاحتراف في هذا وذاك! وخدمة السلطان الباطل والطاغوت الغالب هي وظيفة المحترفين من رجال الدين! وكلما انحرفت الأوضاع عن إخلاص العبودية لله، وإفراده - ﷻ - بالحاكمية؛ وقام سلطان الطاغوت مقام شريعة الله، احتاج الطاغوت إلى هؤلاء المحترفين، وكافأهم على الاحتراف، وتبادل وإياهم الصفقة: هم يقرون سلطانه باسم الدين! وهو يعطيهم المال ويجعلهم من المقربين!

ولقد أكد لهم فرعون أنهم مأجورون على حرفتهم، ووعدهم مع الأجر القربى منه، زيادة في الإغراء، وتشجيعاً على بذل غاية الجهد " [2] .

وهكذا يُسَخِّر الطغاة الأموال التي سرقوها والمناصب التي اغتصبوها من رعاياهم في توطيد دعائم باطلهم؛ فيلقون للمتهافتين عليهم - وما أكثر المتهافتين عليهم ممن باعوا أنفسهم وعقولهم وأعراضهم – يلقون إليهم بالفتات الذي سرق أصلاً من جيوبهم، وجيوب أمتهم، فإذا بهؤلاء المتهافتين يُقَبِّلون أحذية الطغاة، ويسيرون في ركابهم، ويستميتون في الدفاع عنهم، مَثَلُهُم في ذلك مثل الكلب يفرح بعظمة يلقيها له سيده، فيبيت ليله ساهراً على حراسته فإن رأى خطراً يقترب من ذلك السيد استمات في الدفاع عنه .

وينعت سيد قطب هؤلاء المتهافتين على أبواب الطغاة بالعبيد فيقول: " العبيد هم الذين يملكون القصور والضياع، وعندهم كفايتهم من المال، ولديهم وسائلهم للعمل والإنتاج، ولا سلطان لأحد عليهم في أموالهم أو أرواحهم، وهم مع ذلك يتزاحمون على أبواب السادة، ويتهافتون على الرق والخدمة، ويضعون بأنفسهم الأغلال في أعناقهم، والسلاسل في أقدامهم، ويلبسون شارة العبودية في مباهاة واختيال! العبيد هم الذين يقفون بباب السادة، يتزاحمون وهم يرون

---

[1] تفسير المنار ج9 ص56 بتصرف

[2] في ظلال القرآن ج3 ص1349

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

بأعينهم كيف يركل السيد عبيده الأذلاء في الداخل بكعب حذائه، كيف يطردهم من خدمته دون إنذار أو إخطار، كيف يطأطئون هاماتهم له فيصفع أقفيتهم باستهانة، ويأمر بإلقائهم خارج الأعتاب، ولكنهم بعد هذا كله يظلون يتزاحمون على الأبواب، يعرضون خدماتهم بدل الخدم المطرودين، وكلما أمعن السيد في احتقارهم زادوا تهافتاً كالذباب!

العبيد هم الذين يهربون من الحرية، فإذا طردهم سيد بحثوا عن سيد آخر، لأن في نفوسهم حاجة ملحة إلى العبودية، لأن لهم حاسة سادسة أو سابعة، حاسة الذل لابد لهم من إروائها، فإذا لم يستعبدهم أحد أحست نفوسهم بالظمأ إلى الاستعباد، وتراموا على الأعتاب يتمسحون بها، ولا ينتظرون حتى الإشارة من إصبع السيد، ليخروا له ساجدين .... العبيد هم الذين لا يجدون أنفسهم إلا في سلاسل الرقيق، وفي حظائر النخاسين[1]، فإذا انطلقوا تاهوا في خضم الحياة وضلوا في زحمة المجتمع، وفزعوا من مواجهة النور، وعادوا طائعين يدقون أبواب الحظيرة، يتضرعون للحراس أن يفتحوا لهم الأبواب "[2] .

" فالسحرة الذين جمعهم فرعون للاستعانة بسحرهم على موسى، سألوا فرعون هل سينالون منه أجرا إذا هم غلبوا موسى؟ فأجابهم بالإيجاب وزادهم إغراءً، بأنهم سيكونون من ذوي القرب والحظوة منه، وهذا ما يطمع فيه بائعوا أنفسهم لذوي السلطان، قال - تعالى -: (فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ) (قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ)

وقال - تعالى -: (وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ) (قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) كأنهم كانوا لا يأخذون على السحر أجراً، فلما كانت هذه المهمة صعبة طلبوا عليها أجراً، فهي معركة تتوقف عليها مكانته بين قومه، أما ممارستهم للسحر إرهاباً للناس،وتخويفاً لمن تُسوِّل له نفسه الخروج والتمرد على فرعون، فكان سُخْرة، لا يتقاضَوْن عليه أجراً، لذلك لم يعارض فرعون سحرته في طلبهم، بل زادهم منحة أخرى (وَإِنَّكُمْ لَمِنَ المقربين) فسوف تكونون سدنة الفرعونية، يريد أنْ يشحن هِمَمهم، ويشحذَ عزائمهم، حتى لا يدخروا وُسْعاً في فَنِّ السحر في هذه المعركة "[3] .

---

[1] النخاسين جمع نَخَّاس وهو دلال الدواب، انظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ج2 ص596

[2] دراسات إسلامية، لسيد قطب ص (129،130)

[3] تفسير الشعراوي ج1 ص5716 ترقيم الشاملة لأن الجزء الذي يحتوي على تفسير سورة الشعراء مفقود

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وهكذا يتبين لنا أن أسهل شيء على الطاغية في الشعوب الفاسدة هو استئجار الناس وشراء الضمائر وتكليفهم بالمهام القذرة! .

البند الثاني الاستعانة بالنفعيين والانتهازيين:

عادة ما ينتقي الطغاة بطانتهم من النفعيين والانتهازيين، وذلك لأن الطاغية يمثل في التحليل النهائي لشخصيته مجموعة من الآثام والمعاصي، فهو صاحب نفسية مريضة، تتلذذ بتعذيب الآخرين، وتسعد بشقائهم، لذلك لا يرغب في أن يكون من بين المحيطين به من يُذَكِّرُه ذنوبه وخطاياه ولو بالسمت والسيرة، خشية أن تستيقظ فيه بذرة الخير – والتي عمل جاهداً للتخلص منها باعتبارها نقطة ضعف لا ينبغي لمن يجلس على كرسي الحكم أن يتصف بها فضلاً عن أن يستجيب لندائها – فيعذبه ضميره، وينغص عليه حياته، لذلك نراه حريصاً على اختيار حاشيته ممن لا خلاق لهم، وكأنه بذلك يريد أن يصنع منهم لنفسه عالماً من المرايا كلما نظر إلى أحدهم رأى فيه صورته - صورة الطاغية -، فيصور له ذهنه المريض أن الناس كل الناس مثل هذا الصنف الماثل بين يديه، ويقيس غائباً على حاضر، فإذا هو يعيش في عالم من الوحوش توشك أن تنقض عليه، لذلك يجب أن يبادرهم بالشر قبل أن يبادروه، وعليه أن يمزقهم قبل أن يمزقوه، وبذلك يهدأ روعه وتطمئن نفسه إلى سياسته فهذا هو قانون الغاب.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذا الصنف من الناس – النفعيين والانتهازيين – لهم نفسيات العبيد، وهم مستعدون في سبيل الوصول إلى مآربهم " للمسارعة إلى مرضاة رؤسائهم؛ وإجابة رغائبهم، ولو داسوا في ذلك مقدسات الأديان والأخلاق "[1]، " فهم غلاظ على الأحرار شداد، يتطوعون للتنكيل بهم، ويتلذذون بإيذائهم وتعذيبهم، ويتشفون فيهم تشفي الجلادين العتاة! إنهم لا يدركون بواعث الأحرار للتحرر، فيحسبون التحرر تمرداً والاستعلاء شذوذاً، والعزة جريمة، ومن ثم يصبون نقمتهم الجامحة على الأحرار المعتزين، الذين لا يسيرون في قافلة الرقيق! إنهم يتسابقون إلى ابتكار وسائل التنكيل بالأحرار، تسابقهم إلى إرضاء السادة "[2]، " والحاكم الطاغية يبارك هذه الطبيعة الدنسة ويغدق عليها، ولو راجعنا الصحائف السود لتاريخ الطغيان في الأرض، لوجدنا مراءاة الحكام وقد وطأت أكتاف المنكر، وأقامت للأكاذيب سوقاً رائجة، وقلبت الحقائق، وصنعت الدواهي "[3]

---

[1] الإسلام والاستبداد السياسي ص32، بتصرف يسير

[2] دراسات إسلامية لسيد قطب ص131

[3] الإسلام والاستبداد السياسي ص32

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

يقول الله ﷻ:﴿ **فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ** ﴾{الشعراء41-42} .

وبالتأمل في النص القرآني نلاحظ ما يأتي:

1- أن هؤلاء السحرة يدركون أن فرعون الذي استعبدهم في ورطة، وأن دعائم ملكه بدأت تهتز بقوة، وأن عرشه يوشك أن ينهار، يدركون ذلك ويدركون أيضاً أن فرعون بحاجة ماسة لهم، وبدلاً من أن يستغلوا هذه الفرصة للتخلص منه، وإنقاذ أنفسهم وشعبهم من ظلمه، نراهم يحاولون ابتزازه، مستغلين نقطة ضعفه، ليحققوا لأنفسهم مكسباً دنيوياً زائلاً، غير آبهين لما حل عليهم وعلى أمتهم من ظلمه، وهم الذين ما كانوا يجرؤون على أن ينطقوا بكلمة أمام الفرعون دون إذنه .

2- أن هؤلاء السحرة لم يسألوا فرعون عن طبيعة من سيواجهونه، ولم يحاولوا أن يعرفوا إذا ما كان هذا الذي سيواجهونه محق أم على باطل، فالذي يعنيهم أولاً وأخيراً هو المال، لذلك سألوا عنه (أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ) .

3- أن فرعون كان يدرك أن السحرة يحاولون ابتزازه، ولكنه مع ذلك يعدهم بالمال، بل ويزيدهم قائلاً: (وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) " والمشهد هنا يوضح معيار إسناد المناصب في النظام الشيطاني الفرعوني، فالذين يدافعون عن فرعون ويحمون نظامه، وكفره، ومجونه، وفسقه، وظلمه، واضطهاده، واستضعافه البسطاء؛ هم المقربون وأهل المناصب، ولو كانوا جهلة سحرة دجاجلة وُضَعَاء "[1] .

" وهكذا ينكشف الموقف عن جماعة مأجورة، يستعين بها فرعون الطاغية؛ تبذل مهارتها في مقابل الأجر الذي تنتظره؛ ولا علاقة لها بعقيدة ولا صلة لها بقضية، ولا شيء سوى الأجر والمصلحة، وهؤلاء هم الذين يستخدمهم الطغاة دائماً في كل مكان وفي كل زمان .

وها هم أولاء يستوثقون من الجزاء على تعبهم ولعبهم وبراعتهم في الخداع، وها هو ذا فرعون يعدهم بما هو أكثر من الأجر، يعدهم أن يكونوا من المقربين إليه، وهو بزعمه الملك والإله!"[2]

يقول الإمام أبو الأعلى المودودي معلقاً على قوله تعالى: ﴿ **وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ** ﴾{الأعراف113-114}

" هذا المشهد دقيق الملامح عظيم المحتوى .

---

[1] فرعون في القرآن ص25

[2] في ظلال القرآن ج5 ص2595

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

سحرة أرسل إليهم رئيس الدولة فجاءوا إليه، وبدأت المساومة .

وهذا الزمان الذي نعيشه ربما لا يستعين فيه الفراعين بسحرة من هذا النوع، لكن هناك أشكالاً وألواناً من السحرة بل من أسوأ الأنواع، يستعين بهم الفراعنة الجدد ضد أصحاب الدعوات المخلصة، فالْكُتَّاب، والصحفيون، والفنانون، وأهل الإذاعة وأجهزتها، وإدارات الأمن، ومكاتب التجسس، كل أولئك لهم فعل أقوى من السحر، بل إن السحر العالمي إذا اجتمع لا يضارع سم أحدهم منفرداً .

نقول: بدأت المساومة بين فرعون الذي يريد أن يحمي نظامه وبين السحرة، وفيم يطمع الساحر الدنيء، صاحب الألاعيب، وخبير الدجل؟ في مال وإنعامات وهدايا ومكافآت! (إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ)؟ وأي أجر؟ إنها قضية السلطة، قضية حماية النظام الشيطاني ضد دعوة الإسلام، فالجواب قطعاً نعم، بل وألف نعم، لا إنعامات وجوائز ومكافآت فقط، إنما أيضاً مناصب، مناصب كبيرة تجعلهم من المقربين إلى رئيس الدولة "[1] .

وهذه كارثة كل الشعوب، عندما يتقدم المحترفون فيها للطواغيت، يعرضون عليهم الخدمات مقابل المال، أو شيء من الجاه والسلطان، والذي ينحدر إلى هذه الهوة، ويتكسب بهذه الطريقة لا فرق بينه وبين الطاغية إلا أنه رأس وهم أذناب .

" وهؤلاء الأذناب ترتبط حياتهم بحياة الطاغية، ومصالحهم بمصالحه، عبيد الطاغية يدافعون عنه،إبقاء على حياتهم لا على حياته، ولا يتهافت على فتات عهد الطاغية إلا الذين لا يجدون ما يأكلون في عهود الحرية، ولا يعتز بالسير في ركاب الطاغية، إلا الذين تدوسهم مواكب الأحرار، فلا تعجب من مغمورين سلط الطاغية عليهم الأنوار أن يحرقوا له البخور، ويمشوا بين يديه بالمزمار، فلولاه لظلوا في الظلام مغمورين ليس لهم نهار، إذا الأحرار كان لهم نهار"[2] .

يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله:

" لا يزال يوجد في البشر فراعنة، يغوون الناس ويستخفونهم ويستعبدونهم فيطيعونهم ويذلون لهم ذل العبد لسيده، والحمار لراكبه، والحيوان لمالكه، ولم يستفيدوا شيئا من هداية القرآن ورشده، وتجهيله لقوم فرعون في اتباع أمره، مع وصفه بقوله: ﴿ **وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ** ﴾{هود97} وبيان أنه كان سببا لإتباعهم لعنة في الدنيا ولعنة يوم القيامة، وأنه سيقودهم في الآخرة إلى النار، كما قادهم في الدنيا إلى الغي والفساد، ومنهم من يدعون الإسلام ولم

---

[1] فرعون في القرآن ص24-25

[2] هكذا علمتني الحياة: ص206

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

يفقهوا قول الله - ﷻ - **لرسوله في آية مبايعة النساء:** ﴿ ... **وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ** ﴾{الممتحنة12} وَقَوْلَهُ ﷺ: " **لَا طَاعَةَ لِأَحَدٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**"[1] "[2] .

يقول سيد قطب رحمه الله: " لقد شاهدت في عمري المحدود، عشرات من الرجال الكبار يحنون رؤوسهم لغير الواحد القهار، ويتقدمون خاشعين، يحملون ضرائب الذل تبهظ كواهلهم، وتحني هاماتهم، وتلوي أعناقهم، وتنكس رؤوسهم، ثم يطردون كالكلاب، بعد أن يضعوا أحمالهم، ويسلموا بضاعتهم، ويتجردوا من الحسنيين: في الدنيا والآخرة ويمضون بعد ذلك في قافلة الرقيق، لا يحس بهم أحد حتى الجلاد!

لقد شاهدتهم وفي وسعهم أن يكونوا أحراراً، ولكنهم يختارون العبودية، وفي طاقتهم أن يكونوا أقوياء، ولكنهم يختارون التخاذل، وفي إمكانهم أن يكونوا مرهوبي الجانب، ولكنهم يختارون الجبن والمهانة، شاهدتهم يهربون من العزة كي لا تكلفهم درهماً، وهم يؤدون للذل ديناراً أو قنطاراً، شاهدتهم يرتكبون كل كبيرة ليرضوا صاحب جاه أو سلطان، ويستظلوا بجاهه أو سلطانه، وهم يملكون أن يَرْهَبَهُم ذوو الجاه والسلطان!"[3]

وهكذا يتبين لنا انه كما " ينبت الشرك في أحضان الوثنية ينبت الرياء في ظلال الكبر، وحيث يوجد السادة المتكبرون يوجد الأتباع المتملقون والأشياع المراءون، وبيئة الحكم المطلق – حكم الطغاة - أحفل البيئات بجماهير العبيد الراضخين للهوان طواعية أو كراهية "[4] .

البند الثالث الإلهاء:

اللهو يدلُّ على شُغْل عن شَيءٍ بشيء[5]، " ولَهِيَ عن الشيء وتلَهَّى عنه، إذا غَفَل عنه "[6]، فكل شيء شغلك عن شيء فقد ألهاك، وبالجملة: " فكل باطل شغل عن الخير وعما يعني فهو لَهْوٌ "[7] .

---

[1] أخرجه البخارى رقم 6726، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، حديث رقم 1840

[2] تفسير المنار ج12 ص126

[3] دراسات إسلامية ص126

[4] الإسلام والاستبداد السياسي ص30-31 بتصرف

[5] معجم مقاييس اللغة ج5 ص213

[6] تهذيب اللغة ج6 ص429

[7] كتاب الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، ج1 ص1242

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

والإلهاء من أخطر الأساليب التي يستخدمها الطغاة، وذلك أن هذه الوسيلة ذات أثر بالغ على قطاعات واسعة من الجماهير، وقلما ينتبه إلى خطورتها أحد سوى الأحرار الذين تجري في عروقهم دماء العزة، ويرفضون الانجرار وراء كل ناعق .

ولذلك نرى الطغاة يسعون جاهدين لشغل الجماهير بأمور تافهة، وقضايا جانبية، ومعارك وهمية لا ناقة لهم فيها ولا جمل .

وقد أشار القرآن إلى استخدام الطغاة لهذا الأسلوب في قوله - تعالى -: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۞ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا** ... ﴾{غافر36-37}، وبيان ذلك يتطلب منا أن نقف مع السياق الذي وردت فيه هذه الآيات يقول الله - ﷻ -: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ۞ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ۞ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۞ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ۞ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ۞ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ۞ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ۞ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۞ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ۞ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ۞ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۞ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ۞ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ۞ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ۞ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۞ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ۞ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي**

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۞ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۞ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾{غافر26-45}، والواضح من خلال السياق أن القضية المطروحة للبحث والنقاش هي قضية التخلص من موسى - عليه السلام - عن طريق القتل، وقد اعتاد فرعون أن يسمع من الملأ - الذين هم مستشاروه - التأمين على ما يتفوه به، ولكنه يفاجأ هذه المرة بصوت يعترض على سياسته، وممن؟ (من آل فرعون) أي من قومه المقربين له، ويَشْتَمُّ - فرعون - من كلام ذلك الرجل أنه قد تأثر بكلام موسى - عليه السلام - إن لم يكن قد آمن بالفعل، وهنا يشعر فرعون أنه في ورطة حقيقية مَرَدُّها إلى ثلاثة أمور:

- أنه لم يتعود على مثل هذا النوع من المعارضة .
- أنه لا يدرك حجم القاعدة – من أتباعه - المتأثرة بكلام موسى - عليه السلام - أو الذين آمنوا منهم بالفعل .
- إن اتخاذ أي إجراء ضد المعارضين دون قاعدة بيانات دقيقة وواضحة ستكون حماقة قد تجلب الكارثة لفرعون وتهدد ملكه .

إذاً ليعطي نفسه مهلة يحصل فيها على البيانات الكافية، ومن ثم يخطط بهدوء ورَوِيَّة للتخلص من معارضيه دون أن يُحْدِث ذلك ضجة إعلامية أو يجلب له مكروه .

ولكن كيف يحصل على تلك المهلة؟ لابد من طريقة لإلهاء الملأ ومن خلفهم الجماهير فترة من الزمن كافية لحصوله على ما يريد!

إذاً ليتظاهر بالموضوعية والبحث عن الحقيقة، ولِيَأْمُر ببناء صرح لِيَعْلُوَه باحثاً عن إله موسى - عليه السلام - .

ولنا أن نتخيل ضخامة ذلك الصرح الذي يراد له أن يبلغ أسباب السموات، ونتخيل المدة الزمنية التي تلزم لإنجاز ذلك الصرح، ولنتخيل أيضاً عدد العاملين في هذا المشروع والقائمين عليه وخاصة في ذلك الزمان، ولنتخيل أيضاً تلك الضجة التي سيحدثها الإعلان عن هذا المشروع الضخم في أوساط الجماهير الغافلة المخدوعة، وكيف ستتلقاه وتتابعه بشغف وخاصة أنه يحمل في طياته عناصر التشويق والتي منها:

- أن الإعلان عن هذا المشروع جاء نتيجة صراع بين الملك الإله – بزعمهم – وأحد رعاياه المستضعفين والذي جاء بدين مغاير لما عرفوه وألفوه، والنفس البشرية تتوق إلى معرفة نتيجة الصراع .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

- إن البناء نفسه من الضخامة بحيث لم يَسْبِق في تاريخ البشرية أن بُنِيَ مثله، والنفس البشرية تتشوق لمعرفة الكيفية التي سيتم بها البناء وعدد العاملين فيه، والمدة التي سيستغرقها، والمدى الذي سيصل إليه .

وهكذا استطاع فرعون أن يلهي الجماهير فترة طويلة من الزمان، استغلها في البحث والتنقيب عن الشخصيات التي اتبعت موسى - عليه السلام - أو تأثرت بكلامه، وأخذ يخطط بكل أريحية للتخلص منهم واحداً تلو الآخر، فقتل زوجته، وخطط لاغتيال الرجل المؤمن ولكن (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا) والجماهير المستخفة المخدوعة تتابع أخبار أعلى برج في العالم .

بقي أن ننوه أن الآيات السابقة أشارت إلى أن الإنسان الوحيد من الملأ الذي لم يخدع بحيل فرعون هو الرجل المؤمن .

وفي هذا الزمان يتفنن الطغاة في ابتكار وسائل الإلهاء وتنويعها ليستغفلوا الجماهير ويخدعوها ويشغلوها عن قضاياها المصيرية، ابتداءً بتنظيم المسابقات الرياضية – والتي قد تمتد لشهور طويلة – ومروراً بالمسلسلات التلفازية، وانتهاءً بافتعال معارك وهمية داخلية أو خارجية، وفي أنظمة الطغاة أجهزة متخصصة في ابتكار وسائل الإلهاء .

البند الرابع التنفيس:

يدرك الطغاة أن الضغط على الكائن البشرى من جميع منافذه أمر في غاية الخطورة لأنه يولد الانفجار، فلابد إذن من التنفيس عن الناس في جانب من الجوانب ليتسرب الغضب المكظوم قبل أن يكون التجمع الذي يولد الانفجار .

لذلك يجتهد الطغاة في إيجاد الوسائل الكفيلة بتفريغ الانفعالات المكبوتة في صدور الناس نتيجة الطغيان، والتي تعد في نظر الطغاة انفعالات غير مرغوب فيها وتشكل خطراً على أنظمة الطغيان .

وقد أشار القرآن إلى هذا الأسلوب في قوله - تعالى -: ﴿ **قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى** ﴾{طه59}

ويوم الزينة هذا " هو يوم عيد كان لهم في كل عام يتزينون فيه ويزينون أسواقهم "[1] وكان فرعون يخرج له[2] .

---

[1] روح المعاني ج16 ص218

[2] انظر جامع البيان في تأويل القرآن ج18 ص324

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

والشاهد في الآية أن فرعون رغم جبروته وطغيانه قد جعل للناس يوم عيد يتفرغون فيه من أشغالهم ويلبسون أجمل ثيابهم وفيه يلهون ويمرحون، فهو اليوم الذي أراده للتنفيس عن الناس كي ينسى الناس فيه همومهم ولو ليوم واحد، وقد يكون هناك أيام أخر جعلها فرعون أعياداً يتنفس فيها الناس من أثقال صدورهم وهذا ما لا يستبعده الباحث ولكن القرآن أشار إلى أعظم أعيادهم وأكثرها حضوراً وفيما ذكر القرآن كفاية للبرهنة على ما ذهب إليه الباحث .

وفي هذا الزمان يبتكر الطغاة من الوسائل ما يدغدغ المشاعر ويثير الشهوات، فتراهم يغدقون الأموال على الفضائيات التي تهتم بالغناء والرقص وبث الأفلام الهابطة والصور الفاضحة، ويعظمون الفنانين والفنانات، فيستقبلونهم، ويمنحونهم الأوسمة، ويمتدحونهم، ويفسحون لهم المجال لمخاطبة الجماهير عبر وسائل الإعلام عن طريق الأفلام والمسرحيات والتي تبدوا في ظاهرها أنها تعبر عن وجهة نظر المضطهدين والمسحوقين من الأمة؛ وذلك لأنها تقدم مشاكلهم وهمومهم في قالب تمثيلي هزلي مضحك يسخر من الطغيان وأدواته، وفي باطنها تَسْتَلُّ حمم البراكين التي تغلي في صدور المضطهدين .

وينفجر الناس بالضحك، وتبدأ حمم البراكين في البرود شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى درجة التجمد، فقد قال ذلك الممثل ما كانوا يَوَدُّونَ قوله، فصرخ على خشبة المسرح في وجه الطاغية وشتمه وأهانه ثم قتله، وهكذا يخوض الشعب ومن خلال الممثلين حرباً وهمية ينتصر فيها على الطغيان من خلال الكلام ولا شيء غير الكلام وتبدأ المعركة على أرض المسرح وتنتهي على أرضه، ويخرج الناس راضين بهذا الانتصار الوهمي، بينما يبقى الطاغية متربعاً على عرشه يسخر من تفاهة الناس وقلة عقولهم .

وهكذا يُسَخِّر الطاغية كل وسيلة ممكنة ابتداءً بالفن، و مروراً بالرياضة، وانتهاءً بالاحتفالات، والمهرجانات، والأعياد، ويجعل منها وسائل للتنفيس، يتخلص من خلالها من كل المشاعر غير المرغوب فيها .

" والجماهير دائماً تتجمع لمثل هذه الأمور، دون أن تفطن إلى أن حكامها الطغاة يلهون بها ويعبثون، ويشغلونها بهذه المباريات والاحتفالات والتجمعات، ليلهوها عما تعاني من ظلم وكبت وبؤس "[1]

فإذا شعر الطاغية ببعض الهزات الخفيفة والتي تنبئ بقرب انفجار البركان نتيجة احتقان الرأي العام بسبب الطغيان الواقع عليهم، أو نتيجة تعاطف الناس مع قضية ما، ولم تفلح الوسائل السابقة، فإنه يلجأ إلى أسلوبين جديدين للتنفيس، حتى لا يحدث الانفجار المُدَمِّر

[1] في ظلال القرآن ج5 ص2594

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الذي يذهب به وبنظامه، الأول أنه يسمح لوسائل الإعلام بانتقاد بعض المسئولين في مواقع متوسطة من نظام حكمه حتى يوهم الناس أن التقصير أو الظلم الواقع عليهم ليس من الحاكم، وربما يَعْتَقِل أو يُقِيل بعض المسئولين وقد يحاكم البعض الآخر، وذلك لامتصاص نقمة الرأي العام فيكون ذاك المسئول كبش فداء للحاكم .

أما الثاني فإنه يلجأ إلى عقد المؤتمرات والتي تُتَّخذ فيها قرارات تتناغم مع مطالب الجماهير، حتى إذا هدأت ثورة الناس، وزال غضبهم، أبقى تلك القرارات حبراً على ورق، لا قيمة لها ولا فائدة منها .

ومن أساليب التنفيس أيضا السماح للناس بتفريغ شحنات غضبهم من خلال مسيرات ومظاهرات وترديد شعارات معينه، على أن تكون هذه المسيرات مُرَخَّصَة من قِبَل وزارة الداخلية والتي تحدد مسار المظاهرة وما يجوز أن يقال فيها وما لا يجوز .

وما ذكره الباحث هنا مجرد أمثلة ونماذج لبعض أساليب التنفيس، والحر الأبي لا يخطئ حدسه[1] في اكتشاف مثل هذه الأساليب .

تنبيه: يوجد تداخل بين وسائل الإلهاء ووسائل التنفيس، إلا أن الفرق بينهما من وجهة نظر الباحث أن وسائل الإلهاء تشغل الناس فترة طويلة من الزمان، ولا يُشْتَرَطُ ذلك في وسائل التنفيس .

المطلب الثاني الوسائل الإعلامية:

تؤدي وسائل الإعلام – قديماً وحديثاً دوراً خطيراً في حياة الناس، وذلك لتنوعها، وتعدد وسائلها، وسرعة انتشارها، وقبول الناس لها، فعن طريقها يتم توجيه الجماهير، وعن طريقها يتشكل الرأي العام .

لذلك يحرص الطغاة على استثمار هذه الوسيلة لصالحهم، ويعملون جاهدين على تطوير وسائلها وتنويع أساليبها، والإغداق عليها، لتكون المنابر التي من خلالها يُطَوِّعُون الجماهير، وبمغرياتها يستخفون بالشعوب، وبوسائلها المتعددة يخنقون كل رأي معارض.

ويهدف الباحث في هذا المطلب إلى إبراز الوسائل الإعلامية التي استخدمها الطغاة قديماً وأشار إليها القرآن الكريم، وما زال الطغاة يستخدمونها بعد أن طوَّروها واستحدثوا أدواتها.

[1] الحَدْسُ الظن والتخمين، مختار الصحاح ج1 ص167

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

البند الأول اتهام المعارضين بالتآمر:

وهي وسيلة يلجأ إليها الطغاة للتخلص من معارضيهم، فما أن يظهر صاحب حق ويقف في وجه نظام الطاغية، إلا ويقف الطاغية متهماً إياه بأنه مخرّب، متآمر، يريد قلب نظام الحكم، وإفساد البلاد، وتشريد العباد .

يقول الله - ﷻ -:﴿ **وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۞ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ۞ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾{الأعراف120- 123} .

وبالنظر والتأمل في الآيات نلاحظ ما يأتي:

- إن إيمان السحرة أحرج فرعون وأوقعه في ورطة، وخاصة أن هذا الإيمان حدث أمام الناس وفي يوم الزينة، والسحرة من رجال فرعون، وعليهم تقوم دعائم ملكه .

- حاول فرعون أن يخرج نفسه من هذه الورطة بمخرج ينتقم فيه من السحرة ولا يثير عليه العامة، فألقى بشبهتين:

" الأولى قوله: (إِنَّ هذا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ في الْمَدِينَةِ) أي: إنَّ إيمان هؤلاء بموسى - عليه السلام - ليس لقوة الدَّليل بل لأنَّهم تَوَاطَئُوا مع مُوسى - عليه السلام - أنَّه إذا كان كذا وكذا فنحن نُؤمن بِك .

الثانية: أنَّ غرض موسى - عليه السلام - والسَّحرة فيما تواطئوا عليه إخراج القوم من المدينة، وإبطال ملكهم .

ومعلوم عند جمع العقلاء أنَّ مُفارقَةَ الوطنِ والنِّعْمَة المألوفة من أصعبِ الأمور فجمع فرعون اللّعينُ بين الشُّبهتين، ولا يوجد أقوى منهما في هذا الباب"[1]

وعلى هذا يكون معنى الآية: " إن هذا الصنيع الذي صنعتموه أنتم وموسى وهارون بالتواطؤ والاتفاق، ليس إلا مكرا مكرتموه في المدينة بما أظهرتم من المعارضة والرغبة في الغلب عليه مع إسرار اتباعه بعد ادعاء ظهور حجته زاد في سورة طه: ﴿ **إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ** ﴾{71} فأجمعتم كيدكم لنا في هذه المدينة؛ لأجل أن تخرجوا منها أهلها المصريين بسحركم - وهو ما كان اتهم به موسى - عليه السلام - وَحْدَهُ – ويكون لكم فيها مع بني إسرائيل ما هو لنا الآن من الملك والكبرياء ، كما حكاه تعالى عن فرعون وملئه في سُورَة يُونُس- يقصد قوله - تعالى -: ﴿ **قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ**﴾{78}"[2]

---

[1] اللباب في علوم الكتاب ج9 ص267، وانظر مفاتيح الغيب ج14 ص169

[2] تفسير المنار ج9 ص63

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

يقول المودودي رحمه الله: " ثم إنَّ فرعون لما انقلب كيده عليه، فكر في علة يُنْقِذ بها شرفه ونظامه مما لحق به، فماذا يقول للناس؟ أيقول أن موسى - عليه السلام - على باطل؟ فلم آمن به السحرة وهم من رجال فرعون؟ لابد من حيلة إذن، وما أيسرها فزعم أن ذلك كان مؤامرة على الحكم من فئة متطرفة، إنه تواطؤ لإخراجهم من سلطة البلاد والإطاحة برئيسها الشرعي، ويبدوا أن هذا الاختراع الذي أوجده فرعون راق في عيون الفراعين على مر التاريخ، فلا تتعب أفواههم من ترديده ضد كل دعوة حق حتى اليوم سيراً على نهج جدهم الأعلى "[1]

البند الثاني إظهار المخالفين بمظهر الحريصين على السلطة والنفوذ:

وهذه وسيلة أخرى من وسائل الاستخفاف، يعمد فيها الطاغية فرعون لإظهار موسى - عليه السلام - ومن معه بمظهر الحريص على السلطة والنفوذ، فهو لا يبغي من وراء دعوته خلاص الناس واستنقاذهم كما يزعم، ولكنه يبغي سلطة ورياسة، يقول الله - عز وجل -: ﴿ **قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ۞ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ** ﴾{يونس77-78}

يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله:

"هذا استفهام توريط وتقرير، تجاه ما أورده موسى - عليه السلام - من استفهام الإنكار والتعجيب، فحواه أتقر وتعترف بأنك جئتنا لتصرفنا وتحولنا عما وجدنا عليه آباءنا وأجدادنا من الدين القومي الوطني لنتبع دينك وتكون لك ولأخيك كبرياء الرياسة الدينية، وما يتبعها من كبرياء الملك والعظمة الدنيوية التابعة لها في أرض مصر كلها؟ يعنون أنه لا غرض لك من دعوتك إلا هذا وإن لم تعترف به اعترافا، جعلوا الخطاب الخاص بالدعوة والغرض منها لموسى - عليه السلام - لأنه هو الداعي لهم بالذات وأشركوا معه أخاه في ثمرة الدعوة وفائدتها لأنها تكون مشتركة بينهما بالضرورة (وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ) أي وما نحن بمتبعين لكما اتباع إيمان وإذعان فيما يُخْرِجنا من دين آبائنا الذي تقلده عامتنا، ويسلبنا ملكنا الذي تتمتع بكبريائه خاصتنا – وهم الملك وأركان دولته وبطانته وحواشيه - وهذان الأمران هما اللذان كانا يمنعان جميع الأقوام من اتباع الأنبياء والمصلحين في كل زمان "[2] .

فالملاحظ أن فرعون في كل مرة يلتقي فيها موسى - عليه السلام - يحاول أن يضع العراقيل في وجهه، ويقيم الحواجز والسدود التي تمنعه من الوصول إلى الجماهير، وتمنع الجماهير من

---

[1] فرعون في القرآن ص26

[2] تفسير المنار ج11 ص381

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

التأثر بدعوته، فنراه في هذا الموضع يراوغ ويبتعد عن مقارعة الحجة بالحجة، ورد الدليل بالدليل ويلجأ بدلاً من ذلك إلى تشويه نية موسى - عليه السلام - ومقصده، والحكم على ضميره (وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ) أي أنتم تريدون الملك، وتريدون السلطة، والحكم، وتسعون إلى قلب نظام الحكم في البلاد .

وهذا الوسيلة التي استخدمها فرعون للتشكيك في دعوة موسى - عليه السلام - استخدمتها قريش لصرف الناس عن دعوة محمد - ﷺ - فانطلق الملأ منهم ﴿ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾{ص6}، أي: " إن هذا القول الذي يقول محمد، ويدعونا إليه، من قول لا إله إلا الله، شيء يريده منا محمد يطلب به الاستعلاء علينا، وأن نكون له فيه أتباعا ولسنا مجيبيه إلى ذلك "[1].

فكل من دعا إلى الحق رماه الطغاة أن قصده من الدعوة طلب الرئاسة والجاه، من غير أن ينظروا إلى ما دعا إليه، وما قام عليه من البراهين، وذلك لأن الطغاة يريدون أن تظل الأمة في صمت تام، فإذا تكلم أحد من الناس قاموا في وجهه واستخرجوا من جعبة الطغيان تهمة جاهزة: هذا لا يريد الإصلاح وإنما يبحث عن سلطة، أو يريد منصباً، أو حكماً.

وهنا يَحِق لنا أن نتساءل: من الذي أباح للدجاجلة والطغاة والمنافقين السعي للاستيلاء على السلطة والحكم، وحَرَّمَ ذلك على المؤمنين المتقين؟

أليس من حق المؤمنين الأتقياء الوصول إلى الحكم وخاصة إذا كان الحكم جزءاً من عقيدتهم؟

كيف يمكن للعدل أن يسود ولشرع الله أن يحكم إذا نُحِّيَ المتقون ووُلِّيَ الطغاة الظالمون؟

لماذا لا يحتكم الطغاة الذين يدَّعون الإسلام إلى شرع الله، ويقيموا العدل في الناس، وبذلك يقطعون الطريق على الطامعين في السلطة والحكم على حد زعمهم؟

من المقزز أن يقف فأر ليخطب في الناس عن النظافة! ومن المقزز أكثر أن يقف الذين ولغوا في دماء الناس وأعراضهم من أجل الحفاظ على كراسيِّهم مُحَذِّرِينَ من المؤمنين الأتقياء متهمين إياهم بأنهم يريدون سلطة أو جاهاً!

ومن المقزز أكثر وأكثر أن نجد من بين الناس الذين ديست كرامتهم واعْتُدِيَ على إنسانيتهم من يُصَدِّق الطغاة ويصفق لهم!

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن ج21 ص152

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

إن من القواعد المقررة شرعاً أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[1]، فإذا نَحَّى الطغاة دين الله عن الحكم، وعطَّلوا العمل بالشريعة، وفرغوا الإسلام من مضمونه، وقصروه على طقوس وعبادات تؤدى في البيت أو المسجد، وعزلوه عن واقع الحياة، وجب على الدعاة أن يسعوا لتغييرهم واستبدالهم بمن يقيم دين الله - ﷻ - ويطبق شرعه ويجعله منهج حياة وإن اقتضى ذلك أن يتولوا الأمر بأنفسهم وهم في ذلك لهم عظيم الأجر والمثوبة عند الله - ﷻ - ولا يغرَّنهم تلبيسات الشياطين وأتباعهم من الطغاة المستكبرين، فهذه هي طريقة الأنبياء - عليهم السلام – وأتباعهم من الدعاة المخلصين، ولعلّ أوضح الأمثلة على ذلك: ما فعله نبي الله يوسف - عليه السلام - من تولّي ملك مصر من أجل نصرة دين الله، وإقامة العدل الذي يحبّه الله - تعالى -، بل إنّ لنبيّنا محمّد - ﷺ - أوفر الحظّ والنصيب من ذلك، فهو أعظم سياسي حكم في التاريخ .

البند الثالث التقليل والتهوين من شأن المعارضين:

يحرص الطغاة حرصاً شديداً على أن يقدموا أنفسهم على أنهم أصحاب الشرعية - فهم منتخبون من قِبل الجماهير بالأغلبية المطلقة - وأنهم محل رضا الشعب وإجماعه، لذلك لا يَتَصَوَّر الطاغية أن يخرج عن طاعته أحد، فإذا خرجت طائفة عن طاعته، ورفضت حكمه، وطالبت بتنحيته، فإن هذه الطائفة - مهما بلغ تعدادها - في نظر الطاغية شرذمة قليلون، أو هكذا يقدمهم للجماهير، فهم حفنة من المشاغبين لا يؤثرون في الإجماع الشعبي الداعم لحكمه وذلك كي لا تتأثر هذه الجماهير بهذه الطائفة وتحذوا حذوها، فإن الجماهير المستخفة المخدوعة لو عرفت الحجم الحقيقي للمعارضة، واستشعرت القوة التي يمثلها هذا التيار، وانضمت بجحافلها إليه، فلن يكون هناك طاغية ولا طغيان .

لذلك يعمل الطغاة جاهدين في كل زمان ومكان، على تصوير المعارضة على أنهم قلة قليلة من المراهقين سياسياً، والطامحين إلى السلطة والنفوذ، يرتكبون من الحماقات ما يجلب الكوارث على استقرار البلاد، لذلك يغيظونا ويغضبونا – هكذا يقول الطغاة – بتصرفاتهم الغبية، مع أننا حذرون منهم، وأجهزة أمننا ومخابراتنا واستخباراتنا ترصد تحركاتهم وتعد عليهم أنفاسهم، وهم لا يخيفوننا فهم تحت السيطرة، وسينتهي أمرهم بمجرد نزول قواتنا إلى الشوارع .

---

[1] انظر الأشباه والنظائر: لتاج الدين عبد الوهاب بن علي ابن عبد الكافي السبكي ج2 ص90، وإرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ج2 ص194

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

يقول الله - ﷻ -: ﴿ **فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۞ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۞ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ۞ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ** ﴾{الشعراء53-56}.

والذي يتأمل الآية ويمعن النظر فيها يدرك بلا أدنى شك أن فرعون يكذب عندما يصور للجماهير أن الخارجين عن طاعته قلة قليليه، إذ لو كان الأمر كذلك فلم إعلان حالة الاستنفار القصوى واستدعاء قوات الجيش من مختلف المناطق؟

لِمَ لَمْ يحرك مفرزة واحدة من جيشه للقبض على هؤلاء المشاغبين واقتيادهم إلى السجن أو حتى القتل ما داموا قلة قليلة؟

يقول سيد قطب - رحمه الله -: " ولكن هذا الجمع قد يشي بانزعاج فرعون، من قوة موسى - عليه السلام - ومن معه، وعظم خطرهم، حتى ليحتاج الملك الإله بزعمه! إلى التعبئة العامة، ولابد إذن من التهوين من شأن المؤمنين: (إن هؤلاء لشرذمة قليلون)! ففيم إذن ذلك الاهتمام بأمرهم، والاحتشاد لهم، وهم شرذمة قليلون؟ "[1]

يقول الشيخ أبو الأعلى المودودي - رحمه الله -: " وربما أعلن فرعون عبر إذاعة سلطته بياناً ألقاه هو بنفسه، أو ألقاه وزير داخليته: أن هذه جماعة قليلة من المتطرفين، وان القاعدة الجماهيرية العريضة بخير ومؤيدة لنظام حكمه، باستثناء هذه الفئة الباغية التي خرجت عن السلطة الشرعية للبلاد، وإنهم لنا لغائظون أي أنهم يسببون إزعاج السلطات، ويخلون بالأمن العام في البلاد، ونظامنا قائم على أساس الحذر من مثل هذه الشرذمة التي تهدد منجزاتنا المباركة "[2]

فالتقليل والتهوين من شأن المعارضين وسيلة من وسائل خداع الجماهير وصرفها عن الحقيقة، إذ أن النفس البشرية تنفر من الضعف، وتعتز بالقوة، والقلة مصدر ضعف، لذلك يلجأ الطغاة إلى تصوير القائمين على الرسالة والمؤمنين بها على أنهم قلة قليلة ليس لهم سند ولا قوة، متبعين في ذلك قدوتهم فرعون .

البند الرابع الظهور بمظهر القوة والتعريض بضعف الآخرين:

ومن الوسائل التي يستخدمها الطغاة لخداع الجماهير وتضليلهم وإرهاب من يفكر بالخروج عليهم، الظهور بمظهر القوة والتعريض بضعف الآخرين، وذلك عن طريق الإفراط في استخدام القوة وقمع المعارضين، يقول الله - ﷻ -: ﴿ **فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُواْ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ**

---

[1] في ظلال القرآن ج5 ص2597-2598

[2] فرعون في القرآن ص121

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الْحَقّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدّ مِنّا قُوّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنّ اللهَ الّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدّ مِنْهُمْ قُوّةً وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾{فصلت15}.

وقال - تعالى - مخبراً عن فرعون: ﴿ **قَالَ سَنُقَتّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَآءَهُمْ وَإِنّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾**{الأعراف127}.

وفي موضع آخر﴿ **قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾**{طه71}.

وقد توسع الباحث في الحديث عن هذا الأمر في مبحث ملامح أنظمة الطغاة، ومبحث نماذج من طغيان الحكام بما يغني عن إعادته هنا.

البند الخامس الظهور بمظهر الحريص على مصلحة العباد:

يقول الله - ﷻ -: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾**{غافر26} .

وهذه وسيلة من وسائل الطغاة للاستخفاف بالجماهير، إذ أن فرعون كان هو المفسد في الأرض، وهو الذي قهر الناس واستعبدهم، ولكنه أسقط ما فيه من خصال على الداعية، وأظهر موسى - عليه السلام - بمظهر المفسد في الأرض الذي يريد أن يتلاعب بعقائد الناس .

" وهذا من أعجب ما يكون، أن يكون شر الخلق ينصح الناس بعدم إتباع خير الخلق، هذا من التمويه والترويج الذي لا يدخل إلا عقل من قال الله فيهم: ﴿ **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾**{الزخرف54}"[1]

يقول سيد قطب - رحمه الله -: " ولعله من الطريف أن نقف أمام حجة فرعون في قتل موسى - عليه السلام -: (إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) هل هناك أطرف من أن يقول فرعون الضال الوثني، عن موسى رسول الله - عليه السلام - (إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد)؟!!

أليست هي بعينها كلمة كل طاغية مفسد عن كل داعية مصلح؟ أليست هي بعينها كلمة الباطل الكالح في وجه الحق الجميل؟ أليست هي بعينها كلمة الخداع الخبيث لإثارة الخواطر في وجه الإيمان الهادئ؟

إنه منطق واحد، يتكرر كلما التقى الحق والباطل، والإيمان والكفر، والصلاح والطغيان، على توالي الزمان واختلاف المكان، والقصة قديمة مكررة تعرض بين الحين والحين "[1] .

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج1 ص736

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

يقول الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ آَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾{الأعراف 123}

" فهو – يقصد فرعون - على عتوه على الخلق وعلوه في الأرض، قد خاف عاقبة إيمان الشعب، وافتقر على ادعائه الربوبية إلى إيهامهم بأنه لا ينتقم من السحرة إلا حبا فيهم، ودفاعا عنهم، واستبقاء لاستقلالهم في وطنهم، ومحافظتهم على دينهم، وكذلك يفعل كل ملك، وكل رئيس مستبد في شعب يخاف أن ينتقض عليه باجتماع كلمته على زعيم آخر بدعوة دينية أو سياسية، وما من شعب عرف نفسه وحقوقه وتعارف بعض أفراده، وتعاونوا على صون هذه الحقوق إلا وتعذر استبداد الأفراد فيهم، وإن كانوا ملوكا جبارين "[2].

وهكذا يبطش الطغاة بالدعاة والمصلحين بحجة المحافظة على الأمن والمصلحة العامة، والجماهير المستخفة المخدوعة تصفق لهم وتهتف بحياتهم .

البند السادس الظهور بمظهر كفالة الحريات والمحافظة على الشورى:

يقول الله - ﷻ -:﴿ **قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ** ﴾{الشعراء34-35} .

وهذا أسلوب آخر من أساليب الاستخفاف، إذ أن فرعون يدرك تماماً عداء الملأ لدعوة موسى- عليه السلام - لأنها تهدد مصالحهم، فأراد أن يظهر بمظهر المستشير لهم الذي ينفذ ما يرونه (**فَمَاذَا تَأْمُرُونَ**) " وذلك أن فرعون قد أحس بضخامة المعجزة وقوتها؛ فأسرع يقاومها ويدفعها؛ وهو يحس ضعف موقفه، ويكاد يتملق القوم من حوله؛ ويهيج مخاوفهم من موسى - عليه السلام - وقومه، ليغطي على وقع المعجزة المزلزلة:

(قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم ، يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره ، فماذا تأمرون)

وفي قولة فرعون هذه يبدو إقراره بعظمة المعجزة، وإن كان يسميها سحراً؛ فهو يصف صاحبها بأنه (ساحر عليم) ويبدو ذعره من تأثر القوم بها فهو يغريهم به: (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره)، ويبدو تضعضعه وتهاويه وتواضعه للقوم الذين يجعل نفسه لهم إلها، فيطلب أمرهم ومشورتهم: (فماذا تأمرون) ومتى كان فرعون يطلب أمر أتباعه وهم له يسجدون!

---

[1] في ظلال القرآن ج5 ص 3078

[2] تفسير المنار ج9 ص63

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وتلك شنشنة[1] الطغاة حينما يحسون أن الأرض تتزلزل تحت أقدامهم، عندئذ يلينون في القول بعد التجبر، ويلجئون إلى الشعوب وقد كانوا يدوسونها بالأقدام، ويتظاهرون بالشورى في الأمر وهم كانوا يستبدون بالهوى، ذلك إلى أن يتجاوزوا منطقة الخطر، ثم إذا هم جبابرة مستبدون ظالمون!"[2]

يقول الباحث بل إن الطغاة يتراجعون عن هذا المبدأ حتى قبل أن يتجاوزوا منطقة الخطر إذا شعروا أن الأمور تجري في غير صالحهم، والدليل في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ۞ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ۞ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۞ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾{غافر26-29} . فالملاحظ في هذه الآيات أن فرعون يستشير قومه في قتل موسى - عليه السلام - وقد كان يتوقع أن يمنحه برلمانه الموافقة على ذلك، لكنه فوجئ بما لم يكن يتوقع، وكادت الأمور أن تخرج من بين يديه فتراجع عن مبدأ الشورى وعاد إلى تفرده وطغيانه (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)، فالديمقراطية التي يتشدق بها الطغاة ما هي إلا وسيلة لخداع الشعوب والاستخفاف بها، ولا رصيد لها على أرض الواقع .

البند السابع الظهور بمظهر الحريص على تراث الآباء والأجداد:

يقول الله - عز وجل -:﴿ **قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ** ﴾{يونس78} .

إن إثارة هذه القضية (أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) في وجه موسى - عليه السلام - يهدف الطغاة من ورائها إلى تحقيق هدفين:

الأول: استثارة عواطف الجماهير وحشدهم ضد الداعية، وكأنهم يلقون في روع الجماهير أن هذا الذي يدعي الحرص على مصلحتكم يتهمكم بالغباء والحماقة أنتم وآباؤكم وأجدادكم إذ تعبدون آلهة غير الإله الذي يدعوا إليه .

---

[1] الشِّنْشِنَة: هي غريزة الرَّجُل، أي هي طبيعتُه التي وُلِدَت معه وقَدُمَت،انظر معجم مقاييس اللغة ج3 ص176

[2] في ظلال القرآن ج5 ص2594

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

أما الثاني: فهو إظهار أنفسهم على أنهم الحماة والمحافظون على تراث الآباء والأجداد، وأنهم الأبناء البررة لهم، ويترتب على ذلك أنهم الورثة الشرعيون للآباء والأجداد وهم أحق بالملك والسلطان من موسى وأخيه هارون - عليهما السلام - وذلك لأنهم من العاقِّين للآباء والأجداد " فكأنهم قالوا ما هذا؟ إن ما جئتما به شيء جديد علينا لم نعهده فيما تربينا فيه ونشأنا عليه، فهو ليس كذلك الذي توارثناه أباً عن جد، بل هو مخالف لتقاليدنا وعاداتنا وما سلكناه طيلة أعمارنا، فهل الهدف من دعوتكما تبديل هذا، وان تكون لكما سلطة البلاد إذا ما تبدل دين أهلها؟ كلا لن نؤمن به .

وهذان الأمران في الحقيقة هما عماد كل نظام خارج عن طاعة الله مخالف لدينه وتعاليمه، فبتقديس العادات والتقاليد تبقى الشعوب في جهالة بعيدة عن النور فيسهل قيادها، وبالسلطة تُحكم الشعوب وتساق إلى ما فيه مصلحة من جلس في كرسييها "[1].

وهكذا يتضح لنا أن تمسك الطغاة بتراث الآباء والأجداد ليس إلا وسيلة من وسائل الطغاة في خداع الجماهير والاستخفاف بها .

البند الثامن استجاشة عاطفة حب الوطن:

يقول الله- ﷻ -: ﴿ **قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ** ﴾{الأعراف 109- 110}، وفي سورة طه: ﴿ **قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى** ﴾{57}، وفي سورة الشعراء: ﴿ **قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ** ﴾{34-35}

والملاحظ في الآيات الثلاث: أن الطغيان يحاول أن يستجيش عاطفة حب الأوطان المغروسة في القلوب من أجل حشدها صفاً واحداً في مواجهة دعوة موسى - عليه السلام -، والهدف من ذلك استنهاض الهمم وتقوية العزائم لبذل غاية الجهد في سبيل القضاء على موسى - عليه السلام - ودعوته، فالطغاة يدركون أن حب الوطن فطرة في القلوب، ومفارقة الأوطان مخالف لطبائع النفوس لا يلجأ إليه الإنسان إلا مضطراً أو مكرهاً، والإنسان بفطرته مجبول على بغض من يحاول إخراجه من أرضه ويقاومه بكل ما أوتي من قوة، لذلك نراهم يحسنون العزف على هذا الوتر، ويبرعون في استخدامه كسلاح فاعل يثير حفيظة الشعوب على الدعاة.

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله:

" إنها نكبة جاءت لفرعون الذي يدعي الألوهية، ونكبة لمن حوله من هؤلاء الذين يوافقونه، فكيف يواجهها حتى يظل في هيئته وهيبته؛ قال عن موسى - عليه السلام -: إنه ساحر، لكي

---

[1] فرعون في القرآن ص34-44

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

يصـــرف الناس الذين رأوا معجزات موسى - عليه السلام - عن الإيمان والاقتناع به، وأنه رسول رب العالميـــن، وبعد ذلك يهيج فرعون وطنيتهم، ويهيج ويثير غيرتهم، ويحرك انتماءهم إلى مكانهم فقـــال: (يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) اتهموا موسى - عليه السلام - بأنـــه يريد أن يخرج الناس بسحره من أرضهم، وهذا القول من فرعون ومن معه له هدف هـــو تهييج الناس وإثارتهم ضد موسى - عليه السلام - ودعوته "[1]

البند التاسع إلباس الحق ثوب الباطل:

من طبائع الطغاة أنهم يقلبون الحقائق، ويزيفون الوقائع، ويُلْبِسُون الحق ثوب الباطـــل وهـــذه حقيقة أوضحها القرآن في آيات كثيرة، فقد لاحظ الباحث أن موسى - عليه السلام - ســـعى جاهـــداً لإقناع فرعون ومن معه أنه رسول من عند الله - عز وجل -، وآتاهم بالآيـــات البينـــة والـــدلائل الواضحة على صدق رسالته، ومع ذلك وفي كل مرة يظهر فيها الحق واضحاً جليـــاً، نـــرى الطغاة يلجئون إلى إلباس الحق ثوب الباطل، فيحيلون الحق باطلاً والباطل حقاً وإذا بالرسول الداعية ساحر، وإذا بالمجرم الطاغية إمام عادل .

﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾{الأعراف 109}

﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾{الأعراف 132}

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُـــمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ۞ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾{يونس 76-77}

﴿ وَلَقَـــدْ آتَيْنَـــا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّـــكَ يَا مُوسَـــى مَسْحُـــورًا ۞ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾{الإسراء101-102}

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴾{طه57}

﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾{الشعراء 34}

﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۞ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾{النمل 12-13}

﴿ فَلَمَّا جَـــاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾{القصص36}

﴿ وَلَقَـــدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾{غافر23-24}

---

[1] تفسير الشعراوي ج7 ص4276-4287 بتصرف يسير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

﴿ **وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ** ﴾{الزخرف49}

﴿ **وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۞ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ** ﴾{الذاريات38-40}

فالملاحظ في جميع الآيات أن فرعون وملأه اتهموا موسى - عليه السلام - أنه ساحر، وقالوا عن معجزاته الباهرات الواضحات أنها سحر، وهم في قولهم هذا لا يصدرون عن جهل، ولا يقعون في خطئهم هذا عن غير قصد، بل إنهم يوقنون أن موسى - عليه السلام - رسول من عند الله ويدركون أن ما جاء به - عليه السلام - من آيات ليست من السحر في شيء، يقول المولى - عز وجل -:﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾{النمل 14}

ولكنهم يقصدون بفعلهم هذا صد الناس عن دعوته - عليه السلام - وإيهامهم أنه مجرد ساحر يسعى للحصول على مكاسب شخصية له ولأخيه، فعمدوا إلى إلباس الحق ثوب الباطل، لعل العيون تنخدع بهذا اللباس ولا تبصر الحق الذي تحته.

ولم يقف كيدهم عند هذا الحد بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك عندما قال فرعون: ﴿ ... **ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ** ﴾{غافر26}

فقلب الحقيقة، فجعل من موسى - عليه السلام - مفسداً وجعل من نفسه إماماً عادلاً يخاف على مصالح الناس .

وهذه الوسيلة التي لجأ إليها فرعون قبل آلاف السنين، استخدمها الطغاة من بعده، ﴿ **كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۞ أَتَوَاصَوْاْ بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ** ﴾{الذاريات52-53} وما زالوا يستخدمونها، ربما تغيرت الألفاظ واستبدلت الكلمات، فبدلاً من أن يقال ساحر يقال: ظلامي، أو متطرف، أو إرهابي، أو أصولي، أو رجعي... تغير الشكل وبقي المضمون .

البند العاشر المغالطة والتمويه:

وهذه الوسيلة يلجأ إليها الطغاة للهروب من مواجهة الحق، وصرف الناس إلى قضايا ثانوية لا علاقة لها بحقيقة الدعوة، يقول الله - عز وجل -: ﴿ **وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۞ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ۞ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** ﴾{الزخرف51-54}

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

وعناصر المغالطة والتمويه في نداء فرعون واضحة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ويمكن بيان عناصر المغالطة والتمويه إذا رتبنا الأمور على النحو التالي:

- فرعون يدعي الألوهية .
- جاءه موسى - عليه السلام - برسالة من عند الله - عز وجل - وقدَّم نفسه على أنه رسول وليس إله .
- أتى موسى - عليه السلام - بأدلة صدقه على كونه رسول من عند الله .
- وهنا يستخدم الطاغية أسلوب المغالطة والتمويه لتضليل وخداع الجماهير؛ فبدلاً من أن يقارن نفسه بإله موسى – إذ أنه يدعي الألوهية – نجده يقارن نفسه برسول الإله، وهذه مغالطة واضحة .
- ونلاحظ أيضاً أنه موه على الناس حين أوهمهم أن الجاه والمال من مستلزمات الرسالة، وهي أمور لا تؤثر في طبيعة الرسالات إلا عند من تحققت فيهم صفة الخفة .

البند الحادي عشر التحريض والسخرية والاستهزاء:

يمارس الطغاة سياسة التحريض بأبشع صورها ضد الدعاة والمصلحين، لا يراعون في ذلك خلقاً ولا دين، فنراهم يكذبون ويكذبون، كل ذلك من أجل حشد كافَّة القُوى والطاقات في وجه الحق، لعلهم بذلك يستطيعون استئصاله أو النيل منه .

يقول الله - عز وجل -:﴿ **قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ۞ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى** ﴾{طه63-64}

﴿ **قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ** ﴾{الشعراء34-35}

يقول ابن كثير رحمه الله: " فبادر فرعون - بشقائه - إلى التكذيب والعناد، فقال للملأ حوله: (إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) أي: فاضل بارع في السحر، فَرَوَّج عليهم فرعون أن هذا من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة، ثم هيجهم وحرضهم على مخالفته، والكفر به، فقال (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) أي: أراد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا، فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويغلبكم على دولتكم، فيأخذ البلاد منكم، فأشيروا عليَّ فيه ماذا أصنع به؟ "[1]

[1] تفسير القرآن العظيم ج6 ص139

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

ويواصل الطغاة حربهم ضد الدعاة والمصلحين مُستَخدمين في ذلك كل وسائلهم القذرة، فيسخرون ويستهزئون، يقول الله - ﷻ -: ﴿ **يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾{يس30}

ويقول - تعالى -: ﴿ **وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ ۞ وَمَا يَأْتِيهِم مِّنْ نَّبِيٍّ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** ﴾{الزخرف6-7}

وقال - جل في علاه -: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ** ﴾{الزخرف46-47}

وقد استهزأ قوم نوح - عليه السلام - به ﴿ **وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ...** ﴾{هود38}، واستهزأت عاد بهود - عليه السلام - ﴿ **فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾{الشعراء187}، واستهزأت ثمود بصالح - عليه السلام - ﴿ **قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ ...** ﴾{الأعراف66}، واستهزؤوا بشُعيْب - عليه السلام - ﴿ **قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ** ﴾{هود87}، واستهزأ فرعون بموسى - عليه السلام - ﴿ **أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ** ﴾{الزخرف43}

" والواقع أن السخرية والاستهزاء من أمضى أدوات النفوذ والتأثير على الآخرين، ذلك أنها من أشد الأمور إيلاما لأصحاب المروءة، فتحجزهم عن كثير من المواقف تحاشياً أن يقعوا في مثار سخرية أو موضع استخفاف، ولذلك نبه الله الرسل والمصلحين على استغلال خصوم الدعوات الإلهية لهذه السلطة، فقال – تعالى -: ﴿ **وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ** ﴾{الرعد32}"[1]

لذلك يعمد الطغاة إلى استخدام هذه الوسيلة للتهوين من أمر الدعاة إلى الله في أعين الناس، والحط من مكانتهم أمام الشعوب، حتى لا يتجرأ أحد على الاستجابة لهم، فضلاً عن الاقتداء بهم، بل حتى لا يُصْغَي لكلامهم، أو يُلْتَفَت لدعوتهم، ولا يخفى ما في ذلك من مكر سيئ، يراد به صرف الناس عن دعوة الله، وصدهم عن سبيله، بل إنه يحمل في طياته تلميحًا وإغراءً للسفهاء – كشأن كثير من الإعلاميين اليوم - للنيل منهم، وإشاعة الأباطيل والافتراءات حولهم، حتى تتزعزع الثقة فيهم، فلا يتبعهم أحد .

فالسخرية والاستهزاء فوق ما يترتب عليهما من أثر سيء على نفسيات الدعاة، تعد جزءاً من حملة التحريض التي يمارسها الطغاة ضد الدعاة والمصلحين .

---

[1] مآلات الخطاب المدني: لإبراهيم السكران ج1ص163 ترقيم الشاملة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المطلب الثالث الوسائل القهرية:

فإذا لم تفلح الوسائل الإغوائية والإعلامية في لجم الدعاة والحد من انتشار دعوتهم، لجأ الطغاة إلى الوسائل القهرية كحل أخير للتخلص من معارضيهم، كالسجن، والتعذيب، والقتل، والصلب، والنفي

البند الأول السجن:

وهو أول الوسائل القهرية التي يلوِّح بها الطغاة في وجه معارضيهم، يقول الله - ﷻ - مخبراً عن فرعون: ﴿ **قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ** ﴾{الشعراء29} .

" وهذا أبلغ من أن لو قال: (لأسجننك) والمعنى لأجعلنك واحداً ممن عرفت حالهم في سجوني، وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه يطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فرداً لا يبصر فيها ولا يسمع "[1]

يقول سيد قطب - رحمه الله -: " والطغيان لا يخشى شيئاً كما يخشى يقظة الشعوب، وصحوة القلوب؛ ولا يكره أحداً كما يكره الداعين إلى الوعي واليقظة؛ ولا ينقم على أحد كما ينقم على من يهزون الضمائر الغافية .

ومن ثم ترى فرعون يهيج على موسى ويثور، عندما يمس بقوله هذا أوتار القلوب، فينهي الحوار معه بالتهديد الغليظ بالبطش الصريح، الذي يعتمد عليه الطغاة عندما يسقط في أيديهم وتخذلهم البراهين:

(قال: لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين) هذه هي الحجة وهذا هو الدليل: التهديد بأن يسلكه في عداد المسجونين، فليس السجن عليه ببعيد، وما هو بالإجراء الجديد! وهذا هو دليل العجز، وعلامة الشعور بضعف الباطل أمام الحق الدافع، وتلك سمة الطغاة وطريقهم في القديم والجديد!"[2]

ولقد أودع يوسف - عليه السلام - سجون الطغاة ظلماً سنين عددا، لأنه لم يستجب لنزوات امرأة العزيز يقول الله - ﷻ -: ﴿ **ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ** ﴾{يوسف35}

وعندما اجتمع طغاة مكة ليمكروا بمحمد - ﷺ - كان أول ما فكروا فيه هو السجن يقول الله - ﷻ -: ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾{الأنفال30} .

---

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان ج5 ص268

[2] في ظلال القرآن ج5 ص2593

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

لذلك نجد أن من أهم معالم البلاد التي يحكمها الطغاة كثرة السجون .

البند الثاني التعذيب:

فإن لم يحقق السجن الأهداف المرجوة منه، لجأ الطغاة إلى التعذيب لعل القلوب تلفظ الإيمان تحت وطأته يقول الله - ﷻ -: ﴿ **قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى** ﴾{طه71} .

ولقد توسع الباحث في بيان ما تحمله هذه الآية من ألوان العذاب في مبحث نماذج من طغيان الحكام بما يغني عن إعادته هنا.

والآيات التي تتحدث عن استخدام الطغاة للتعذيب كثيرة نذكر منها:

قوله - تعالى -: ﴿ **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ** ﴾{ص12}

" أي صاحب الأوتاد التي كان يشد إليها من أراد تعذيبه ويعذبه عليها كأعواد المشانق "[1].

ومنها: ﴿ **وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ** ﴾{البقرة49} .

البند الثالث القتل:

فإذا لم تؤتي الوسائل السابقة ثمارها، لجأ الطغاة إلى إحدى وسيلتين كحل أخير للتخلص من معارضيهم؛ القتلِ أو النفيِ .

أولاً القتل:

ويطلقون عليها في هذا الزمان التصفية الجسدية، وقد يستعمل الطغاة هذه الوسيلة علانية كما في قوله - تعالى -: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ** ﴾{غافر26}

وفي قوله - تعالى -: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ...** ﴾{غافر25}

وقد يستخدمونها غيلة وغدراً، كما في قصة مؤمن آل فرعون - الذي خطط فرعون لاغتياله - فنجاه الله منه، يقول المولى - ﷻ -: ﴿ **فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ** ﴾{غافر45}

" أي: وقى الله القويّ الرحيم، ذلك الرجل المؤمن الموفق، عقوبات ما مكر فرعون وآله له، من إرادة إهلاكه وإتلافه، لأنه بادأهم بما يكرهون، وأظهر لهم الموافقة التامة لموسى

---

[1] أيسر التفاسير ج 4 ص440

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

- عليه السلام - ، ودعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى، وهذا أمر لا يحتملونه وهم الذين لهم القدرة إذ ذاك، وقد أغضبهم واشتد حنقهم عليه، فأرادوا به كيدًا فحفظه الله من كيدهم ومكرهم "[1]

وكما حدث مع الحبيب محمد - ﷺ - يقول الله - عز وجل -: ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾{الأنفال30} .

والطغاة حين يمارسون هذه الوسيلة لا يرقبون في أحد إلاً[2] ولا ذمة[3]، فقد يقتلون أقرب الناس إليهم، فقد قتل إمامهم فرعون زوجته لمَّا تبين له إسلامها، فقد أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد، وألقاها في الشمس فكانت تعذب في الشمس فإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة، وقيل إن فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة ﴿ **قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾{التحريم11} فأبصرت بيتها في الجنة، من درة بيضاء وانتزعت روحها فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد ألماً"[4]

كما قتل ماشطةَ ابنتِه، فقد ورد في الحديث أن رسول الله - ﷺ - قَالَ: " لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا، أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهَا؟ قَالَ بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ سَقَطَتْ الْمِدْرَى[5] مِنْ يَدَيْهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَبِي؟ قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللَّهُ، قَالَتْ: أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْبَرَتْهُ، فَدَعَاهَا، فَقَالَ: يَا فُلَانَةُ وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ، ثم أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلَادُهَا فِيهَا، قَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، قَالَ وَمَا حَاجَتُكِ؟ قَالَتْ: أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي، فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنَنَا، قَالَ: ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنْ الْحَقِّ؛ قَالَ: فَأَمَرَ بِأَوْلَادِهَا، فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا، إِلَى أَنْ انْتَهَى

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج1 ص738

[2] الآل: أهل الشخص وهم ذوو قرابته، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ج1 ص29

[3] الذمة: العهد، انظر تهذيب اللغة ج15 ص434

[4] انظر تفسير الخازن ج7 ص123، تفسير القرآن العظيم ج8ص172، وبحر العلوم ج3ص449

[5] (المدرى) ما يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط و أطول منه يسرح به الشعر المتلبد و القرن، المعجم الوسيط ج1 ص282

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَـــــعٍ، وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِــنْ أَجْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّهْ اقْتَحِمِي فَإِنَّ عَـــذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ فَاقْتَحَمَتْ "[1]

وهكذا يتبين لنا أن الطغاة إذا فشلوا في مواجهتهم للدعاة، سارعت أيديهم إلى السيف يسلطونه على الرقاب .

البند الرابع النفي:

وهي وسيلة قديمة استخدمها معظم طغاة الأرض – إن لم يكن جميعهم – ضد دعـــاة الحـــق، يقول الله - ﷻ -:﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِـــي مِلَّتِنَـــا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّـــهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ** ﴾{إبراهيم13}

وقـــد نـــصت آيـــات أخـــر أيضاً علـــى بعـــض ذلك مفصلاً كقوله مخبراً عن قوم شعيب: ﴿ **قَالَ الْمَلَأُ الَّذِيـــنَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَـــا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِـــي مِلَّتِنَـــا قَـــالَ أَوَلَـــوْ كُنَّـــا كَارِهِيـــنَ ۞ قَـــدِ افْتَرَيْنَـــا عَلَـــى اللَّـــهِ كَذِبـــاً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ** ﴾{الأعراف88-89} . وقوله عن قوم لوط: ﴿ **فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُـــوا آلَ لُـــوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** ﴾{النمل56}، وقوله عن مشركي قريش: ﴿ **وَإِنْ كَـــادُوا لَيَسْتَفِزُّونَـــكَ مِـــنَ الْـــأَرْضِ لِيُخْرِجُـــوكَ مِنْهَـــا وَإِذاً لا يَلْبَثُـــونَ خِلافَـــكَ إِلَّا قَلِيـــلاً** ﴾{الإسراء76}، وقوله: ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُـــوكَ أَوْ يُخْرِجُـــوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾{الأنفال30} إلى غير ذلك من الآيات.

يقول سيد قطب - رحمه الله -: " وهنا يسفر الطغيان عن وجهه، لا يجـــادل ولا ينـــاقش ولا يفكر ولا يتعقل، لأنه يحس بهزيمته أمام انتصار العقيدة، فيسفر بالقوة المادية الغليظة التي لا يمـــلك المتجبـــرون غيـــرها: (وقـــال الذين كفروا لرسلهم: لنخـــرجنكم مـــن أرضـــنا أو لتعودن في ملتنا) !

هنا تتجلى حقيقة المعركة وطبيعتها بين الإسلام والجاهلية، إن الجاهلية لا ترضى من الإسلام أن يكون له كيان مستقل عنها، ولا تطيق أن يكون له وجود خارج عن وجـــــودها، وهي لا تسالم الإسلام حتى لو سالمها، فالإسلام لا بد أن يبـــدو في صورة تجمع حركي مستقل بقيادة مستقلة وولاء مستقل، وهذا ما لا تطيقه الجاهلية، لذلك لا يطلب الذين كفروا من رســـــــلهم مجرد أن يكفوا عن دعوتهم؛ ولكن يطلبون منهـــم أن يعـــودوا فـــي ملتهم، وأن يندمجوا في تجمعهـــم الجاهلـــي، وأن يذوبـــوا فـــي مجتمعهـــم، فلا يبقى لهم كيان مستقل، وهذا ما تأباه

---

[1] مسند أحمد بداية مسند ابن عباس ح2821، قال شعيب الأرنؤوط إسناده حسن، قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، المستدرك كتاب التفسير ح3839 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

طبيعـــة هـــذا الدين لأهله، وما يرفضه الرسل من ثَمَّ وَيَأْبَوْنَه، فما ينبغي لمسلم أن يندمج في التجمع الجاهلي مرة أخرى "[1]

ملاحظات على أساليب الاستخفاف:

- تنوع الأساليب واختلافها، وذلك حسب الظروف وأصناف الناس الذين تَعَرَّضَ لهم الطغاة

- معظم هذه الأساليب حققت الغاية منها، والقليل منها فقط لم يؤت أكله، وذلك أيضاً بـــسبب أصناف الناس الذين تعرض لهم الطغاة، فالبعيدون عن منهج الله نجحت أساليب الطغـــاة فـــي استخفافهم، والمتمثلون لهذا المنهج مثل موسى وأخاه هارون عليهما السلام، وسحرة فرعون، فشلت أساليب الطغاة في استخفافهم .

- تشابه أساليب الطغاة قديماً وحديثاً في الصد عن سبيل الله، حتى لكأن أولهم أوصى أخرهم ﴿ **كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۞ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ** ﴾{الذاريات52-53} ولكن الآية تشـــير إلى وجود علة أخرى غيـــر التواصـــي، وهي الطغيان، فمن طبيعته عندما يسيطر على القلوب والنفوس، أن يَنْتُج عنه نفس الأســـاليب وتصدر عنه نفس الانفعالات لمقاومة ومحاربة حَمَلَةِ الحق، وتحذير الناس منهم، وهذا شـــأن القلوب إذا تشابهت في الزيغ والضلال ﴿ .... **تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ** .... ﴾{البقـــرة118} تـــشابهت فيما يصدر عنها من انحرافات[2] .

- شتان شتان بين الإنسان بلا منهج رباني، وإنسان ذو منهج رباني، فـــالأول مُـــسْتَخَفٍ بـــه والثاني مُسْتَعْلٍ بإيمانه، فالإيمان هو الذي يمنح الإنسان ثقله ويعصمه مـــن الاســـتخفاف بـــه، ومثال ذلك السحرة في كلا الحالين – حال كونهم مُسْتَخَفٍ بهم لبعدهم عن منهج الله، وحـــال استعلائهم بإيمانهم .

---

[1] في ظلال القرآن ج4ص2092 بتصرف يسير

[2] انظر تفسير المنار ج1ص363، وأضواء البيان ج5ص341

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المبحث الثالث

نماذج تطبيقية على الخفة والاستعلاء

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سحرة فرعون

المطلب الثاني: المؤمنون في سورة البروج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المطلب الأول سحرة فرعون:

﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۞ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ۞ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۞ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ۞ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۞ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ۞ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ۞ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾{الأعراف113-126}

هذه قصةُ فئةٍ من الناس تربوا على العبودية وعاشوها بكل معانيها، حتى أُشْرِبَتْ قُلوبُهم الذل، وحنا رؤوسهم الهوان، فلا يُرَوْنَ إلا ساجدين يُسَبِّحون بحمد فرعون، جاؤوا من كل مكان محشورين على غير إرادتهم، والهدف نُصْرَةُ إِلَهِهِم الذي وقف عاجزاً أمام رجلين أعزلين إلا من غصن شجرة اتخذه أحدهما عصاً يهش بها على غنمه .

ويقف هؤلاء السحرةُ أمام فرعونَ، الملك الإله – كما يزعمون – فيقولون له باستجداءٍ: (إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ) هذا أقصى ما يطمحون إليه – الأجر – ولا شيء غير الأجر، وهم يعلمون علم اليقين أن ما سَيُعْطِيهم إياه فرعون مهما عَظُم، لا يتعدى كَوْنَه فتات، وهم مع ذلك راضون به قانعون، فقد نبتت أجسادهم أصلاً على الفتات الذي يرمي به فرعون إليهم .

ويجيبهم الملك الإله المأزوم بالإيجاب، لأنه يعرفهم تمام المعرفة، ويعرف ما تطمح إليه نفوسهم، ولا بأس أيضاً من أن يضمهم إلى طوابير المصفقين له المُؤَمِّنِين على سياسته.

وتبدأ المبارزة، يفتتحها السحرة بإعلان الولاء لفرعون مقسمين بعزته أنهم هم الغالبون ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾{الشعراء44}

وهنا وقعت المفاجأة المذهلة التي لم يكن يتوقعها كبار السحرة؛ لقد ظهرت المعجزة وانتصر موسى - عليه السلام - واستبانَ الحقَ للسحرة وأشرق لهم نور الرسالةَ فبدد الغشاوة عن القلوب فأذعنت للحق (وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۞ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) وهكذا انقلب السحرة المأجورون، مؤمنين من خيار المؤمنين، وهم قد كانوا منذ لحظة مأجورين ينتظرون الجزاء من فرعون على مهارتهم، ولم يكونوا أصحاب عقيدة ولا

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

قضيـــة، ولكـــن الحـــق الـــذي مـــس قلوبهـــم قـــد حولهـــم تحويـــلاً، لقـــد كانـــت هـــزة رجتهـــم رجاً، وخضتهـــم خضـــاً؛ ووصلت إلى أعماق نفوسهم وقرارة قلوبهم، فأزالت عنها ركام الضلال، وجعلتها صافية حية خاشعة للحـــــق، عامرة بالإيمان، في لحظات قصار[1] لقـــد حـــدثَ تغيرُ عجيبُ، وانقلابُ غريبُ، فإذا الذين كانوا يقولون: (بعزةِ فرعون إنا لنحنُ الغالبون)، إذا بهم يقولون: (آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ)، " لا يفكرون فيما يعقـــب جهرهـــم بالإيمان في وجه الطاغية من عواقب ونتائج، ولا يعنيهم ماذا يفعل أو ماذا يقول "[2]، ويحاول الطاغية بالتهديد والوعيد أن يـــستثير فـــيهم كـــوامن الـــذل والاســـتخذاء: (لأُقَطِّعَـــنَّ أَيْدِيَكُـــمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ)، ﴿ **فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِـــنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى** ﴾{طه71} .

فما الذي كان من السحرة إزاء هذا الوعيد الهادر من ملك جبار يقول للناس أنا ربكم الأعلى؟ لقـــد وقفوا بإيمانهم الجديد كالجبال الشم، متحدين جبروت فرعون، مستعدين لـــكل ما يرغي به ويزبد، الدنيا في أعينهم كجناح بعوضة، والطاغوت أمامهم كذبابة لا يُقدم ولا يؤخر، بـــل إن قتلهم إسراع إلى الله - ﷻ -، وانتقالٌ من عالم الطواغيت إلى رحمن رحيم، لذلك توجهوا إلى الله - ﷻ - يسألونه أن يفرغ عليهم صبرًا يتحملون به العذاب راضين، ويستقبـــلون بـــه المكـــاره مطمئنيـــن، ومـــن هنـــا قالوا: (إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ۞ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَـــنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُـــسْلِمِينَ)، وإذا الـــذينَ كـــانوا يقولـــونَ باستجداءٍ: (إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ) إذا بهم يقولون لفرعونَ باستعلاء: (فَاقْـــضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا).

يقول سيد قطب - رحمه الله -: " وجعل فرعون يهدد بالعذاب الغليظ بعد التهويل فيما ينتظر المؤمنين:﴿ ..... **فَلَسَوْفَ تَعْلَمُـــونَ لَـــأُقَطِّعَنَّ أَيْـــدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُـــمْ مِـــنْ خِلَـــافٍ وَلَأُصَـــلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾{الشعراء49}، إنها الحماقة التي يرتكبها كل طاغية، حينما يحس بالخطر على عرشه أو شخصه، يرتكبها في عنف وغلظة وبشاعة، بلا تحرج من قلب أو ضمير، وإنها لكـــــلمة فرعون الطاغية المتجبر الذي يملك تنفيذ ما يقول، فما تكون كلمة الفئة المـــــؤمنة التي رأت النور؟!

إنها كلمة القلب الذي وجد الله، فلم يعد يحفل ما يفقد بعد هذا الوجدان، القلب الذي اتصل بـــالله لا بالطغيـــان، القلـــب الذي يرجو الآخرة فلا يهمه من أمر هذه الدنيا قليل ولا كثير: ﴿ **قَالُوا**

---

[1] انظر في ظلال القرآن ج5 ص2595-2596

[2] المرجع السابق ج5 ص 2596

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ۞ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾{الشعراء50-51} لا ضير في تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، لا ضير في التصليب والعذاب، لا ضير في الموت والاستشهاد، لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون، ولكن في هذه الأرض ما يكون: فالمطمع الذي نتعلق به ونرجوه (أن يغفر لنا ربنا خطايانا) جزاء (أن كنا أول المؤمنين)، وأن كنا نحن السابقين .

يا لله! يا لروعة الإيمان إذ يشرق في الضمائر، وإذ يفيض على الأرواح، وإذ يسكب الطمأنينة في النفوس، وإذ يرتفع بسلالة الطين إلى أعلى عليين، وإذ يملأ القلوب بالغنى والذخر والوفر، فإذا كل ما في الأرض تافه حقير زهيد "[1] .

" إنه الإيمان، الإيمانُ الذي لا يفزعُ ولا يتزعزعُ، الإيمانُ الذي لا يخضعُ ولا يخنعُ، الإيمانُ الذي يطمأنُ إلى النهايةِ فيرضاها، ويستيقنُ من الرجعةِ إلى ربهِ فيطمئنُ إلى جواره، .... ويقفُ الطغيانُ عاجزا أمام الإيمان، وأمام الوعي، وأمام الاطمئنان.

يقفُ الطغيانُ الفرعونيُ عاجزا أمام القلوبُ التي خُيّل إليه أنه يملكُ الولايةَ عليها كما يملكُ الولايةَ على الرقاب، وأنه يملكُ التصرفَ فيها كما يملكُ التصرفَ في الأجسام، فإذا هي مستعصيةُ عليه، وما كانت آثار سنين طوال من قيود الوراثة، والتربية، والبيئة، أن تصمد أبدًا مهما بلغت قوتها أمام لحظة إيمان صادق يعيشها قلب عبد مؤمن .

وماذا يملكُ الطغيانُ إذا رغبتِ القلوبُ في جوارِ الله، وماذا يملكُ الجبروت إذا اعتصمتِ القلوبُ بالله "[2].

المطلب الثاني:

المؤمنون في سورة البروج:

﴿ **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۞ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۞ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۞ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۞ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۞ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۞ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۞ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۞ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۞ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ** ﴾{البروج 1-11}

---

[1] في ظلال القرآن ج5 ص2597

[2] المرجع السابق ج3 ص1351 بتصرف يسير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

هــذه الآيات تروي قصةَ أصحابِ الأخدود، قصة فئة آمنت بربها، ثم تعرّضت للفتنة على يد أعداء جبارين بطاشين مستهترين بحق الإنسان في أن يؤمن بالله العزيز الحميد، قــصة فئــة امتلأت قلوبُهم بحبّ الله، وإيثار الله، والرضا بالله، ارتفع الإيمان بها على الفتنة فلم تـــــرضخ لتهديد الجبارين الطغاة، ولم تفتن عن دينها وهي تحرق بالنار حتى تموت .

هؤلاء الذين فتنوا في دينهم، هؤلاء الذين أحرقوا في خنادقِ النارِ مع نسائهم وأطـــفالِهم، لم يكن لهم ذنب إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد، وكان نكالاً دنيويًا بالغَ القسوة وجريمةً نكــراء عندمــا يقــادُ أولئــك المؤمنــون الأطهــار إلــى خنــادقَ وحفــر أضرمت فيها النار، هم ونساؤهم وأطفالهم؛ ليلقوا فيها، لا لشيء إلا لأنهم آمنوا بالله - جل وعلا -، حتى تأتي المرأةُ معها طفلُها الرضيعُ تحملُه، حتى إذا أوقفت على شفيرِ الحفرةِ والنارُ تضطرمُ فيها ترددت، لا خــوفًا مــن النــار ولكــن رحمــةً بالطفل، فيُنطقُ اللهُ الطفلَ الرضيع ليقولَ لها مؤيّدا مثبّتًا مصــبِّرًا: يا أمّــاه، اصبري فإنك على الحق، فتلقِي المرأةُ الضعيفةُ بنفسها وهي تحمل طفلها الرضيع في تلكم النار.

إنه مشهــد مــروّع وجريمة عظيمةٌ، يقصُ القرآنُ خبرها ويخبر بشأنها، فإذا هي قصة مليئة بالدروس مشحونة بالعبر، فهل من مدكر؟!"[1]

يقول سيد قطب رحمه الله:

" وهكــذا تنتهــي روايــة الحــادث وقد ملأت القلب بالروعة، روعة الإيمان المستعلي على الفــتنة، والعقيــدة المنتصــرة على الحيــاة، والانطــلاق المتجــرد مــن أوهــاق الجســم وجاذبية الأرض، فقد كان في مكنة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم في مقابل الهزيمــة لإيمــانهم، ولكــن كــم كانوا يخسرون هم أنفسهم في الدنيا قبل الآخرة؟ وكم كانت البشرية كلها تخسر؟ كــم كــانوا يخســرون وهــم يقتلــون هذا المعنى الكبيــر: معنــى زهــادة الحيــاة بــلا عـــقيدة، وبشاعتهــا بلا حرية، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح بعد سيطرتهم علــى الأجســاد! إنــه مــعنى كريـــم جداً ومعنى كبير جداً هذا الذي ربحوه وهم بعد في الأرض، ربــحوه وهــم يجــدون مــس النــار فتحتــرق أجسادهــم، وينتصر هذا المعنى الكريم الذي تزكيه النار؟ وبعد ذلك لهم عند ربهم حساب، ولأعدائهم الطاغين حساب "[2]

---

[1] انظر موسوعة فقه الابتلاء، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود ج3 ص284

[2] في ظلال القرآن ج6 ص3874

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الحمد لله الذي أنعم علي بإتمام هذا العمل، وأسأله - ﷻ - أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله من العلم الذي يُنْتَفَعُ به، وأن لا يحرمني أجره وثوابه يوم الدين - يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم - وبعد:

فهذه خلاصة لأهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث:

أولاً أهم النتائج:

1- يتساوى جميع الناس في الإسلام من حيث القيمة الإنسانية، وفي الحقوق والواجبات التي مُنِحَت لهم بمقتضى تلك القيمة .

2- الغاية من خلق الإنسان هي عبادة الله - ﷻ - والمهمة الموكلة إليه في هذه الحياة هي إعمار الأرض والانتفاع بثرواتها وفق منهج الله .

3- الإنسان في الإسلام مخلوق مكرم، ويتمتع بكافة الحقوق والحريات التي تمكنه من إعمار الأرض وتحقق له السعادة في الدنيا والآخرة .

4- جعل الله - ﷻ - لكل مخلوق حداً ينتهي إليه ويقف عنده، وكلُّ شَيْءٍ يتجاوزَ حَدَه فقدْ طَغَى.

5- الطاغوت هو كل ما يصرف الناس عن الله - ﷻ - أو عن الحق الذي دعاهم إليه سبحانه على لسان رسوله - ﷺ - .

6- إن أصناف الطواغيت كثيرة ومتعددة، فكل ما يصرف عن الله - ﷻ -، ولو في جزئية أو مجال من مجالات العبادة طاغوت، فمن يصرف عن الله من جهة الحب والموالاة والمعاداة فهو طاغوت، ومن يصرف عن الله من جهة الطاعة والاتباع والتحاكم فهو طاغوت، ومن يصرف عن الله من جهة الدعاء والخشية والنذر والنسك فهو طاغوت، ومن يصرف عن الله من جهة الإقرار له بخصائص الإلهية أو بعضها فهو طاغوت .

7- مما يندرج كذلك في مسمى الطاغوت، الشرائع والقوانين، والدساتير والمناهج المضاهية لشرع الله، وكذلك كل إمام في الكفر والفساد والإضلال فهو طاغوت .

8- الحاكم الطاغية: هو الحاكم الذي يتجاوز حدود الشرع فيما أوجب الله - ﷻ - لرعيته عليه قاصداً ذلك سواءً كان هذا الحاكم فرداً أم جماعة أم حزباً أم دولة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

9- السيادة في الإسلام للشرع: فسلطان القانون في الإسلام مستمد من أن هذا التشريع جاء به الرسول - ﷺ - قرآناً وسنة، والأمة كلها والإمام معها لا تملك أن تخالف عما جاء به الرسول - ﷺ - .

10- ليس في الإسلام حصانة لأحد من القانون، فالحاكم في الإسلام مسئولٌ عن عدوانه وأخطائه كأي فرد من أفراد المجتمع .

11- الأمة وحدها هي صاحبة الحق في اختيار الحاكم، والنزول على إرادتها فريضة، والخروج على رأيها تمرد، ومن حقها عزل المتمرد عن إرادتها، بل هو عليها واجب .

12- إن طغيان الفرد في أمة ما جريمة شنيعة، والحاكم لا يستمد بقاءه المشروع، ولا يستحق ذرة من التأييد إلا إذا كان معبراً عن روح الجماعة ومستقيماً مع أهدافها .

13- تتعدد واجبات الحاكم المسلم ويمكن تلخيصها في: بذل الوسع في حراسة الدين وسياسة الدنيا بما يحقق الحياة الكريمة للإنسان في الدنيا والآخرة .

14- الطغيان عدو لله - ﷻ - ولرسله عليهم السلام، وللشعوب، ولا قيام لحق في هذه الحياة إلا إذا طُمِسَت كل صوره وسُوِّيَت به الأرض .

15- من مقاصد الإسلام الكبرى - قرآناً وسنة - تقبيح الطغيان، والتحذير منه، والحض على التحرر من كل نماذجه وصوره .

16- الطاغية إنسان مستعد بالفطرة للخير والشر، وعلى الرعية أن تكون مستعدة لأن تعرف ما هو الخير، وما هو الشر، ومستعدة لأن تقول لا أريد الشر وتضحي في سبيل ذلك .

17- الغنى وإيثار الحياة الدنيا والخوف على الملك وخفة الشعوب من أهم أسباب بروز الطغيان .

18- الطغيان عدوى، وجرثومته تسري في دماء ملاك السلطة، فللحكم إغراء يزين لمتوليه أن يتخفف رويداً رويداً من تبعات الفضيلة والعفاف، وما أكثر ما يذكر الحاكم شخصه وينسى شعبه، وما أسرع أن ينسى مُثُلَه العليا ويهبط قليلاً قليلاً، وما أيسر أن يستخدم سلطانه الواسع في غير ما منح له .

19- ما من حكومة عادلة تأمن المسؤولية والمؤاخذة بسب من أسباب غفلة الأمة، أو إغفالها لها، إلا وتسارع إلى التلبس بصفة الطغيان، وبعد أن تتمكن فيه لا تتركه، وفي خدمتها شيء من القوتين المهولتين: جهالة الأمة، والجنود المنظمة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

20- لأنظمة الطغيان ملامح تُمَيِّزُها عن أنظمة العدل منها: التأله، عدم تفويض السلطة، تعطيل الدستور، الإستيلاء على مقدرات الدولة الاقتصادية، مصادرة الحريات، الإفساد، تفتيت المجتمع إلى قوى متصارعة، الاعتماد على القوة الغاشمة في قمع المعارضين .

21- للطغاة صفات تساهم بشكل فاعل في بروز ظاهرة الطغيان عندهم مثل: العلو في الأرض والإسراف، **والكِبْرُ**، والغفلة عن آيات الله والتكذيب بها، والفسوق والكفر بآيات الله، والخطأ والإضلال، **والكذب** ونكث العهود، والظلم والبغي والعدوان، والإجرام والإرهاب، **والمَن، وهم** أَئِمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ .

22- لا يتورع الطغاة ولا يترددون في ارتكاب أشد الفظائع وأقبح المنكرات لتحقيق غاياتهم، غير مكترثين بحياة الإنسان رجلاً كان أو امرأة، طفلاً صغيراً أو شيخاً كبيراً فقانونهم في الحياة الغاية تبرر الوسيلة .

23- الطغاة لا يعوزهم اختلاج الحجج لتبرير جرائمهم، وليس قلب الحقائق بالأمر العسير على من يريد سفك الدم الحرام .

24- يتشابه الطغاة في أساليبهم وطريقة تفكيرهم، وليس من السهل أن يتركوا غرورهم مهما تلطف معهم المصلحون .

25- لا يكاد ينبعث صوت للحق، حتى يلاحقه سوط من الطغيان يطلب إما إخراسه وإما قتله.

26- الأمم لا تعاقب بعد كفر ساعة أو كفر شهر وإنما بعد أن يَتَبَيَّن أن بقاءهم سُبَّة للحياة وفساد للأحياء .

27- النتيجة المنطقية لطغيان الطاغية وأعوانه، وفساد البيئة التي يعيشون فيها معا، الهلاك المحقق، فما من طاغية إلا ووصل بجماعته إلى الهاوية فضاع وضاعوا معه .

28- إذا نزل العقاب فإنه يعم السادة والأذناب، وتلك شرعة الله العادلة في العقاب .

29- الحقوق لا تُعطى منَّة من حاكم طاغية، أو من محتل غاصب، وإنما تنال بالإعداد والتحضير لمواجهة أعداء الله، وأعداء الإنسان .

30- إن قاعدة المعركة للقضاء على الطغيان هي وجود الجماعة المؤمنة إيماناً حقيقياً والمستعدة للبذل والتضحية في سبيل ما تؤمن به .

31- الأمة لا تنال من الله نصراً، ولا تستحق منه تمكيناً إلا إذا احتفظت بخصائص الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقيم عليها – في الداخل – علاقات الحكومة بالشعب، وترسي عليها – في الخارج – العلاقات بين الدولة المسلمة وسائر دول العالم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

32- إذا وجدت الجماعة المؤمنة المستعدة للتضحية في سبيل ما تؤمن به، فإن الطغيان لن يقف مكتوف الأيدي وسيتقدم بخيله ورَجِلِه للقضاء على هذه الجماعة .

33- الصراع مع الطغيان صراع عقيدة، ومن واجب المؤمنين ألا يخدعوا بأي راية أخرى تهدف إلى صرفهم إلى عناوين أخرى غير العقيدة، فالتخلص من الطغيان عقيدة يدين بها المسلم لربه .

34- مرارة الحق تنشأ من كراهية المبطلين له، وحرصهم على إسكات دعاته مما يجعل الثائرين على الفساد يتعرَّضون لمكاره شتى، ومن هنا تتفاوت المراتب ويُمَحَّص الإيمان، فالمسلم البصير بما هو عليه من حق، الواثق بما عند الله - ﷻ - من خير لا يبالي أن يقذف بالكلمة الصادقة يزلزل بها كيان الظلم غير ناظر لبطش مخلوق .

35- النصر على الطغيان في الدنيا للدعوة لا للأفراد، لذلك ليس من المُسْتَغْرَب أن يرتفع الشهداء إلى الله قبل أن يروا ثمرة جهادهم في الدنيا .

36- المصلحون في علاجهم لأمراض الأمم يعطون فرصاً طويلة لشعوبهم حتى يتعلم الجاهل، ويثوب الشارد، فالزمن جزء من العلاج، والصبر على لأواء الناس ضرورة لإنجاح الرسالات .

37- تحين نهاية الطغيان عندما يبلغ الذروة ويظن أنه قد انتصر، ويبلغ المؤمنون غاية الشدة والكرب .

38- إن النقل والعقل يشيران بوضوح إلى دور الشعوب في صناعة الطغيان، وتمكين الطغاة، وأنه لولا خفة الشعوب ما كان طغيان ولا كان طغاة .

39- أدوات التغيير التي تملكها الشعوب أقوى بكثير من وسائل البطش والتعذيب التي يملكها الطغاة .

40- الفسوق سبب طاعة المُسْتَخَفِ بهم للطغاة .

41- العلم بالله أصل كل علم، وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله ومصالح دنياه وآخرته، والجهل به مستلزم للجهل بنفسه ومصالحها وكمالها وما تزكو به وتفلح به، فالعلم به سعادة العبد والجهل به أصل شقاوته .

42- غذاء الروح الذي به حياتها، ومن عدمه يكون موتها، وبحسبه تثقل أو تخف في ميزان ربها يوم القيامة، هو منهاج ربها المتمثل بالوحي الموحى إلى الرسل كلٌ حسب الزمان والمكان المرسل فيه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

43- من نسي منهاج الله، أنساه الله حقيقة نفسه وقيمة ذاته، ومن نسي حقيقة نفسه وقيمة ذاته أصبح فاسقاً، ومن أصبح فاسقاً أصبح مؤهلاً لأن يَستَخِفَّ به غيره ويَجْعَل منه حماراً يَمْتَطِي ظهره .

44- ذهول الإنسان عن حقيقة نفسه وقيمة ذاته يورثه الخفة، ويجعله أهلا لأن يَستَخِف به الآخرون .

45- الخفة التي تعرض للإنسان خفة حقيقية تصيب الإنسان من داخله، فتذهله عن حقيقة نفسه وقيمة ذاته .

46- الخفة داء لا يقتصر على الجهلة فقط، بل قد تصيب أكثر الناس علماً .

47- لا يمكن للإنسان أن يتخلص من داء الخفة – خفة الروح – إلا بتوفير الغذاء لها، والغذاء هو منهاج الله - ﷻ - ففيه يجد الإنسان حياة قلبه وروحه .

48- من أدرك حقيقة نفسه وعرف قيمة ذاته واستشعر المكانة التي أرادها له خالقه، فإن هذا الشخص وإن لم يحصل من العلوم شيئاً، فإن أحدا لا يستطيع استخفافه أو الاستهانة به .

49- الاستخفاف يعني: كل قول أو فعل يوقعه شخص ما على الآخرين - أفراداً كانوا أو جماعات – مستشعراً فيهم معنى الخفة من خلال فسوقهم عن منهج الله، قاصداً إبقاء هذا المعنى فيهم، وقبولهم لهذا القول أو الفعل .

50- خفة الشعوب هي البيئة التي تحتضن بذرة الطغيان وترعاها حتى تنمو وتزدهر، وهي كذلك أرضه الصلبة التي يقوم عليها بنيانه .

51- إن الطغيان حريص على بقاء هذه التربة- الشعوب - خصبة تمده بأسباب البقاء، لذلك يعمل جاهداً على بقاء هذه التربة على ما هي عليه، بل هو دائم التفكير والسعي لزيادة خصوبة تلك التربة.

51- تتعدد وسائل الطغاة وتتنوع، وذلك حسب الظروف وأصناف الناس الذين يَتَعَرَّض لهم الطغاة .

52- وسائل الطغاة في الاستخفاف بالجماهير تؤتي أكلها مع البعيدين عن منهج الله، أما الذين تستقيم حياتهم وِفْقَ منهج الله فلا يمكن أن يستخفهم الطاغوت، ولا يمكن أن يطيعوا له أمراً .

53- تتشابه أساليب الطغاة ووسائلهم في استخفاف الجماهير قديماً وحديثاً .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

ثانياً التوصيات:

وإن كان لابد من توصية أوصي بها إخواني الباحثين من طلبة العلم، والعاملين في ميدان الدعوة إلى الله، فأوصيهم بما يلي:

1- إعادة الاعتبار إلى القرآن كونه روحاً يسري في جسد هذه الأمة فيمدها بالحركة والحياة وذلك من خلال:

- الإقبال عليه تلاوةً وحفظاً وتأملاً وتدبراً ودراسةً وتطبيقاً، فهو نبع صافٍ دائم العطاء مُتَجَدِّده .

- طرح قضايا الناس ومشاكلهم الحية على القرآن ومن ثم استنباط الحلول لها عبر دراسات جادة تفيد المجتمع ولا يكون مصيرها رفوف المكتبات .

- تقديم تفاسير جديدة للقرآن تُعْنَى بواقع الأمة الحالي مع الالتزام بالضوابط الشرعية للتفسير.

2- السعي الدائم والدءوب من أجل إخراج بحوث علمية تحفز على الوعي الفردي بقيمة الإنسان، والوعي المجتمعي بدور المجتمع وفاعليته لو تصرف كجسد واحد .

3- الحفز الدائم على الوعي بمخاطر الطغيان عامة، وطغيان الحكام خاصة، لما له من أثر بالغ الخطورة على الأفراد والمجتمعات .

4- الأصل في طلبة الدراسات الشرعية أن يتقدموا الصفوف ويقودوا الأمة، لذلك عليهم أن يثقوا بالله أولاً ثم بأنفسهم ثانياً، وأن يعملوا على تطوير أنفسهم باستمرار ولا يقفوا عند حد معين .

تَمَّتْ بحمد الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الفهـــارس

- أولاً: فهـــرس الآيات القرآنية الكريمة .
- ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .
- ثالثا:فهرس الأعلام .
- رابعا: فهرس المصادر والمراجع
- خامساً: أ- فهرس تفصيلي للموضوعات .

ب- فهرس موجز للموضوعات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

www.manaraa.com

فهرس الآيات

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة البقرة		
1	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً	30	169-168-6-5-3
2	فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ	38	5
3	وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِيـــنٍ	36	5
4	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا	34	169-6
5	وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ	257	14
6	اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ	15	33
7	فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ	256	33
8	وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ	257	33
9	لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ	256	43
10	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ	258	73-61-49
11	وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ	49	217-114-111-86
12	أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ	214	150-148
13	وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ	99	163
14	وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ	282	163
15	وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ	36-35	166
16	فَتَلَقَّـــى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ	39-37	166
17	وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ	32-31	169
18	وَاتَّبَعُـــوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ	102	183
19	.... تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ	118	220
	سورة آل عمران		
20	إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ	59	3
21	... وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...	159	25
22	كَـــدَأْبِ آلِ فِـــرْعَوْنَ وَالَّذِيـــنَ مِـــنْ قَبْلِهِمْ	11	95
23	أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ	142	147
24	وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ	110	163

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة آل عمران		
25	فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ	82	163
26	إنّما استزَلَّهُمْ الشيطان	155	178
	سورة النســـــاء		
27	وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ	57	5
28	وَمَـــنْ قـــتَلَ مُؤْمـــنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ	92	7
29	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا	58	8
30	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ	135	8
31	يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ	60	33-15-14
32	فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ	65	20
33	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ	59	22
34	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ	51	33
35	وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ	76	33
36	إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ	97	160
	إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ	145	141-140
	سورة المائـــدة		
37	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ	8	8
38	وَمَنْ لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ	44	25-21
39	وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ	49	25-21
40	وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً	64	32
41	وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً	68	32
42	وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ	60	33
43	لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ الله	48	45
45	إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ	115	140
46	يَـــا أَيُّهَـــا الَّذِيـــنَ آمَنُـــوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ	105	159
47	وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَم	47	164

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا	25	121
	سورة الأنعام		
48	قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ	162	5
49	وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ	110	33
50	فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ	45	43
51	وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ	35	44
52	قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا	65	85
53	وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ	141	90
54	الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ	93	93
55	وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا	129	102
56	وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا	34	146
57	فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ	44	150
58	أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُــورًا	122	173-167
	سورة الأعراف		
59	وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ	181	8
60	مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ	186	33
61	فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ	133	67
62	وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ	127	209-208-189-73
63	قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا	88	219-75
64	ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ	103	82
65	قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ	75	92
66	قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ	88	92
67	سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ	146	93
68	إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا	40	93
69	وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا	136-134	100 -94
70	فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ	89	219-95
71	... أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى ...	172	96

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
72	وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا	133-132	212-104
73	فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ	136	130
74	وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا	137	131
75	قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا	128	149-144
76	وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا	126	147
77	قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ	123	209-147
78	قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ	126-123	149
79	قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ	114-113	195-191-173
80	فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ	116	183
81	وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ	123-120	203
82	قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ	110-109	212-211
83	قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي	66	215
84	وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا	126-113	222
	سورة الأنفال		
85	كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ	54	103-96
86	وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ	60	145
87	وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً	25	158
88	ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ	53	158
89	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ	24	173-167
90	وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ	30	219-218-216
	سورة التوبة		
91	اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ	31	17
92	قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ	52	148-144
93	الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ	67	164
94	إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ	111	169

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة يونس		
95	فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ	11	33
96	وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا القُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا	13	101-42
97	وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا	99	44
98	قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ	78	210-203-55
99	وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً	88	71
100	وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ	91	82
102	وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ	91-90	132-104 -82
103	فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ	83	105-91-89
104	ثُـــمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ	75	104-92
105	إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ	24	127
106	فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَـــةً	92	133
107	قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ	78-77	204
108	فَلَمَّا جَاءَهُـــمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا	77-76	212
	سورة هود		
109	هُـــوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا	61	5
110	فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ	112	36-30
111	وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ	5	39
112	وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً	119-118	44
113	وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ	113	160-145-46
114	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى	98-96	98
115	وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ	102	103
116	فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ	98-97	196 - 129
117	وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً...	99	134
118	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ	99-96	139
119	وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ	38	215
120	قَالُـــوا يَا شُعَيْـــبُ أَصَلَاتُـــكَ تَأْمُـــرُكَ أَنْ نَتْـــرُكَ	87	215

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة يوسف		
	إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ	40	20
121	حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا	110	150
122	ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ	35	216
	سورة الرعد		
123	لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى	18	5
124	عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ	9	91-88
125	الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ	28	168
126	وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ	32	215
	سورة إبراهيم		
127	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا	14-13	219-39-38
128	وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ	15	39
129	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُم	6	113
130	وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ	42	136
131	وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ	49	139
132	سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ	50	139
	سورة الحجر		
133	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ	26	3
134	فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ	29	4
135	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا	29-28	170
	سورة النحل		
136	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى	90	8
137	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ	36	33
138	وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ	8	173
139	وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ	80	181

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة الإسراء		
140	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ	70	5-169
141	وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً	60	32
142	قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ	102	100
143	فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ	103	130
144	وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا	16	157 -162
145	وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرّوح قُل الرّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبي	85	170
146	وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي	102-101	212
147	وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ	76	220
	سورة الكهف		
148	وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن	80	32
149	وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ	37-32	52-51
150	إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي	20	75
151	فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ	50	162
152	وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ	28	165
	سورة مريم		
153	وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا	14	40
154	وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا	32	40
	سورة طه		
155	فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ	123	5-36
156	وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا	124	5-36
157	اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى	24	29-82
158	اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى	43	29
159	كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ	81	30
160	قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى	45	30
161	فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ	71-70	86-75-64-63-62
162	وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى	79	98-82

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
163	وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى	56	95
164	فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ	79-78	99
165	قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا	61	100
166	وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ	111	101
167	قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى	76-57	212-211-116
168	إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ	69	131
169	قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ	76-72	149
170	قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ	126-123	167-35
171	قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى	59	200
172	قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي	71	223-217-208-203
173	قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ	64-63	214
	سورة الأنبياء		
174	قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ	68	86-75
175	قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ	68-59	86
176	ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا	9	91
177	بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو	18	128
	سورة الحج		
178	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ	5	4
179	ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ	62	88
180	وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ	42	95
	سورة المؤمنون		
181	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ	12	3
182	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ	14-12	4
183	وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا	75	33
184	ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ	46-45	92
185	ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ	47-45	184-130-95

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة النور		
186	وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَـــاتِ	55	144
187	وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ	4	164
188	وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ	55	164- 145
	سورة الفرقان		
189	وَلَقَـــدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ	36-35	95
	سورة الشعراء		
190	فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ	33-32	37
191	لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنْ الْمَسْجُونِينَ	29	216-76-50
192	وإذا بطشتم بطشتم جبارين	130	87-85
193	فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ	56-53	207-86
194	وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ	151	90
195	كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ	123	95
196	كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ	141	95
197	... وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون	227	101
198	وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ	11-10	102
199	فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ	42-41	195-191
200	فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا	21	105
201	قَالَ أَلَمْ نُرَبِّـــكَ فِينَـــا وَلِيـــدًا وَلَبِثْـــتَ فِينَـــا	22-18	106
202	فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ	58-57	131
203	كَذَلِـــكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ	59	132
204	قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ	35-34	214-212-211-209
205	فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ	187	215
206	فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا	44	222
207	..... فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ	49	223
208	قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ	51-50	224

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة النمل		
209	وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ	88	35
210	إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا	34	81
211	وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا	14	213-183-94-89-82
212	وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ	12	212-95
213	فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ	14-13	212-99
214	فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُــوا	56	219
	سورة الروم		
215	وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ	22	44
216	فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا	30	47
	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ	47	144
	سورة القصص		
217	إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا	6-4	89-84-82-38
218	قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا	17	46
219	وقَــالَ فِرْعَــوْنُ يَا أَيُّــهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ	39-38	92-82-63-61-49- 188-137-99
220	إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ	79-76	51-50
221	تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ	83	90
222	اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ	32	96
223	فَالْتَقَطَــهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا	8	133-97
224	فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ	40	129-103
225	وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ	37	144- 103
226	وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا	42-41	136-134-133-108
227	..يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ	4	114
228	وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً...	42	137-135
230	رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا	63	191
231	فَلَمَّا جَــاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا	36	212

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة العنكبوت		
232	وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى	39	92
233	وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ	13	109
234	وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ	40-38	128
235	أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا	2	147
232	وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى	39	92
233	وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ	13	109
234	وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ	40-38	128
235	أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا	2	147
	سورة الروم		
236	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ	47	144
237	... وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ	60	181 -177
	سورة لقمان		
238	أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ	20	6
	سورة السجدة		
239	الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ	7	3
240	أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ	18	163
241	وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ	20	163
242	ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ	9-6	166
243	ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ	9	168
	سورة الأحزاب		
244	مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ	23	148
245	وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا	62	158
	سورة فاطر		
255	مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا	10	145
	سورة يس		
256	لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ	40	35

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
257	وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ	12	109
258	يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ	30	215
	سورة الصافات		
259	فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا	11	3
260	وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْماً	30	31
261	وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ	98-93	126
	ســـــورة ص		
262	هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ	55	40-31
263	أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ	76	54
264	وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ	38	82
265	قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ	75	168
266	فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ	72	168
267	كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ	12	217
	سورة الزمر		
268	يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ	6	4
269	وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا	17	33-14
270	وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا	71	139
	سورة غافر		
271	وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ	47	141-40
272	وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ	26	213-208-55
273	وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ	29-26	217-210-83-65
274	فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ	45	69
275	قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا	29	98-82-74
276	إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ	28	90
277	كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ	34	90
278	وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ	43	91
279	وَيَا قَــوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي	42-41	96

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
280	وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي	37-36	131
281	فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ	85	132
282	النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ	46	135
283	وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ	46-45	217-140
284	رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ	15	167
285	وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ	34	184
286	وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي	45-26	199
287	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ	24-23	212
289	فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ	25	217
	سورة فصلت		
290	فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ	16-15	208-92-50-41
291	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ	26	74
292	سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ	53	171
	سورة الشورى		
293	فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ	15	8
294	... وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ...	38	25
295	لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ	4	88
296	يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ	49	115
297	وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ	30	157
298	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا	52	167
	سورة الزخرف		
299	فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ	54	208-188-181-162-161-78-57-49
300	وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي	51	84-74-70
301	وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ	87	96
302	فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ	56	129
304	فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ	55	130

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
305	وَلَقَـدْ أَرْسَلْنَـا مُوسَـى بِآيَاتِنَـا إِلَى فِرْعَوْنَ	56-46	214-176
306	وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ	49	213
307	وَكَـمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ	7-6	215
308	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ	47-46	215
309	أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِيـنٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ	43	215
	وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي	54-51	213
	سورة الدخان		
310	كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ	31	91-82
311	وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ	22-17	104
312	كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ	27-25	131
313	كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْما آخَرِينَ	28	132
310	كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ	31	91-82
311	وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ	22-17	104
312	كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ	27-25	131
313	كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْما آخَرِينَ	28	132
	سورة الجاثية		
314	وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا	13	169-6
315	ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا	18	25-21
	سورة الحجرات		
316	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ	13	9
317	وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ	7	163
318	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا	6	163
	سورة الرحمن		
319	خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ	14	3
320	أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ	8	30
321	وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الميزَانَ ۞ أَلَّا تَطْغَوْا فِي	8-7	35

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	ســـــورة ق		
322	قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ	27	31
323	وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ	45	40
	سورة الذاريات		
324	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ	56	4-3
325	أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ	53	31
326	وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ	47	41
327	وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ	21	171
328	وَفِـــي مُوسَـــى إِذْ أَرْسَلْنَـــاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ	40-38	213
329	كَذَلِكَ مَآ أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُواْ	53-52	220-213
	سورة الطور		
330	أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ	32	31
331	يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا	13	139
	سورة النجم		
332	مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى	17	29
333	وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى	52	42-29
	سورة القمر		
334	إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ	4	34
	سورة الحديد		
335	لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ	10	90
	سورة الحشر		
336	الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ	23	91
337	وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ	19	-165-164-163 184 -182
338	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَ	21-18	174
	سورة الممتحنة		
339	وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ	12	197

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة الجمعة		
340	مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ	5	172 - 187
	سورة التحريم		
341	ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ	11	103-218
	سورة الملك		
342	تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	1-2	5
	سورة القلم		
343	قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ	31	31
344	إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ	17-32	51
345	وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ	10-15	52
	سورة الحاقة		
346	فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ	5	14-32
347	إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ	11	29
348	وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ	9	98
	سورة نوح		
349	وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا	14	4
350	وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي	7	75
	سورة المزمل		
351	**فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا**	16	130
352	**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**	5	173
	سورة الإنسان		
353	هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ	1	2
	سورة النبأ		
354	إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۞ لِلطَّاغِينَ مَآبًا	21-22	31-40
	سورة النازعات		
355	اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى	17	29
356	فَأَمَّا مَن طَغَى	37	29

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
357	اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى	26-17	37
358	فَحَشَرَ فَنَادَى ۞ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۞	26-23	50-56-63-82 - 188
359	فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۞ وَآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا	39-37	54-160
360	فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى	26-25	129
	سورة البروج		
361	قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ	7-4	41
362	وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ	11-1	87-123-224
363	وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ	8	147
	سورة الأعلى		
364	سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى	1	88
	الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى	12	138
	سورة الغاشية		
365	فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۞ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ	22-21	43
	سورة الفجر		
366	الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ	11	30
367	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ	12-6	80
368	أَلَمْ تَـرَ كَيْـفَ فَعَـلَ رَبُّكَ بِعَادٍ	14-6	127
369	إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ	14	142
	سورة الشمس		
370	كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا	11	32
	سورة التين		
371	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ	4	170
	سورة العلق		
372	كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى	6	30
373	كَلَّا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى	7-6	48-54
	إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى	8	54

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

فهرس الأحاديث

الرقم	طرف الحديث الدال عليه	الإمام راوي الحديث	الصفحة
.1	اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا	البخاري	102
.2	أَخْنَعُ الْأَسْمَاءِ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ	البخاري	94
.3	إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم	مسلم	53
.4	اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ	مسلم	174
.5	أمر رسول الله - ﷺ - ابن مسعود أن يصعد	أحمد	174-186
.6	إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ	البخاري	136
.7	إِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...	مسلم	102
.8	إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ	البخاري	102
.9	إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر	الترمذي	132
.10	إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يأخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ	أبو داود	159
.11	إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجل	مسلم	53
.12	إن شر الرعاء الحطمة	مسلم	27
.13	إنكم ستحرصون على الإمارة وإنها ستكون	البخاري	27
.14	إنما الطاعة في المعروف	البخاري	22
.15	إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة	البخاري ومسلم	185
.16	أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ	مسلم	141
.17	تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً	البخاري	138
.18	جاء ثلاثةُ رَهْطٍ إلى بُيوت أزواج النبي	البخاري	47
.19	صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط	مسلم	87
.20	فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ	مسلم	62
.21	كان فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مَلِكٌ، وَكَانَ لَهُ ساحِرٌ	مسلم	123
.22	الْكِبْرُ بَطَرُ الحق وغمط الناس	مسلم	92
.23	الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري	ابن ماجه	92
.24	كل مولود يولد على الفطرة	البخاري	48
.25	كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ	البخاري	27
.26	لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق	الترمذي	22 -198

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

.27	لا يجزى ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه	مسلم	7
.28	لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ	مسلم	93
.29	لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ	البخاري	164
.30	لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا، أَتَتْ عَلَيَّ	أحمد	218
.31	اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم	مسلم	26
.32	مَا مِنْ أمِير يَلِي أُمُورَ المُسلمينَ، ثم لا يَجْهدُ لهم	مسلم	105-26
.33	ما من عبد يسترعيه الله رعية من المسلمين	مسلم	26
.34	مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ وَهُوَ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ	البخاري	97
.35	مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: مَنْهُومٌ فِي عِلْمٍ لَا يَشْبَعُ	الحاكم	72
.36	نَارُكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ	الترمذي	138
.37	هذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى - ﷺ -	البخاري	146
.38	وَيَتْبَعُ مَنْ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ	أحمد	16
.39	يَا أَيُّهَا النَّاسُ: أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ	أحمد	8
.40	يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي	مسلم	102
.41	يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي	الترمذي	137-93
.42	يوشكُ الأُمَمُ أنْ تَدَاعَى عليكم كما تَدَاعَى	أبو داود	187-159

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

فهرس الأعلام المترجم لهم

الرقم	الاسم	رقم الصفحة
5	أشجع بن عمرو السلمي، أبو الوليد	154
2	خـــالد بـــن عبد الله القسري	46
1	عطاء بن أبى رباح القرشي مولى أبى خثيم الفهري	46
6	محمد بن هاني الأزدي المهلبي الأندلسي	155
4	المماليك البحرية	87
3	وهب بن مُنَبّه أَبُو عبد الله الصَّنْعَانِيّ	53

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

فهرس المصادر والمراجع

الرقم	المصدر
1.	إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، المحقق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط الأولى1420 هـ -1999م، دار الوطن، الرياض
2.	الأحكام السلطانية: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، تحقيق أحمد جاد، دار الحديث القاهرة
3.	إحياء علوم الدين: لمحمد بن محمد الغزالي أبو حامد، ط دار المعرفة – بيروت - لبنان
4.	إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لمحمد بن محمد العمادي أبو السعود، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، طبعة1402هـ -1982م، دار الفكر - لبنان - بيروت
5.	إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م، دار الكتاب العربي
6.	الإسلام والاستبداد السياسي: لمحمد الغزالي، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد
7.	الإسلام ومستقبل البشرية: للدكتور عبد الله عزام، الطبعة الأولى - بيت المقدس 1400هـ - 1980م
8.	الأشباه والنظائر: لتاج الدين عبد الوهاب بن علي ابن عبد الكافي السبكي، الطبعة الأولى 1411 هـ - 1991م، دار الكتب العلمية
9.	أصول الدعوة: لعبد الكريم زيدان، الطبعة الثالثة 1396هـ - 1976م، دار البيان
10.	أضواء البيان: لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ط 1415 هـ - 1995م، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان
11.	إعلام الموقعين عن رب العالمين: لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ابن قيم الجوزية)، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، ط 1973م، دار الجيل بيروت
12.	الأعلام للزركلي: لخير الدين الزِركْلي، الطبعة الخامسة 1980م، دار العلم للملايين بيروت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

13. الأمثال في القرآن: لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ابن قيم الجوزية)، تحقيق: إبراهيم بن محمد، الطبعة الأولى ، 1406هـ - 1986م، مكتبة الصحابة – طنطا
14. الانحرافات الكبرى القرى الظالمة في القرآن: لسعيد أيوب، إعداد مركز الأبحاث العقائدية، كتاب الكتروني
15. تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، الطبعة الأولى 1424هـ - 2003م، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
16. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الطبعة: الخامسة، 1424هـ- 2003م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية
17. الإيمان والحياة: ليوسف القرضاوي، الطبعة التاسعة 1410هـ -1990م، مكتبة وهبة - القاهرة
18. بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر - بيروت
19. البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى 1422 هـ - 2001م دار الكتب العلمية - لبنان- بيروت
20. البحر المديد، لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، الطبعة الثانية 1423هـ- 2002م، دار الكتب العلمية ــ بيروت
21. البداية والنهاية: لأبي الفداء ابن كثير، تحقيق أحمد جاد،طبعة 1427هـ - 2006م،دار الحديث القاهرة
22. البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد: لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، - دار القلم - دمشق
23. تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية
24. تاريخ ابن خلدون: لعبد الرحمن بن خلدون، طبعة 1399هـ - 1979م، دار الفكر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، - بيروت - لبنان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

25. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل: لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر – بيروت- سنة النشر 1995م
26. التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر بن عاشور، الطبعة التونسية 1997م، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس
27. تحفة الأحوذي: لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، طبعة 1415هـ - 1995م، دار الفكر بيروت - لبنان
28. تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك: لنجم الدين إبراهيم بن علي الحنفي الطَّرَسوسي، تحقيق: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي
29. التشريع الجنائي في الإسلام مقارناً بالقانون الوضعي: لبعد القادر عودة، الطبعة الرابعة 1405هـ - 1985م، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان
30. تفسير ابن أبى حاتم: لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية – صيدا
31. تفسير البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، الطبعة: الأولى 1422 هـ - 2001م، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت
32. تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي
33. تفسير الجلالين: لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الأولى، دار الحديث - القاهرة
34. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل: لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ط 1399 هـ -1979م، دار الفكر - بيروت - لبنان
35. تفسير السراج المنير: لمحمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت
36. تفسير الشعراوي: لمحمد متولي الشعراوي، راجع أصله وخرج أحاديثه أحمد عمر هاشم، أخبار اليوم، قطاع الثقافة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

37. تفسير العز بن عبد السلام: لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، تحقيق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الطبعة الأولى : 1416 هـ / 1996م، دار ابن حزم ــ بيروت
38. تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: لمحمد جمال الدين القاسمي، دار إحياء الكتب العربية
39. تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م، دار طيبة للنشر والتوزيع
40. التفسير القيم: لابن القيم،جمعه محمد أويس الندوي، تحقيق محمد حامد الفقي، طبعة 1398هـ 1978م، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
41. تفسير المراغي: لأحمد مصطفى المراغي، دار الفكر
42. تفسير المنار: لمحمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر 1990م
43. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: لوهبة بن مصطفى الزحيلي، الطبعة: الثانية، 1418 هـ ، دار الفكر المعاصر - دمشق
44. تفسير النسفى: لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق الشيخ: مروان محمد الشعار، ط 2005، دار النفائس ــ بيروت
45. تفسير مقاتل بن سليمان: لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق: أحمد فريد، الطبعة: الأولى 1424 هـ - 2003م، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت
46. تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تحقيق:عبد السلام هارون وآخرون، الدار المصرية - مصر الجديدة - سنة النشر:1384هـ - 1964م
47. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة : الأولى 1420هـ -2000م، مؤسسة الرسالة .
48. جامع الأصول في أحاديث الرسول : لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، الطبعة: الأولى، الناشر: مكتبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان
49. جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الطبعة : الأولى ، 1420 هـ - 2000م، مؤسسة الرسالة
50. الجامع الكبير: لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق د/ بشار عواد معروف، الطبعة الثانية 1998م، دار الجيل ـ بيروت + دار العرب الإسلامي ـ بيروت
51. جامع بيان العلم وفضله: لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى 1424-2003 هـ، مؤسسة الريان - دار ابن حزم
52. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، الطبعة: 1423 هـ -2003م، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية
53. الجمهورية: لأفلاطون (الترجمة العربية للدكتور / فؤاد زكريا)
54. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ابن قيم الجوزية)، دار الكتب العلمية - بيروت
55. الدر المنثور: لجلال الدين عبد الرحمن بنأبي بكر السيوطي، الطبعة الأولى 1411هـ - 1990م، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
56. دراسات إسلامية، لسيد قطب، دار الشروق
57. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان
58. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية: لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد السيد الجليند، الطبعة: الثانية، مؤسسة علوم القرآن - دمشق
59. رجال صحيح مسلم:لأحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني أبو بكر، تحقيق عبد الله الليثي،طبعة 1407هـ ، دار المعرفة - بيروت
60. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، دار إحياء التراث العربي - بيروت

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

61. الروح: لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ابـــن قـــيم الجوزيـــة)، ط 1395 هـــ- 1975م، دار الكتب العلمية - بيروت
62. زاد المسير في علم التفسير: لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الطبعة الثالثة 1404هـــ ، المكتب الإسلامي - بيروت
63. زهر الأداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، تحقيق: أ. د / يوسف على طويل، الطبعة: الأولى 1417 هـــ - 1997م، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
64. السراج المنير: لمحمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية ــ بيروت
65. سنن ابن ماجة لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بإبن ماجة، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع
66. سنن أبي داود: لأبي داود سليمان ابن الأشعث السجستاني الأزدي، طبعة 1408هـــ - 1988م، دار الجيل بيروت
67. سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حكم على أحاديثـــه وآثاره محمد ناصر الدين الألباني، الطبعـــة الثانيـــة 1429هـــــ -2008م، مكتبـــة المعارف للنشر والتوزيع
68. سنن النسائي: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي، حكم على أحاديثه وآثاره محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف الرياض
69. سير أعلام النبلاء: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الـــذهبي، أشـــرف علـــى تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرنـــاؤوط، الطبعـــة الـــسابعة 1410هـــــ - 1990م، مؤسسة الرسالة - بيروت
70. السيرة النبوية: لابن هشام، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارســـها، مـــصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث – بيروت - لبنان
71. السيرة النبوية: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق مـــصطفى عبـــد الواحـــد، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان
72. شرح المقاصد في علم الكلام: لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، الناشر دار المعارف النعمانية، سنة النشر 1401هـــ - 1981م باكستان
73. الصحاح في اللغة: لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطـــار، الطبعةالثانية 1399هـــ -1979م، دار العلم للملايين - بيروت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

74. صحيح البخاري: لأبي عبدالله بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى1429هـ - 2008م، شركة مكتبة ألفا للتجارة والتوزيع
75. صحيح مسلم بشرح النووي لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، راجع ضبطه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد محمد تامر، الطبعة الأولى 1420هـ - 1999م، دار الفجر للتراث القاهرة
76. صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الطبعة الخامسة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
77. صحيفة الشرق الأوسط
78. الطاغية دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي: لإمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة 1994، كتاب إلكتروني
79. طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، لعبد الرحمن الكواكبي، تقديم د/ أسعد السحمراني، الطبعة الأولى 1404هـ - 1984م، دار النفائس - بيروت - لبنان
80. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، الطبعة: الأولى 1416 هـ - 1996، دار الكتب العلمية - بيروت
81. فتح القدير: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى 1420هـ -1999م، دارالكتاب العربي - بيروت - لبنان
82. فتح المجيد: لأبي عبد الرحمن حسن آل الشيخ، راجع حواشيه وصححها وعلق عليها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، دار إحياء الكتب العربية
83. فرعون في القرآن الكريم: لأبي الأعلى المودودي، المختار الإسلامي للنشر والتوزيع - القاهرة
84. فرعون والطغيان السياسي: لأحمد بهجت، الطبعة الأولى 1408هـ - 1988م، العصر الحديث للنشر والتوزيع - بيروت - لبنان
85. الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري، حققه وعلق عليه محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة - القاهرة
86. الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية : للشيخ محمد الغزالي، طبعة ثانية 2000م، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

87. الفِقْهُ الإسلامي وأدلَّتُهُ: لوهبة الزحيلي، الطبعة الرابعة 1418هـ - 1997م، دار الفكر - دمشق
88. في ظلال القرآن، لسيد قطب، الطبعة الشرعية السابعة عشرة 1412هـ - 1992م، دار الشروق
89. القيادة والجندية في الإسلام: لمحمد السيد الوكيل، الطبعة الثالثة 1408هـ - 1988م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة
90. الكامل في اللغة والأدب: لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة 1417 هـ - 1997م، دار الفكر العربي - القاهرة
91. كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال
92. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله المؤلف، تحقيق: عادل عبد الموجود و علي عوض، الطبعة: الأولى 1418هـ - 1998م، مكتبة العبيكان - الرياض
93. الكشف والبيان، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة: الأولى1422 هـ - 2002م، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان -
94. الكليات: لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت - سنة النشر 1419هـ - 1998م.
95. لباب الآداب: لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق: أحمد حسن لبج، الطبعة: الأولى 1417 هـ - 1997م، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
96. اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة : الأولى1419 هـ1998م، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان -
97. لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الطبعة الأولى، دار صادر - بيروت
98. مآلات الخطاب المدني: لإبراهيم السكران
99. مجموع فتاوى ابن تيمية: لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

الحراني، المحقق : أنور الباز - عامر الجزار، الطبعة: الثالثة 1426 هـ - 2005م، دار الوفاء

100. مجموعة التوحيد: لمحمد بن عبد الوهاب، ونخبة من علماء المسلمين، أعيد طبعه على نفقة المكتبة السلفية لصاحبها محمد عبد المحسن المكتبي بالمدينة المنورة

101. مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر - بيروت

102. محاضرات في المبادىء القانونية العامة: للدكتور سالم حماد الدحدوح والدكتور حمدي بارود

103. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط 1413هـ - 1993م، دار الكتب العلمية

104. المحكم والمحيط الأعظم: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت - سنة النشر 2000م

105. مختار الصحاح: لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، الطبعة طبعة جديدة، 1415 – 1995، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت

106. مختصر سيرة الرسول ﷺ: لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ، الجزء الرابع)، تحقيق: عبد الرحمن بن ناصر البراك وغيره، الناشر: جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

107. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن قيم الجوزية - محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله - تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، 1393هـ - 1973م، دار الكتاب العربي - بيروت

108. المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق حمدي الدمرداش محمد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت .
وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى دراسة وتحقيق مصطفي عبد القادر عطا

109. المستطرف في كل فن مستظرف: لشهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي المحلي، وبهامشه ثمرات الأوراق في المحاضرات، دار احياء التراث العربي – بيروت - لبنان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

110. مسند الإمام أحمد بن حنبل: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت
111. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: لأحمد بن محمد بن علي المقـري الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت
112. المصطلحات الأربعة: لأبي الأعلى المودودي، دار التراث العربي للطباعة والنشر
113. معالم التنزيل في تفسير القرآن معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مـسلم الحرش، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997م، دار طيبة للنشر والتوزيع
114. معالم الصراع الإيماني في قصة موسى - عليه السلام - : للدكتور جمال محمود محمـود الهوبي، رسالة مقدمة لتحصيل الماجستير بقسم التفسير وعلوم القـرآن مـن كليـة أصول الدين والتربية، السودان
115. معالم في الطريق: لسيد قطب، دار الشروق
116. معجم الألفاظ والأعلام القرآنية: لمحمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي
117. المعجم المفهرس لألفاظ القـرآن الكـريم: لمحمـد فـؤاد عبـد البـاقي، الطبعـة الثانية1408هـ- 1988م، دار الحديث القاهرة
118. المعجم الوسيط،لـ: لإبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القـادر / محمـد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة
119. معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبـد الـسلام محمد هارون، الطبعة: 1399هـ - 1979م، دار الفكر
120. مفاتح الغيب: لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، الطبعة: الأولـى 1421هـ - 2000م، دار الكتب العلمية - بيروت
121. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: لابن قيم الجوزية - محمد بن أبـي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله - دار الكتب العلمية - بيروت
122. المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة لبنان
123. مقومات التصور الإسلامي: لسيد قطب، الطبعة الأولى 1406هـ - 1986م، دار الشروق
124. من بدائع السلك في طبائع الملك:لأبي عبد الله محمد بن علي " ابن الأزرق "، تحقيق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

نهاد نور الدين جرد، الطبعة الثانية2005م، وزارة الثقافة والإرشاد القومي
125. المنطلق: لمحمد أحمد الراشد، الطبعة الثامنة 1403هـ - 1983م، مؤسسة الرسالة - بيروت
126. الموافقات: لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى 1417هـ - 1997م، دار ابن عفان
127. موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور: لحكمت بن بشير بن ياسين، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999م، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية
128. الموسوعة الفقهية الكويتية: صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت
129. موسوعة فقه الابتلاء: جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، كتاب إلكتروني
130. نظام الإسلام: لوهبة الزحيلي، الطبعة الثانية 1413هـ - 1993م، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع
131. النظام السياسي في الإسلام: لمحمد عبد القادر أبو فارس، طبعة 1980م
132. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ط 1415هـ - 1995م، دار الكتب العلمية – بيروت
133. النكت والعيون: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
134. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي،تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008م، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة .
135. الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد: لأحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، أبو نصر البخاري الكلاباذي، تحقيق عبد الله الليثي، الطبعة الأولى 1407هـ، دار المعرفة - بيروت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

136. هذا الدين: لسيد قطب، دار الشروق - بيروت - القاهرة
137. هكذا علمتني الحياة: لمصطفى السباعي، الطبعة الأولى1418هـ -1998م، دار السلام - القاهرة - مصر
138. الوابل الصيب من الكلم الطيب: لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ابن قيم الجوزية)، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي - بيروت
139. وحي القلم: لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان
140. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت

مواقع على شبكة الإنترنت استفدت منها

1 http://www.alminbar.net/malafilmy/7kookensan/2.htm
2 http://www.aawsat.com/leader.asp?section=3&article=281235&issueno=9566
3 http://www.achr.nu/ktm4.htm
4 http://www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=40088
5 http://aljazeera.net/NR/exeres/9C0186EA-7CC1-47C2-8DBE-7586929F20B2.htm
6 http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=3bdd67c884c77ef

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

فهرس تفصيلي للموضوعات

الموضوع	الصفحة
التمهيد وفيه:	1
ما قبل خلق الإنسان	2
الإعلان عن ميلاد الإنسان	3
الخلق الأول: خلق آدم -عليه السلام-	3
خلق النسل: نسل آدم -عليه السلام-	4
المهمة والغاية	4
الإنسان مخلوق مكرم	5
حقوق الإنسان وفيه:	6
أولاً الحرية	7
ثانياً العدل	8
ثالثاً المساواة	8
حقوق الإنسان في الإسلام منح إلهية	9
حقوق الإنسان في الإسلام شاملة لكل أنواع الحقوق	9
حقوق الإنسان في الإسلام تنبثق من العقيدة الإسلامية	10
حقوق الإنسان في الإسلام ليست مطلقة بل مقيدة بعدم التعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية	10
حقوق الإنسان في الإسلام ثابتة ولا تقبل الإلغاء أو التبديل أو التعطيل	10
الفصل الأول: طغيان الحكام في ضوء القرآن الكريم	11
المبحث الأول: الطغيان في ضوء القرآن الكريم وفيه	12
المطلب الأول: تعريف طغيان الحكام لغة واصطلاحاً وفيه	13
الطغيان لغة	13
الحكام لغة	14
أقوال العلماء في الطاغوت	15
تعريف الحاكم الطاغية	19
المطلب الثاني: واجبات الحاكم المسلم	22

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المطلب الثالث استخدام القرآن للفظة طغى ومشتقاتها	28
المطلب الرابع: موقف القرآن الكريم من الطغيان بكافة صوره وأشكاله	34
نماذج لصور من الطغيان حذر منها القرآن الكريم	37
تقبيح الطغيان المتصاعد الذي ينتهي بإدعاء الألوهية	37
تقبيح الطغيان في صورته النزاعة إلى العلو في الأرض	38
تقبيح الطغيان في صورته التهديدية العدوانية	38
تقبيح الطغيان في صورته التجبرية الاستبدادية	39
تقبيح الطغيان بذكر المصير التعس للطغاة	40
تقبيح الطغيان في صورته الإستكبارية	40
تقبيح الطغيان في صورته التعذيبية	40
تقبيح الطغيان في صورته المغرورة بالقوة	41
تقبيح الطغيان في صورته الظالمة	42
تقبيح الطغيان في صورته النزاعة إلى السيطرة الكونية على البشرية	43
تقبيح الطغيان في صورته الإملائية القسرية القهرية على دين أو مبدأ	43
تقبيح الطغيان في صورته الضائقة بالتعددية الكونية والتشريعية	44
تقبيح الطغيان في صورته الداعمة للظلم والعدوان والإجرام	46
المطلب الخامس: أسباب الطغيان وفيه	47
العارض الأول: الغنى	48
العارض الثاني: إيثار الحياة الدنيا	54
العارض الثالث: الخوف	54
العارض الرابع: خفة الشعوب	56
المبحث الثاني: ملامح أنظمة الطغاة وصفاتهم	58
المطلب الأول: ملامح أنظمة الطغاة	59
البند الأول: التأله	59
البند الثاني: عدم تفويض السلطة	62
البند الثالث: تعطيل الدستور	64
البند الرابع: الاستيلاء على مقدرات الدولة الاقتصادية	70
البند الخامس: مصادرة الحريات	72

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

البند السادس: الإفساد وفيه ثلاث مجالات	76
المجال الأول: التربية والتعليم	78
المجال الثاني: العلم والعلماء	79
المجال الثالث: الفوضى	80
البند السابع: تفتيت المجتمع إلى قوى متصارعة	83
البند الثامن: الاعتماد على القوة الغاشمة في قمع المعارضين	85
المطلب الثاني: صفات الطغاة وفيه	87
البند الأول: العلو في الأرض والإسراف	88
البند الثاني: الكبر	91
البند الثالث: الغفلة عن آيات الله والتكذيب بها	94
البند الرابع: الفسوق والكفر بآيات الله	95
البند الخامس: الخطأ والإضلال	97
البند السادس: الكذب ونكث العهود	99
البند السابع: الظلم والبغي والعدوان	101
البند الثامن: الإجرام والإرهاب	104
البند التاسع: المَن	105
البند العاشر: أئمة يدعون إلى النار	108
المبحث الثالث: نماذج من طغيان الحكام ونهايتهم وفيه	110
المطلب الأول: نماذج من طغيان الحكام وفيه	111
النموذج الأول: قتل الأطفال واستحياء النساء	111
النموذج الثاني: قطع أيدي المخالفين وأرجلهم من خلاف وصلبهم	116
النموذج الثالث: حرق الناس وهم أحياء	122
المطلب الثاني: نهاية الطغاة	127
أولاً: مصيرهم في الدنيا	130
ثانياً: مصيرهم في البرزخ	135
ثالثاً: في الآخرة	137
المطلب الثالث: معالم على طريق النهاية وفيه	143
المَعْلَم الأول: الشعوب الميتة لا تستحق النصر	143

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المَعْلَم الثاني: إن قاعدة المعركة للقضاء على الطغيان هي وجود الجماعة المؤمنة ايماناً حقيقياً والمستعدة للبذل والتضحية في سبيل ما تؤمن به	144
المَعْلَم الثالث: حتمية الصراع	145
المَعْلَم الرابع: الصراع صراع عقيدة	147
المَعْلَم الخامس: الإبتلاء سنة الله في الدعوات	147
المَعْلَم السادس: النصر في الدنيا للدعوة لا للأفراد	148
المَعْلَم السابع: الصبر هو الزاد	149
المَعْلَم الثامن: عندما يبلغ الطغيان الذروة ويظن أنه قد انتصر ويبلغ المؤمنون غاية الشدة والكرب يأتي النصر من الله	149
الفصل الثاني: خفة الشعوب في ضوء القرآن الكريم وفيه	152
التمهيد وفيه: دور الشعوب في صناعة الطغيان	153
المبحث الأول: الفسوق سبب طاعة المستخف بهم للطغاة وفيه	161
المطلب الأول: الفسوق لغة واصطلاحاً	162
المطلب الثاني: أسباب الفسوق وفيه	163
نماذج من أقوال المفسرين في معنى النسيان	164
عقوبة نسيان الله	165
حقيقة ذات الإنسان	165
المطلب الثالث: العلاج	173
المبحث الثاني: الاستخفاف في ضوء القرآن الكريم	175
المطلب الأول: الخفة لغة واصطلاحاً	176
الخفة لغة	176
نماذج من أقوال المفسرين في معنى الاستخفاف	177
مناقشة آراء المفسرين	179
الخفة اصطلاحا	187
المطلب الثاني: مظاهر استخفاف فرعون لقومه	188
المطلب الثالث: الطاغية مُسْتَخِفٌ بغيره، مُسْتَخَفٌ به	188
المبحث الثالث: وسائل استخفاف الطغاة للشعوب وفيه	190

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المطلب الأول: الوسائل الإغوائية وفيه	191
البند الأول: الإغراء بالمال والمنصب والجاه	191
البند الثاني: الاستعانة بالنفعيين والانتهازيين	194
البند الثالث: الإلهاء	197
البند الرابع: التنفيس	200
المطلب الثاني: الوسائل الإعلامية وفيه	202
البند الأول: اتهام المعارضين بالتآمر	203
البند الثاني: إظهار المخالفين بمظهر الحريصين على السلطة والنفوذ	204
البند الثالث: التقليل والتهوين من شأن المعارضين	206
البند الرابع: الظهور بمظهر القوة والتعريض بضعف الآخرين	207
البند الخامس: الظهور بمظهر الحريص على مصلحة العباد	208
البند السادس: الظهور بمظهر كفالة الحريات، والمحافظة على الشورى	209
البند السابع: الظهور بمظهر الحريص على تراث الآباء والأجداد	210
البند الثامن: استجاشة عاطفة حب الوطن	211
البند التاسع: إلباس الحق ثوب الباطل	212
البند العاشر: المغالطة والتمويه	213
البند الحادي عشر: التحريض والسخرية والاستهزاء	214
المطلب الثالث: الوسائل القهرية وفيه	216
البند الأول: السجن	216
البند الثاني: التعذيب	217
البند الثالث: القتل	217
البند الرابع: النفي	219
ملاحظات على أساليب الاستخفاف	220
المبحث الرابع: نماذج تطبيقية على الخفة والاستعلاء	221
المطلب الأول: سحرة فرعون	222
المطلب الثاني: المؤمنون في سورة البروج	224
الخاتمة	226
أهم النتائج	226

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

التوصيات	231
الفهارس	232
فهرس الآيات	233
فهرس الأحاديث	250
فهرس الأعلام	252
فهرس المصادر والمراجع	253
فهرس تفصيلي للموضوعات	265
فهرس موجز للموضوعات	271
ملخص الرسالة باللغة العربية	273
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية	

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

فهرس موجز للموضوعات

الموضوع	الصفحة
التمهيد	1
الفصل الأول:	11
المبحث الأول: الطغيان في ضوء القرآن الكريم	12
المطلب الأول: تعريف طغيان الحكام لغة واصطلاحاً	13
المطلب الثاني: واجبات الحاكم المسلم	22
المطلب الثالث: استخدام القرآن للفظة " طغى " ومشتقاتها	28
المطلب الرابع: موقف القرآن الكريم من الطغيان بكافة صوره وأشكاله	34
المطلب الخامس: أسبـــاب الطغيـــان	47
المبحث الثاني: ملامح أنظمة الطغاة وصفاتهم	58
المطلب الأول: ملامح أنظمة الطغاة	59
المطلب الثاني: صفات الطغاة	87
المبحث الثالث: نماذج من طغيان الحكام ونهايتهم	110
المطلب الأول: نماذج من طغيان الحكام	111
المطلب الثاني: نهاية الطغاة	127
المطلب الثالث: معالم على طريق النهاية	143
الفصل الثاني: خفة الشعوب في ضوء القرآن الكريم	152
التمهيد: دور الشعوب في صناعة الطغيان	153
المبحث الأول: الفسوق سبب طاعة المُسْتَخَف بهم للطغاة	161
المطلب الأول: الفسوق لغة واصطلاحاً	162
المطلب الثاني: أسباب الفسوق	163
المطلب الثالث: العلاج	173
المبحث الثاني: الاستخفاف في ضوء القرآن الكريم	175
المطلب الأول: الخفة لغة واصطلاحاً	176
المطلب الثاني: مظاهر استخفاف فرعون لقومه	188
المطلب الثالث: الطاغية مُسْتَخِفٌ بغيره مُسْتَخَفٍ به	188

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

المبحث الثالث: وسائل استخفاف الطغاة للشعوب	190
المطلب الأول: الوسائل الإغوائية	191
المطلب الثاني: الوسائل الإعلامية	202
المطلب الثالث: الوسائل القهرية	216
المبحث الرابع: نماذج تطبيقية على الخفة والاستعلاء	221
المطلب الأول: سحرة فرعون	222
المطلب الثاني: المؤمنون في سورة البروج	224
الخاتمة	226
أهم النتائج	226
التوصيات	231
الفهارس	232
فهرس الآيات	233
فهرس الأحاديث	250
فهرس الأعلام المترجم لهم	252
فهرس المصادر والمراجع	153
فهرس تفصيلي للموضوعات	265
فهرس موجز للموضوعات	271

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

ملخص الرسالة

تعالج هذه الرسالة موضوعاً من أهم الموضوعات ذات العلاقة بالأفراد والمجتمعات، ألا وهو " طغيان الحكام وخفة الشعوب " فالطغيان عدو لله - ﷻ - ولرسله - عليهم السلام - وللشعوب، ولا قيام لحق في هذه الحياة إلا إذا طُمِسَت كل صوره وسُوِّيَت به الأرض .

لذلك كان من مقاصد الإسلام الكبرى - قرآناً وسنة - تقبيح الطغيان، والتحذير منه، والحض على التحرر من كل نماذجه وصوره، وخاصة ذلك الطغيان الذي يصدر عن الحكام، لعظم خطره، واتساع رقعته، وكثرة الذين يعانون بسببه، فطغيان الحاكم فساد للحياة وإفساد للأحياء.

لذلك عمد الباحث إلى القرآن الكريم يستجلي منه صورة الحاكم الطاغية بكل أبعادها وخفاياها، ودور الشعوب في صناعة الطغيان، ليعرض ذلك كله أمام الناس عرضاً واضحاً تدرك الأمة من خلاله الدور الذي يجب أن تقوم به للتخلص من الطغيان

فجعل بحثه هذا في مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة:

المقدمة: وتحدث فيها الباحث عن أهمية البحث، وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث وغاياته، والدراسات السابقة، ومنهج البحث .

التمهيد: وتحدث فيه عن خلق الإنسان، وكرامته وحقوقه .

الفصل الأول: وهو بعنوان طغيان الحكام في ضوء القرآن، وقد جعله الباحث في مباحث ثلاثة: الأول الطغيان في ضوء القرآن، والثاني ملامح أنظمة الطغاة وصفاتهم، والثالث نماذج من طغيان الحكام ونهايتهم .

الفصل الثاني: وهو بعنوان خفة الشعوب في ضوء القرآن، وقد جعله الباحث في تمهيد وأربعة مباحث: الأول الفسوق سبب طاعة المستخف بهم للطغاة، والثاني: الاستخفاف في ضوء القرآن الكريم، والثالث: وسائل استخفاف الطغاة للشعوب، والرابع: نماذج تطبيقية على الخفة والاستعلاء .

أما الخاتمة: فقد ضمنها أهم النتائج التي توصل إليها، والتوصيات .

كل ذلك من خلال دراسة قرآنية، يجعل فيها الباحث من القرآن الكريم منطلقاً له في كل ما يذهب إليه ويقرره .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.manaraa.com

Abstract

The research addresses a very important subject related to individuals and societies that is 'tyranny of rulers and lightness of the nations' .Tyranny is considered the enemy of Allah the Almighty, His messengers Peace be on them and nations, thus there is no entity for right on this life unless we bury all forms of tyranny and pave them with the earth globe.

Therefore; one of the major aims of Islam – Qur'an and Sunna – is offending tyranny and incitement to freedom from all its samples and forms especially tyranny of rulers because of its massive danger, widely spread and many who are suffering of it. So tyranny of rulers spoils life and people.

Thus; the researcher relied on Qur'an to quote various forms and secrets of tyranny of rulers and the role of nations in forming it to be made very clear to people to be aware of the nations' role to get rid of tyranny.

The research includes an introduction, a preface, two chapters and a conclusion.

Introduction

The researcher discussed the importance of the thesis, the reasons behind choosing this topic, aims of the thesis, previous studies and research methodology.

Preface

The researcher talked about man's creation, human dignity and human rights.

Chapter one

Addresses tyranny of rulers in Qur'an where the researcher included it within three topics:

The first: tyranny in Qur'an, the second: features and qualities of tyranny's systems, the third: is samples of tyranny of rulers and their final end.

Chapter two

Addresses lightness of people in the light of the Qur'an, where the researcher made it within a preface and four topics: the first: the cause of fornication obedience to the tyrants of their cynicism, the second: is underestimated in the light of the Qur'an, the third: is means disregard of

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

www.manaraa.com

the tyrants of the peoples of the and the fourth: is samples applied to the lightness and superiority.

Conclusion

Includes the most important results reached by the researcher and recommendations.

All through the study of the Qur'an verses in which the researcher makes from the Qur'an as its point in all under the guidance mechanism and determined by it.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

www.manaraa.com